قَسَم سُليمان

الكتاب: قسم سليمان
الكاتب: منى حارس
تصميم الغلاف:
تدقيق لغوي:
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:
الطبعة الأولى: 2017

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت:35860372 02 -27772007 011
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

منى حارس

قَسَم سُليمان

رواية

إهداء

إلى ذلك الشيء الغامض الذي مازال صوته يتردد في أذني...
ولا أدري إلى متى سيظل شبحه يطاردني ...
يخرج لي من الظلمة ليؤنسني...
فيصرخ بفزع في أذني ...
فلا أجد أمامي إلا قلمي ...
أكتب به ما يأمرني ...
فشكرًا لك أيها الشيء..
على ما فعلته من أجلي....

منى حارس

المقدمة

وماذا سيحدث إن اصطادك هو بدلًا من أن تصيده أنت ؟؟

فأنت لم تفعل شيئًا بالحياة سوى التمني ، نعم التمني فكل ما كنت تريده وتتمناه بالحياة الثراء السريع والقصر الكبير والأموال الكثيرة وربما عروس جميلة لن تضر فوق البيعة.

ولكن كيف ستحقق كل هذا يا عزيزي وأنت لا تملك شيئًا بتلك الحياة الكبيرة حتى إنك لم تحصل على وظيفة جيدة بعد تخرجك من الجامعة وسنين الدراسة الطويلة المملة، والمصاريف الكثيرة التي أنفقتها أسرتك على الدروس الخصوصية والتعليم التي مازال يذلك بها والدك كلما رأى وجهك أمامه فلقد رفضت كل الوظائف التي أحضرها لك أصدقائه متحججًا بأنك لابد أن تعمل بشهادتك، فقل لي من في هذا البلد يعمل بشهادته ؟؟

حتى إنك رفضت أن تسرح بعربية الترمس على الكورنيش وربما مازلت تأخذ مصروفك من والدتك قبل الخروج من المنزل بدون علم والدك، فلقد رفض كبرياؤك حتى بيع الذرة المشوية على الطريق كما تمردت على عربة الترمس من قبلها، يبدو أنك نمرود ولا يعجبك شيء ولا مهنة بالحياة

فقل لي فماذا ستفعل لتحقيق أحلامك الكثيرة وطموحاتك التي لا تنتهي ولا تتوقف عند شيء ؟

إنـه أمـرٌ بسـيط فـما عليـك عملـه أن تقـوم بتحضـير جنـي قـوي يلبـي لـك كل رغباتـك وكل مـا تريـد ويحقـق لـك كل مـا تتمنـى في الحيـاة، فهـل تـرى؟ فـإن الحيـاة سـهلة وبسـيطة ولا تحتـاج للكثـير مـن التعقيـد والتفكـير الكثـير ولا بيـع الـذرة ولا الترمـس في الطرقـات ...

نعم ..

تحـضر جنـي ولقـد قـرأت الكلمـة جيـدًا ولم تخطئهـا عينـاك، جنـي ولكنـه ليـس كجنـي عـلاء الديـن الـذي خـرج لـه مـن المصبـاح لينفـذ لـه كل مـا يريـد فليسـت الحيـاة بتلـك السـهولة والبسـاطة، كـما أنـه لم تعـد هنـاك فوانيـس سـحرية تبـاع تلـك الأيـام للأسـف ، وإلا لابتـاع كلا منـا واحـدًا فلقـد تغـير كل شيء فى الحيـاة فلـم تعـد الفوانيـس مسـحورة كـما كانـت مـن قبـل، فـما عليـك سـوى أن تحـضره بنفسـك ..

نعـم سـتتعب قليـلًا ولكـن لا يهـم، فهـذا أفضـل مـن بيـع الترمـس والـذرة في الطريـق ألا تتفـق معـي في هـذا ؟ .

سـتجلس في غرفـة مظلمـة وحيـدًا إلا مـن شـمعة مشـتعلة بعـد منتصـف الليـل، سـتتلو بعـض الكلـمات مصحوبـة باسـم الجنـي بصـوت عـالٍ يهـز جـدران المنـزل فالجنـي يحـب أن تتوسـل إليـه فكـرر الكلـمات ٣٣ مـرة بنفـس القـوة لا تخـف وكـن قويًـا .

بعـد قليـل انتظـر ستسـمع نقـرًا خفيفًـا عـلى الجـدار، كأن هنـاك مـن يسـتأذنك بالدخـول، هـا قـد حـضر صاحبنـا أحـد عـمار المنـزل لا تـتردد كثيرً ا

اسـمح لـه بالعبـور وأعطـه الإذن وقـل لـه تفضـل أيهـا العامـر، واطلـب منـه أن يثبـت وجـوده ويحـرك لـك بعـض الأشـياء ولكـن حـذار فابتعـد عـن أي شيء بتلـك اللحظـة فربـما قذفـك بهـا في وجهـك

فيفقدك الوعي أو يعجبه جسدك فتخذة مسكنًا له، فكن حريصًا و أذكى منه، و أبعد أي شيء ثقيل من الغرفة قبل التحضير..

ها قد أثبت الجني وجوده وشاهدت الأشياء تتحرك بالغرفة بمفردها، أغمض عينك قليلًا و خذ نفسًا عميقًا واستعد لما هو قادم لتنفيذ أوامره..

نعم أوامره هو التي سيشيب لها شعر رأسك قريبًا فلا تقلق يا عزيزي ..فكل شيء سيمر سريعًا

فربما تمنيت الموت والخلاص من حياتك وقتها لتتخلص من مطاردته لك ومطالبه التي لا تنتهي، فكلما أحضرت له شيئًا طالبك بالمزيد ولن يتوقف ووقتها ...فلقد أعجبه الأمر بشدة وأعجبته حياتك حتى عربية الترمس التي تمردت عليها ورفضتها فلقد أعجبته وأصبحت أنت وكل ما تملك ملكه هو.

فإن كنت تعتقد بأنه بإمكانك اصطياده فأنت مخطئ..

فحتى الجن تغيروا كثيرًا هذه الأيام ولم يعودوا مسالمين كما كانوا من قبل ...ثق في ذلك

د: منى حارس

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

الدرويش

جلست شاردة الذهن على مقعدها بالطائرة تنظر إلى النافذة الزجاجية بجوارها بشرود وجلس هو بالمقعد المجاور لها ينظر إليها بغضب وحنق بوجه عابث فلقد أصر على السفر معها و عدم تركها تعود إلى مصر بمفردها بعدما أصرت على الرحيل أمس.

فترك القافلة وترك كل شيء خلف ظهره في غينيا وعاد معها إلى مصر من أجلها فقط.

فهي أول و أخر حب في حياته كلها فلم يشاء أن يتركها وهي بتلك الحالة الغريبة والهذيان، ولكنها لم تقدر كل هذا وما فعله من أجلها، فلم تتكلم أو تفتح فمها بكلمة واحدة منذ أن غادرا الفندق بغينيا وحتى استقلا الطائرة عائدين إلى مصر.

لم تشكره حتى على ما فعله معها أمس وإنقاذها من أيدي الأفارقة المحليين بالسوق هي وزميلاتها.

فلولا وجوده بتلك اللحظة لكانوا فتكوا بهن وأكلوهن أحياء!!

أخذت مضيفة الطائرة تردد بالانجليزية بصوت رقيق :

«على جميع السادة الركاب الالتزام بمقاعدهم والتأكد من ربط أحزمة الأمان ستقلع الطائرة بعد لحظات»

كانت هي شاردة تمامًا في زمان ومكان أخر لا تشعر بأي شيء يدور حولها ولا حتى بوجوده بجوارها على متن تلك الطائرة العائدة إلى الوطن فكانت تفكر في ذلك الحلم الغريب الذي راودها أمس .

فلقد رأت الشيخ الجليل الذي كان يزورها من وقت لأخر وكانت تشعر بالأمان والراحة لمجرد النظر إلى وجهه المنير ولكنه كان غاضبًا منها تلك المرة بشدة رغم أنها لم تفعل شيئًا ولا تدري لماذا هو غاضب منها فلقد نفذت ما كان يريد، وابتعدت عن كل شيء عن المنزل وعن أختها وعن مصر كلها وتركت كل شيء خلف ظهرها ورحلت إلي غينيا ؟؟

حاولت أن تسأله عن سبب غضبه منها وما معنى كلام تلك المخرفة المجنونة والتي أخبرتها بأنها جلبت الشر معها إلى البلاد، تلك المرأة الإفريقية السوداء التي يلقبونها بساحرة فودو؟

هي لا تفهم و لا تعرف حتى معني الكلمة ربما عرفت معنى كلمة ساحرة أي مشعوذة ودجالة تمارس السحر الأسود أو الأحمر حتى لا يهم اللون ولكن ما معنى كلمة فودو فهل حقا هي ديانتهم هناك ؟!

هزت رأسها بعنف بأنها لا تعرف، وكان هو لم يزل ينظر إليها بغيظ وغضب فمنذ أن قررت السفر وترك القافلة الطبية الوقائية التي أرسلتها وزارة الصحة إلى غينيا وغادرت الفندق وحتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة معه، ولم تشكره حتى على مساعدته و إنقاذها

مـن الأفارقـة بالسـوق الذيـن كانـوا سـيفتكون بهـم يومهـا بسـبب كلام تلـك المشـعوذة الشـمطاء التـي يلقبونهـا بسـاحرة الفـودو التـي صرخـت في النـاس بـأن الفتـاة جلبـت الـشر معهـا إلى البـلاد فتوتـر الموقـف بشـدة وكادوا يقتلـون الفتيـات بالسـوق وربـما سـلخوا جلودهـن وعلقوهـن بشـجرة السـحرة هنـاك.

فقال محمود بغضب يشوبه القلق :

ـ نيرمين هل أنت بخير الآن..؟

ولكنهـا لم تـرد عليـه أو تسـمع حتـى سـؤاله فكانـت مشـغولة العقل والفكـر في عـالم أخـر تحـاول ربـط كل تلـك الأمـور برأسـها لتصـل إلى أجوبـة مقنعـة عـما يحـدث لهـا ولمـن حولهـا ، ففكـرت بـأن كل مـا يحـدث لهـا بسـبب وصيـة الأم قبـل موتهـا ..

فهزت رأسها بمعنى لا ...

وهمست لنفسها :

ـ لا إن الوصيـة ليسـت البدايـة بـل إن تلـك الكوابيـس اللعينـة التـي كانـت تهاجـم أمهـا ومرضهـا الغريـب وذلـك الدرويـش الـذي كان يطـارد الأم في أحلامهـا هـم البدايـة...

وهنـا عـادت بذاكرتهـا لتتذكـر فعـبرت بذكرياتهـا حـدود الزمـان والمـكان لتقـف عـن بدايـة قصتهـا هنـاك في الإسـكندرية وخصوصًـا في منطقـة أبـو قـير ..

البداية

وقف بثبات بثيابه البيضاء الواسعة فوق ذلك الجبل العالي ينظر إليها بغضب وبعيون واسعة مشقوقة طوليًّا زرقاء .

لم تكن تستطيع رؤية شيء منه سوى عينيه الزرقاء المشقوقة طوليًّا وليس عرضيًّا كباقي البشر وحدقته البيضاوية، وليست دائرية كباقي البشر وأذناه الطويلة الشبيهة بأذن الحصان، وشعره الأسود الطويل إلى أسفل ركبتيه كانت بشرته سوداء قاتمة كالأفارقة شكله غريب ومفزع يثير الرعب في النفس والاشمئزاز معًا، كان طويل القامة يصل طوله لأكثر من مترين ووجهه طويل على شكل مستطيل .

من هو لا تدري؟! من يكون إنه شيخٌ كبيرٌ يرتدي « جلباب فضفاض أبيض طويل « يتطاير مع الهواء الشديد من حوله يمينًا ويسارًا

ولكنه بالرغم من الرياح الشديدة والهواء الذي يحرك كل شيء بجانبه وقف هو بثبات ينظر لها من أعلى قمة الجبل، كانت هي خائفة مذعورة لا تعرف أين هي ؟ ومن هذا الشيخ؟

ومن أتى بها إلى ذلك المكان الغريب وهمست لنفسها بتعجب كيف تستطيع رؤية وجه الدرويش رغم ارتفاع الجبل ؟

هزت رأسها بعنف وهي تردد :

– درويش ومن قال لي بأن الرجل درويش ؟

وهنا ذكرتها الكلمة بزوجها فلقد علمها كيف تتعرف عليهم وتتعامل معهم، فهم أصحاب كرامة ومن أولياء الله الصالحين، فإن رأت درويشًا لابد من تنفيذ أوامره مهما كانت مستحيلة، كانت تعرف بأن زوجها كاذب ومخادع ودجال ولكنها كانت تصدق وتؤمن بالدراويش أصحاب الكرامات والذين يجب أن يطاعوا وتنفذ أوامرهم في الحال .

قالت بصوت مهزوز خرج بصعوبة من حلقها الجاف :

–ماذا تريد مني أيها الدرويش ؟؟

لم يرد عليها الرجل ولم تسمع صوته ولكنه أشار بيديه إلى طفلتين صغيرتين لا تستطيع تفريقهما عن بعض من شدة تشابههما، توأم متماثل كانتا تجلسان بجواره فوق الجبل بدون ثياب تلهوان و تلعبان بالحصى...

تحبو إحداهما نحو الهاوية حتى كادت تسقط من فوق الجبل وهنا صرخت المرأة بفزع ليست من يد الدرويش التي تنتهي بثلاث أصابع طويلة بنهايتها شيء يشبه المخلب ولونه أسود ومثني بطريقة غريبة وتثير الغثيان ولكنها صرخت؛ لأنها عرفت الطفلتين إنهما بناتها التوأم « نيرمين و ناردين».

أخذت الطفلة الصغيرة نيرمين تحبو إلى حافة الجبل، ووضعت إحدى يديها على سطح الجبل والأخرى في الهواء وهمت بإكمال طريقها فإن تحركت الصغيرة حركة أخرى ووضعت يداها ستضعها على الهواء وستسقط من فوق الجبل لا محالة صرخت الأم بفزع :

-لاااا نيرمين ارجعي يا ابنتي..بالله عليك

وهنا نظر الرجل إليها وشاهدت شبه ابتسامة ساخرة على شفتيه الكبيرتين المقلوبة للخارج صرخت متوسلة بفزع :

-أرجوك أبعدها عن الحافة أيها الدرويش ستسقط ابنتي وتموت...ابتعدي يا ابنتي .

وهنا تحركت الطفلة فسقطت من فوق الجبل العالي وهنا سمعت صوت الرجل يصرخ بصوت عالٍ :

-أعيدي النسل إلى صاحبه وإلا هلك ...أعيدي النسل إلى صاحبه وإلا هلك.

صرخت الأم وهي تبكي بلوعة ترى ابنتها تسقط أمام عينيها ولا تستطيع فعل شيء لإنقاذها وصوت الدرويش يتردد بأذنيها :

-أعيدي النسل إلى صاحبه وألا هلك ...أعيدي النسل وإلا هلك..

صرخت ودموعها تتساقط بحسرة وقلبها يتمزق بألم :

-نيرمين لا تموتي يا ابنتي .... نرمييييييييييييييييييييييييين

وهنا شعرت بمن يدفعها بقوة ويهز جسدها وسمعت الصوت يتردد بعقلها :

-استيقظي يا أمي بالله عليك، إنه كابوس يا حبيبتي ..هل هو نفس الكابوس الذي يراودك منذ مرضت يا أمي .؟؟

لم ترد على الفتاة...

فتحت المرأة عينيها ببطيء وهي تنظر حولها بفزع ..فوجدت نفسها ممدة على فراش وفي حجرة صغيرة بها سرير ودولاب صغير

ومائـدة عليهـا الكثـير مـن الأدويـة ودورق كبـير للـماء وكـوب مـاء صغـير فـارغ.

وفتـاة شـابة تجـاوزت العـشرون عامًـا بقليـل ذات وجـه أسـمر وعيـون سـوداء واسـعة وأنـف كبـير قليـلًا مثقـوب مـن الجنـب الأيـسر و تضـع بـه حلـق ذهـب صغـير، وشـفتان رقيقتـان وشـعر أسـود قصـير بالـكاد يغطـي أذنيهـا وممتلئـة الجسـد قليـلًا وتطيـل أظافرهـا بطريقـة غريبـة ترتـدي قميـص نـوم قطـن قصـير أخـضر اللـون عليـه رسـمة كبـيرة لإحـدى رسـوم ديـزني الشـهيرة بـدون أكـمام فيظهـر إحـدى الرسـومات الغريبـة المرسـومة بطـول الـزراع مـن بدايـة الكتـف وحتـى نهايـة الكـوع، إنـه وشـم كـما يسـمونه ولكنـه غريـب فـلا أحـد مـن صديقاتهـا اسـتطعن تقليـده أو فهـم ماهيتـه.

كان الوشـم عبـارة عـن مخلوقـات غريبـة تشـبه البـشر كثـيرًا، ولكـن عيونهـا مختلفـة فهـي مشـقوقة بالطـول ولونهـا أحمـر وحدقتهـا بيضاويـة وليسـت دائريـة ولونهـا أحمـر دمـوي، لهـم آذن طويلـة كأذن الحصـان كانـوا يقفـون عـلى قدمـين عاريتـين ذات أصابـع طويلـة ولـكل منهـم ذراعـان مـن الجوانـب كالبـشر وذراع آخـر ثالـث خـرج مـن منتصـف البطـن كل ذراع ينتهـي بثلاثـة مخالـب سـوداء مثنيـة وكل كائـن يمسـك بـذراع الآخـر ويصنعـون دائـرة مغلقـة إلا الكائـن الأخـير فلقـد مـد إليـه مـن بجـواره يـده ليكمـل الدائـرة ولكنـه وقـف يبتسـم سـاخرًا ولم يكملهـا ...كان المخلـوق الأخـير هـو الوحيـد الـذي يرتـدي ثيـاب بالوشـم وباقـي المخلوقـات عرايـا بـدون ثيـاب يغطـي جسـدهم شـعر أسـود طويـل إلا رؤوسـهم فكانـت صلعـاء لم تكـن بهـا شـعره واحـدة ..هـو الوحيـد الـذي لـه شـعر طويـل يمتـد إلى أسـفل ركبتيـه حـاول الكثيريـن تقليـد الوشـم ولكنهـم لم يسـتطيعوا مـن شـدة إتقانـه ودقتـه؛

فلقد رسمته الفتاة بنفسها على ذراعها وكان كل من يراه يتعجب كيف استطاعت الفتاة التحكم بالإبرة ورسمه على ذراعها الأيسر، ولكنها كانت موهوبة منذ الصغر بالرسم والزخرفة ...لم تكن الفتاة متفوقة بدراستها فاكتفت بدبلوم صنايع قسم زخرفة وبعد الدبلوم عملت بإحدى مراكز الوشم الشهيرة بإحدى مراكز التجميل الكبيرة فكانت الفتاة ماهرة وبارعة في الرسم على الجسد.. ورسم الوشم في أي مكان بالجسد فرسوماتها كلها غريبة ومميزة ولا أحد يستطيع تقليدها ومنافستها في مهنتها ..

إنها ناردين ابنتها ..

كانت الفتاة تقف فوق رأسها وتمسك بكوب من الماء البارد قائلة:

-إنه كابوس يا أمي لا تقلقي أنتِ بخير ..فمنذ مرضك وتهاجمك الكوابيس ولا تريدين إخباري عن هذا الكابوس ؟؟؟

صرخت الأم بلوعة:

-أين أختك نيرمين ؟؟

-إنها بالمستشفى يا أمي لا تقلقي عليها فهي بخير اهتمي بصحتك أنتِ، وخذي الدواء .

وهنا مدت يدها بالدواء للأم وكوب الماء فشاهدت الأم الوشم على ذراع ابنتها وشاهدت ابتسامة الكائن الساخرة على ذراعها فصرخت بفزع :

-الدرويش لماذا ترسمين الدرويش على ذراعك يا ناردين وهنا زفرت الفتاة بقوة ، فلقد تناست و أتت الغرفة دون أن ترتدي

شيء بأكمام لتخفي الوشم من على ذراعها فأمها لا تحب الوشم ولا تحب رسوماتها الغريبة التي ترسمها

فردت الفتاة :

-اهدئي يا أمي من فضلك فهذا ليس درويش ولا أي شيء أخر إنها رسمه رسمتها عادية وشم يا أمي وليس ما تقولين.

نظرت لها الأم بفزع و هي ترى الدرويش بذراع ابنتها يبتسم لها ساخرًا فتذكرت الحلم وسقوط ابنتها نيرمين من فوق الجبل وأخذ كلامه يتردد في عقلها :

-أعيدي النسل إلى صاحبه ...

وهنا صرخت في وجه ابنتها:

- اتصلي بأختك وقولي لها أن تعود إلى البيت الآن هل تفهمين يا ناردين؟ فليس هناك وقت لكل هذا فلقد اشتد المرض وحانت لحظة النهاية أنا سأموت وأريد رؤية أختك الآن.

صرخت ناردين بفزع ودموعها تتساقط على خدها:

-لا تقولين هذا الكلام يا أمي أرجوك ...أنتِ بخير..فلا تهولين الأمور من فضلك.

-لا يا ناردين أنا لست بخير ..أريد رؤية نيرمين الآن قبل فوات الأوان فلابد أن أخبركما بشيء هام يا ابنتي اتصلي بها بالله عليك سريعًا فلقد حان وقت الرحيل.

أسرعت الفتاة تغادر الغرفة وهي تبكي لتتصل بأختها التوأم المتماثل نيرمين كانت تعلم بأن أمها ليست بخير فلقد انتشر الورم في كل جسدها كما أخبرهم الطبيب بطريقة غريبة ومرة واحدة ...

وبالرغم بأنه كان ورمًا حميدًا وحجمه صغير وتم استئصاله ولكنه انتشر بعدها بالجسد بدون سبب وليس هناك أمل في العلاج وكان الموت رحمة بها لترتاح من آلامها المبرحة التي تحاول أن تداريها عنهما.

ولكنهما كان يشعران بها ويشعران بآلامها الشديدة وعذابها وكان يتمنيان لها الموت رأفة بحالها.

فلقد تعبت معهما وربتهما عندما مات أبوهما وهما صغيرتان لا تعيان شيئًا عن الدنيا ولا حتى يتذكران شكله.

فكل ما يعرفانه في الدنيا هي أمهما التي تعبت من أجلهما ومن أجل أن توفر لهما حياة كريمة من مأكل ومسكن ومشرب وتعليم وكل شيء، فكانت تعمل في أحد مصانع الملابس الجاهزة عاملة.

وبعدها اشترت ماكينة خياطة وكانت تخيط الملابس للنساء والأطفال بجانب عملها بالمصنع، فكانت الأم تحاول أن توفر لبناتها حياة كريمة ولا تجعلهما يحتاجان شيء من أحد وخصوصًا بأنهما وحيدتان بالدنيا وليس لهما أي أقارب بعد موت خالهما حسام الذي كان يزورهما من وقت لآخر عندما كانتا صغيرتين.

ولكنه مات في حادث سيارة وأصبحن وحيدات بالحياة وبدون سند وها هي الأم يبدو بأنها سترحل هي الأخرى وتتركهما وحيدتان بالحياة.

أسرعت ناردين لتحاول الاتصال بأختها التوأم نيرمين بالمستشفى الميري التي تعمل بها، فلقد تخرجت أختها من معهد التمريض وتم تعينها بإحدى المستشفيات الحكومية بمحافظة الإسكندرية، كانت المستشفى بعيدة عن المنزل الذي يقيمون فيه

بأحد أحياء أبوقير، وكان الوقت منتصف النهار وهي تعلم بأن أختها لن تصل في الوقت المناسب أبدا فحالة أمها ساءت كثيرًا عن أمس تمنت ناردين من الله أن تصل أختها سريعًا وتشاهد الأم وتريح قلبها حاولت دعاء الله، ولكنها لم تستطع وكيف تدعو الله وهي تعرف بأنه غاضب منها ولن يتقبل دعائها هي تعلم بأنها عاصية مخطئة لا تصلي أو تركع لله لا تؤدي فروضها وما يجب عليها فعله كمسلمة، لا ترتدي الحجاب فهي تؤمن بأنها مسألة شخصية ولا يحق لأحد غيرها أن يتدخل في حياتها، كما أنها تعمل برسم الوشم فتدق الرسوم بالإبرة على الجسد فتخرج الدماء وتصبغ الرسم بالأصباغ والألوان ليحل محل الدم الذي يسيل حتى لا تمحي الرسم فتصبغ الجلد وهي تعرف بأن مهنتها حرام فلقد حرم النبي عليه الصلاة والسلام الوشم وتغيير خلقة الله التي خلق الإنسان عليها بتغيير لون جلده.

هي تعرف ذلك ولكنها تحب مهنتها ولا تستطيع التخلي عنها فهي تجلب لها أموالًا كثيرة وهي تحتاجها لمصاريفها الشخصية وحياتها وثيابها وتحتاج الأموال لأشياء كثيرة فليس هناك من يصرف عليها قرشًا واحدًا بعد مرض الأم طريحة الفراش منذ شهور فمن سيهتم إن كان مصدر الأموال حرام أم حلال الآن .

ولكنها تتمنى من الله أن يغفر لها ويسامحها ويتقبل منها الزكاة التي تقوم بإخراجها لتطهير أموالها .

فعلى من تضحكين يا صغيرتي على الله ؟

رفعت ناردين سماعة الهاتف الأرضي لتتصل بالمستشفى التي تعمل فيها أختها فلقد كان تليفون أختها المحمول مغلق :

-مـن فضلـك أعطينـي الممرضـة نيرمـين درويـش السـيد فـإن الحالة طارئـة وأمهـا تموت.

-إنها بغرفة العمليات يا أنسة عندما تخرج سأبلغها

-لا أرجوك الآن فليس هناك وقت وأمها تموت وتريد رؤيتها.

-سأرسل في إبلاغها وأرسل من تحل مكانها لا تقلقي يا آنسة .

أغلقـت ناردين السماعة وهـي تدعـو الله أن تـأتي نيرمـين في الوقـت المناسـب فهـي تشـعر بالراحـة بوجودهـا معهـا، فهـي تعـرف نفسـها بأنهـا متهـورة ومجنونـة أحيانًـا، ولكـن نيرمـين توأمهـا المتماثـل هـي مـن تعيدهـا دائـمًا للطريـق الصحيـح فهـي تسـتمد القـوة بوجـود أختهـا بحياتهـا همسـت بلوعـة:

-أيـن أنـتِ يـا نيرمـين الآن فأنـا احتاجـك يـا أختـي وأمك تمـوت.. فـلا تتأخريـن أرجـوك فليـس هنـاك وقت..

****

هـل حقيقـة بـأن التـوأم يسـتطيعان التواصـل مـع بعضهـما البعـض حتـى ولـو بعـدت بينهـما المسـافات فهـذا مـا حـدث هنـا فلقـد سـمعت نيرمـين اسـتغاثة أختهـا وطلبهـا للمسـاعدة ..

كانـت صـورة طبـق الأصـل مـن أختهـا مـع اختـلاف الأنـف فلقـد كانـت نيرمـين أنفهـا أصغـر قليـلًا وكان شـعرها أسـود ناعـم طويـل، ولكنهـا كانـت تغطيـه فلقـد كانـت محجبـة وملتزمـة بعكـس أختها التـوأم..

شـعرت نيرمـين بالارتبـاك وعرفـت بـأن شيء سيء قـد حـدث لأمهـا فهـي تسـمع صـوت ناردين تسـتغيث بهـا وتنـادي عليهـا وهـي تبكـي فسـقط المشرط الطبـي مـن يديهـا وهـي تناولـه للطبيـب الـذي نظـر لهـا غاضبًـا ..وقـال بغضـب:

– ماذا حدث لك يا نيرمين هل جننت يا فتاة ؟

–اعتذر يا دكتور كمال ولكني أشعر بأن أمي مريضة بشدة وتحتاجني الآن .

كان الرجل هو الذي يتابع حالة الأم لذا لم يتكلم فهو يعلم بأن الأم ستموت خلال أيام

كانت حالة أمها هي أغرب حالة واجهها في حياته بالرغم من أنه أكبر الجراحين في مصر والعالم العربي لعلاج واستئصال الأورام ولكنه كان مندهش من تلك المريضة .

فلم يكن الأمر سوى ورم صغير جدًا بالثدي كان حجمه كحبة العدس ..

لا يشكل أي خطورة وعند عمل التحاليل وأخذ العينة كان ورم ليفي حميد ولكنه خلال شهر واحد انقلب إلى ورم خبيث وانتشر بكل خلية بالجسد وكانت من الحالات المرضية التي وقف أمامها عاجزًا ؟؟

وهنا فتحت غرفة العمليات لتدخل إحدى الممرضات وتهمس في أذن نيرمين ببعض الكلمات فتخرج نيرمين مسرعة وهي تبكي دون أن تستأذن من الطبيب فنظر هو لها بقلق كان يعرف بمدى ألمها ومرض أمها فتسأل بضيق :

–ماذا حدث يا سعاد وماذا قلتي لنيرمين

– أمها مريضة يا دكتور كمال واتصلت أختها لتقول بأنها تموت وتريد رؤية نيرمين قبل الرحيل.

– رد بحزن :

– كانت ستموت على كل حال فحالتها متأخرة للغاية وانتشر السرطان في كل خلية من جسدها بسرعة كبيرة ويقف الطب عاجزًا عن معرفة السبب ...

فهز رأسه بأسى وأكمل قائلًا :

رحمها الله فهذا أفضل لها من تلك الآلام التي تعانيها تلك المرأة

استمع هو إلى الحوار وكان يشعر بالحزن الشديد على تلك الفتاة الرقيقة التي أحبها وتمنى الارتباط بيها يومًا

ولكن الظروف ومرض أمها منعته من التقدم والارتباط بها ..

إنه محمود زميلها الممرض بنفس المستشفى ..كان شابًا وسيمًا يمتلك شعر بني وعيون بنيه وبشرة قمحية وطويل القامة ويعمل بقسم الطوارئ بالمستشفى كان يكبرها بثمانية أعوام فها هو في بداية الثلاثين من عمره فكان عريسًا ممتازًا فعنده شقة في بيت عائلته وحالته المادية معقولة فيستطيع فتح بيت وتكوين أسرة ولكن ظروف مرض الأم غير كل شيء .

****

لا تدري نيرمين كيف وصلت إلى منزلها بتلك السرعة فلم تبدل حتى ثياب العمل فلقد استقلت تاكسي بعد أن كاد يدهسها تحت عجلاته فسقطت على الأرض وبعدها وقفت تبكي بعنف أمام سيل الشتائم والسباب من السواق.

ولكنها عندما أخبرته بأن أمها تموت ..عرض عليها توصيلها إلى منزلها ...لم ترد أو ترفض فكانت تتمنى أن يكون التاكسي طائرة

لتوصلهـا سريعًـا ...فسـلك الرجـل طريـق البحـر ليصـل سريعًـا ولم يـسر مـن شـارع أبـو قـير.

دخلـت نيرمـين الغرفـة وهـي تبكـي فوجـدت الأم ممـدة عـلى فراشـها وبجوارهـا أختهـا التـوأم ناردين وهـي تمسـك بيـد الأم تقبلهـا بحـزن وتبكـي...

فقالت بتوتر وبصوت مبحوح :

-ماذا حدث يا أختي هل أمي بخير؟؟

نظرت لها الأم بفرح ثم همست :

-سأعيد النسل إلى صاحبه أيها الدرويش ....

الفصل الثاني
المفاجأة

دخلت نيرمين تبكي لتلقي بنفسها بين ذراعي أمها المريضة وهي تتساءل:

- ماذا حدث يا أمي هل أنتِ بخير؟

نظرت الأم إليها بحنان وهي تربت على رأسها قائلة:

- الحمد لله أنك أتيتِ في الوقت المناسب يا نيرمين فأنا أريد أن أخبرك أنت وأختك بشيء هام ..

وهنا قاطعتها نيرمين وهي تبكي:

ـ لا تجهدي نفسك بالكلام يا أمي سوف يصل الدكتور كمال في أي لحظة فلقد تركت له خبر وسوف يأتي عندما يخرج من غرفة العمليات ..

قاطعتها الأم وهي تحاول الابتسام :

- ليس هناك ضرورة يا ابنتي فقط اسمعيني أنت وأختك ولا تقاطعاني ..لم تتكلم نيرمين بل نظرت إلى عيون أختها بحيرة فهزت ناردين رأسها من بين دموعها بمعنى إنها لا تفهم شيئًا.

قالتا بصوت واحد :

- حاضر يا أمي كما تريدين ..

نظرت لهما الأم طويلًا وأخذت نفسًا عميقًا ثم نظرت إلى الوشم على ذراع ابنتها و إلى صورة الدرويش الذي مازال يضحك بسخرية وكأنه لا يعجبه ما يحدث أمامه ويسخر منه أبعدت عينها عن ذراع ابنتها ثم قالت بألم:

ـ أرجوكما لا تقاطعاني حتى أنتهي فليس هناك وقت ..

نظرت إلى عيونهما طويلًا فرأت الحيرة والتوتر والقلق، فحسمت قرارها وقررت أن تخبرهما السر الذي أخفته عنهما أكثر من عشرين عامًا قالت الأم بصوت ضعيف خائف متوتر:

ـ أريدكما أن تعرفا بأن والدكما مازال على قيد الحياة شهقت الأختان في نفس الوقت واتسعت عيونهم تعجبًا. ماذا تقول الأم؟ هل فقدت عقلها وتهذي وهي على فراش الموت ؟ فقاطعتها ناردين :

- ماذا تقولين يا أمي ؟؟

- أرجوك يا ابنتي لا تقاطعيني واستمعا لي جيدًا ، حتى أنهي حديثي أقسم لكما بأن والدكما مازال على قيد الحياة هو وجدتكم وعمتكم ولكنهم يعيشون بمحافظة أخرى لقد أخذتكما عندما كنتما صغارًا لم تكملا عامكما الأول وهربت من المنزل إلى الإسكندرية واستأجرت تلك الشقة وبحثت عن عمل إلى أن وفقني الله بالعمل بأحد المشاغل كانت صاحبته رحمها الله سيدة طيبة ساعدتني كثيرًا قبل موتها وبعدها عملت بمصنع للملابس وتعلمت الخياطة و سارت الأمور على ما يرام واستطعت أن أعلمكما وأربيكما،

ولا احتاج شيئًا من أحد بفضل الله كان أملي في الحياة أن تزفا على بيتكما و أطمئن عليكما ولكنها إرادة الله فلن أستطع أن أكمل المشوار.

وهنا قالت نيرمين بحيرة :

- ولكني لا أفهم ما تقولين، هل أبونا مازال على قيد الحياة ولم يمت كما أخبرتينا؟ ولكن لماذا فعلت ذلك بنا يا أمي؟

- لا أستطيع أن أخبركما الآن يا نيرمين ولكنما ستعرفان الحقيقة يومًا ما يا ابنتي .

- قاطعتها ناردين بغضب مرة أخرى وهي تصيح:

- لا ... ليس من حقك فلابد أن نعرف الآن فلقد حرمتنا من العيش مع أبينا ومن حنيته واهتمامه بنا.

ولا تريدين إخبارنا السبب فلماذا أخبرتينا إذا الآن ..وهنا قاطعتها نيرمين بغضب :

- اهدئي يا أختي فأمك لن تتحمل هذا الكلام الآن ونحن لا نفهم شيئًا اصبري حتى تنهي كلامها.

وتخبرنا لماذا فعلت ؟

نظرت لهما الأم طويلًا وبدأت دموعها تتساقط على خدها وهي ترى نظرات الاتهام والاستنكار في عيون بنتيها، فلقد فعلت ما فعلت من أجلهما هما، ولكنهما لا يفهمان شيئًا ويحاسبنها الآن وهي لا تستطيع شرح الأمر لهما قالت الأم :

- استمعا لي فأنا لم أفعل ما فعلت إلا من أجلكما أنتما وستفهمان كل شيء في الوقت المناسب وستعرفان بأنني فعلت الصواب، ولكني

الآن أريدكما بعد موتي أن تذهبا إلى منزل أبيكما وتعيشان معه هل تفهمان؟ فهذا أخر طلب لي ورجاء بالحياة يا فتيات فأبوكما يريد رؤيتكما وأريد أن أموت وأنا مستريحة الضمير.

صاحت ناردين:

– مستريحة الضمير وكيف ولقد حرمتنا سنين طويلة من أبينا وعشنا أيتامًا، لكم تمنيت أن يكون لي أب يأخذني في حضنه وأريح رأسي على كتفه و أشكو له حالي ولكنك بأنانيتك حرمتنا منه فأنا أريد أن أعرف لماذا يا أمي فعلت هذا بنا وهذا حقي فلن أسامحك إلا أن تخبريني الحقيقة كاملة؟

– أخذت الأم تردد كلام ناردين بألم :

– لن تسامحيني يا ناردين وأنا على فراش الموت سامحك الله يا ابنتي على قسوتك قاطعتها بقسوة:

– نعم لن أسامحك إلا بعد أن أعرف الحقيقة ولماذا فعلت ما فعلت فهذا حقي؟؟

نظرت لها الأم طويلًا ثم التفتت إلى ابنتها الأخرى نيرمين التي كانت تبكي بقهر وقالت :

– خذي يا نيرمين فمدت يدها بورقة وخاتم غريب الشكل مصنوع من الفضة له فص أسود كبير

وفي منتصف الفص تجويف على شكل قلب صغير ومربوط بالخاتم ورقة صغيرة فأكملت قائلة بألم:

– خذي يا نرمين فتلك الورقة بها عنوان والدكما بالقاهرة واحتفظي بالخاتم والورقة الأخرى فهي ملك لصديقة لي تدعى « أم نوفل» تعيش أيضًا بالقاهرة اذهبي إليها يا ابنتي وأعيدي لها الخاتم،

و أخبريها بأن صاحبته قد رحلت وأعادت الأمانة إلى صاحبها ولكن لا تحاولي الاتصال بالمرأة إلا بعد موتي بأربعين يومًا، وإن أردت وقتها معرفة الحقيقة ستخبرك وقتها أم نوفل كل شيء .

أخذت نيرمين الورقة و الخاتم وهي تبكي لا تدري ماذا تفعل هل تسامح الأم أم لا ولكن كيف لا تسامحها وهي على فراش الموت ولقد تعبت معها كثيرًا، هي لا تنكر ذلك ولكنها لا تفهم شيئًا عما يحدث .

نظرت لها الأم طويلًا ثم قالت :

– هل تسامحانني يا بناتي على ما فعلت ؟؟

لم ترد أي منهما ولكن ناردين نظرت لها طويلًا ثم قالت بغضب وهي تشعر بالغيظ لأنها فضلت نيرمين عليها وأعطتها الخاتم وعنوان الأب ويبدو بأن الخاتم ثمين وسعره غالٍ فلماذا تفضل أختها عليها دائمًا بالأشياء الأفضل منذ أن كانتا طفلتين وهي تحب نيرمين عنها هي تعرف ذلك جيدًا فقالت بغضب:

– لا لن أسامحك على ما فعلت إلا بعد أن أعرف لماذا ..؟؟

وبعدها غادرت الغرفة بغضب وهي تزفر بقوة

نظرت لها الأم بحزن ولم ترد بل نظرت برجاء إلى عيون ابنتها الأخرى فقالت نيرمين بحيرة ومن بين دموعها :

– أسامحك يا أمي لا تقلقين يا حبيبتي فأنا أعرف بأنك تحبيننا وضحيت من أجلنا كثيرًا ..

– الحمد لله يا رب أشكرك فأنا أعرف بأن أختك ستسامحني يومًا وتعرف لماذا قمت بإبعادكما عن أبيكما فهذا لمصلحتكما يا حبيبتي ...وستعرفان غدًا صحة كلامي..

شهقت الأم بألم :

– اذهبي إلى أم نوفل بعد الأربعين من موتي يا نيرمين واخفي الخاتم والعنوان عن عيون أختك حتى لا تذهب قبل الموعد واذهبا للعيش في كنف والدكما لا تجلسا بالمنزل يومًا واحدًا بعد موتي فهذه وصيتي ولابد من تنفيذها حتى أستريح في قبري و يستريح الدرويش هو الآخر ويتركني أستريح ولا يعذبني ..

رددت الفتاة :

– درويش أي درويش يا أمي أنا لا أفهم شيئًا؟؟

– ستفهمين كل شيء يا حبيبتي في الوقت المناسب وليس الآن، أوصيك بأختك إياك أن تتركيها مهما حدث من خلاف بينكما فليس لكما سوى بعضكما فلا تفترقان مهما بعدتكما الخلافات يا نيرمين.

هل تفهمين ما أقول يا حبيبتي ؟!

شهقت الأم بألم وهي تنظر إلى الخاتم في يد ابنتها وتتذكر صديقتها الوحيدة بالحياة « أم نوفل » لكم تمنت أن تراها قبل الموت ولو مرة واحدة ولكنها لم تستطع أن تفعل من خوفها من زوجها وقوته تذكرت صديقتها البدينة وهم يشتريان نفس الخاتم من أحد المتاجر في خان الخليلي بحي الحسين وقررتا أن يظل الخاتم مع كلا منهما ولا يتركانه إلا عند الموت فهو دليل صداقتهما القوية التي استمرت سنين طويلة ودليل على الإخوة بينهما فمهما بعدتهما المسافات فلن تنسى أحداهما الأخرى ولن يفرقهما إلا الموت وسيظل دليل صداقتهما باقيًا تتوارثه الأجيال من بعدهما وهو الخاتم .

وهنا ابتسمت الأم وهي تتذكر ابتسامة صديقتها وسقطت يديها وحاولت قول شيء ولكنها لم تستطع وهنا صرخت نيرمين بفزع:

– أمي ماذا بك يا حبيبتي إني أسامحك يا أمي ولكن لا تتركينا بالله عليك فليس لنا أحد سواك في هذا العالم

وهنا دخل الغرفة في تلك اللحظة دكتور كمال والممرض محمود زميلها وأختها ناردين فلقد حضر الطبيب لرؤية الأم والاطمئنان عليها فهو من كان يتابع ويباشر حالتها كما تعرفون ...

صرخت ناردين في جسد الأم الممدد على الفراش ساكن لا يتحرك قائلة:

– أمي أخبريني الحقيقة الآن وإلا لن أسامحك لماذا فعلت ما فعلت أخبريني أرجوك وإلا لن أسامحك؟؟

اقترب الطبيب من المرأة الممدة على الفراش وبعد الفحص قام بتغطية وجهها قائلًا:

– البقاء لله يا نيرمين لقد رحلت إلى مكان أفضل من عالمنا و ارتاحت من آلامها يا ابنتي

نظرت له نيرمين غير مصدقة ما يقول فهل يسخر منها الرجل ولكن لماذا يسخر منها الآن؟ .

صرخت ناردين بحده في وجهه :

– أنت كاذب لم تمت أمي قبل أن تخبرني الحقيقة لماذا فعلت ما فعلت لماذا بعدتنا عن أبينا كل تلك السنوات لماذا أخبرتنا الآن؟؟

نظر لها محمود والطبيب بحيرة ولم يردا فهما لا يفهمان شيئًا مما تقوله الفتاة فربما كانت الصدمة من موت الأم أفقدتها صوابها

أخذت تصرخ بهستريا وتهز الأم بعنف حتى كادت توقع جثتها من على الفراش :

- لا تموتي الآن قبل أن تخبريني الحقيقة لن أسامحك هل تفهمين لن أفعل ما حييت ؟؟

وهنا دفعها الطبيب بعيدًا قائلا :

- اهدئي يا فتاة ولا تعذبيها هكذا واتقي الله فلقد رحلت وانتهى الأمر فهذه إرادة الله وليس لأحد منا دخل فيها

أخذت تصرخ بغضب في وجهه :

لا لن ترحل الآن قبل أن تخبرني الحقيقة فأنت لا تفهم شيئًا وهنا لم يجد الطبيب حلًا آخر إلا أن يصفعها على وجهها بقوة ليعيدها إلى صوابها نظرت له بغضب وأخذت تبكي بعنف ثم غادرت الحجرة وهي لا تصدق أن الرجل صفعها.

وكانت نيرمين تجلس على الأرض تحت قدمي الأم وهي تبكي مرددة:

- لقد سامحتك يا أمي لا تقلقي وسأفعل ما تريدين اقترب منها الطبيب وساعدها على النهوض قائلًا:

- هيا يا نيرمين لا تفعلين هذا بنفسك يا ابنتي رحمها الله فهناك أشياء كثيرة لابد أن نقوم بها الآن.

نظرت له بألم قائلة :

- هل أنت متأكد بأنها ماتت ربما كانت حالة إغماء أيها الطبيب وسوف تستفيق ؟؟؟

نظر لها الطبيب ولم يرد فهو يعرف شعورها وشعور الإنسان عند موت أقرب و أعز مخلوق لديه بالدنيا فتتخيل بأن كل ما يمر بك حلم وليس حقيقة وسوف تستيقظ من كل شيء قريبًا فالصدمة كبيرة ولا يستطع عقلك استيعابها.

فهل يقولون الصدق حقًّا أم أنه كابوس بشع ؟؟

اقترب محمود وهو يشعر بالحزن على رحيل تلك المرأة الطيبة التي كانت تعامله بحنان كابنها فلقد قابلها أكثر من مرة وكان يحبها كأمه فلقد كانت طيبة حنون فقال بحزن وهو يغالب دموعه:

- هيا يا نيرمين البقاء لله فلا تعذبيها

- حتى أنت يا محمود تقول بأنها ماتت

رد بحزن وألم الدنيا :

- لأنها رحلت يا نيرمين وإرادة الله هيا لاستخراج ترخيص الدفن وشهادة الوفاة، فإكرام الميت دفنه، ولقد عانت كثيرًا الفترة الماضية ولقد ارتاحت الآن فادعي لها بالرحمة ولا تعترضين على إرادة الله، فالموت رحمة لها من مرضها يا ..أراد أن يكمل ويقول حبيبتي ولكنه توقف و أمسك لسانه فليس الوقت ولا المكان المناسب لهذا أبدًا.

نهضت نيرمين وهي تنظر إلى عيونهما بحزن فلقد كانا على حق فهي المسئولة الآن ولابد أن تسرع بالإجراءات وتقوم بدفنها فليس هناك أحد آخر أو رجل تعتمد عليه

خرجوا ثلاثتهم من الغرفة والحزن بادٍ على وجوههم وتتساقط دموع نيرمين وهنا نظرت إلى أختها التي كانت تجلس على أحد

المقاعد أمام الباب في الصالة وتلاقت عيونهما ووقفت نيرمين تبكي ورأت الدموع بعيون شقيقتها وهنا قامت ناردين وألقت نفسها بين ذراعي أختها وأخذت تبكي بعنف :

– هل رحلت يا نيرمين حقًّا كما يقولون؟؟؟

– اهدئي يا أختي إنها إرادة الله وليس لنا دخل فيها

– ولكنها لم تخبرنا لماذا فعلت ذلك يا نيرمين بنا وحرمتنا من أبينا ولماذا أخبرتنا الآن ؟؟

– سنعرف كل شيء يا ناردين لا تقلقي ولكن بالوقت المناسب ربما كان عندها عذر قوي هو ما جعلها تفعل ما فعلت ؟؟

– أي عذر يا أختي فأنا لن أسامحها أبدًا على ما فعلت فليس من حقها أن تحرمنا من أبينا مهما حدث .

– لا يا أختي اهدئي ولا تقولي هذا فلقد تعبت معنا ولم تقصر في شيء معنا لابد أن تسامحيها فهي أمك.

– لا يا نيرمين لن أغفر لها إلا بعد أن أعرف الحقيقة الآن يا أختي وليس بعد شهر ونصف كما طلبت، أعطيني الخاتم والورقة لأذهب إلى صديقتها و أعرف الحقيقة منها نيرمين..

وهنا ابتعدت نيرمين عن أختها بقوة واخفت الخاتم والورقة التي كانا مازال بين يديها خلف ظهرها قائلة:

– لا ..يا أختي بعد أربعين يومًا كما وصتني ووعدتها فلن أخلف وعدي وأعذبها في قبرها مهما حدث.

ابتعدت ناردين من أمامها وهي تبكي بحسرة ولم ترد ..

وقف محمود والطبيب لا يفهمان شيئًا من حوار التوأمان..

قال الطبيب بجدية :

– هيا يا نيرمين يا ابنتي أبدلي ملابسك وهيا بنا فليس هناك وقت ..فإكرام الميت دفنه.

نظرت إلى ثيابها بدهشة وتذكرت الآن بأنها مازالت بثياب المستشفى وثياب غرفة العمليات ..فدخلت إلى غرفتها لتبحث عن شيء أسود ترتده و تستبدل ثيابها ..

****

وقفت نيرمين على محطة قطار سيدي جابر ترتدي فستان أسود طويل وطرحة سوداء وكانت بجوارها أختها ناردين التي كانت ترتدي بنطلون جينز أسود وقميص أسود بأكمام قصيرة وتلم شعرها خلف رأسها برباط أسود ووقف هو أمامها يودعها قائلًا :

– هل تصرين على الذهاب يا نيرمين

– أنها وصية أمي يا محمود ولابد أن نعرف الحقيقة كما أخبرتك القصة ونقابل والدنا.

– هل ستعودين يومًا يا نيرمين؟؟

– نعم سأعود فمازلت أعمل بالمستشفى ولكني أخذت إجازة من العمل حتى أعرف الحقيقة وبعدها سأعود لا تقلق كما أنني بفريق دكتور كمال الطبي وهو يأتي إلى القاهرة كثيرًا فسأراك هناك قريبًا يا محمود فمازلنا في فريق عمل واحد

نظر لها بحسرة كان يتمنى أن يكونا في بيت واحد وليس فريق عمل كان يتمنى أن يخبرها كم يحبها وكم سيعذبه فراقها ولكنه لم يستطع فليس هذا المكان ولا الوقت المناسب لقول شيء.

وهنا سمع صوت يقول من خلفه :

- أنت هنا أيضًا يا فتى؟؟

التفت محمود خلفه ليجد الطبيب كمال يبتسم ويتطاير شعره الرمادي فلقد كان يمتلك شعرًا رماديًا ناعمًا ويرتدي نظارة طبية سميكة وبذلة سوداء

فهتف محمود بتعجب :

- دكتور كمال مرحبًا بك

وهنا قالت نيرمين بدهشة :

- دكتور كمال لماذا تعبت نفسك وأتيت إلى هنا فيكفي ما قمت به معي عند موت أمي .

- لا تقولين هذا يا نيرمين فأنتِ كابنتي تمامًا يا فتاة وأردت أن أتي لأودعك وكنت قريبًا من المحطة.

وهنا نظرت بتأثر إليه فذلك الرجل رائع وطبيب بمعنى الكلمة ويمتلك الرحمة في قلبه فلن تنسى ما فعله معها وقت موت أمها وكيف ساعدها حتى اطمأن عليها حتى صوان العزاء وتكلفه الدفن لم يأخذ منها قرشًا واحدًا.

لقد فعل ما فعل فلقد كان يشعر بالذنب تجاه المرأة والتعجب من انتشار المرض بجسدها وموتها بتلك السرعة وهو طبيبها المعالج كما أن المرأة وصته على الفتاة قبل موتها .

قال لها الطبيب بجديه :

- تعالي يا نيرمين أريدك على انفراد يا ابنتي أخذها إلى مكان بعيد قليلًا عن عين أختها ومحمود اللذين شعرا بالفضول

لمعرفة ماذا يريد الرجل من الفتاة كانت المحطة مزدحمة فلقد أوشك القطار على الوصول إلى المحطة وبدء الركاب يستعدون وهم يسمعون صوت المذيعة بالميكروفون:

– سيصلنا الآن على رصيف رقم ثلاثة قطار رقم ٩١٦ إسباني فاخر مباشر إلى القاهرة

نظرت نيرمين إلى الطبيب بتوتر فلقد أوشك قطارها على الوصول وهنا مد الطبيب يده بظرف إليها قائلًا:

– خذي يا نيرمين

– ما هذا يا دكتور

– إنه شيء بسيط اجعليه معك ربما تحتاجينه وأنتِ بالقاهرة فأنتِ لا تعرفين إلى أين تذهبين ؟؟

– لا يا دكتور كمال أشكرك إن معي الحمد لله ويكفي ما فعلته من أجلي عند موت أمي وحجز تذاكر القطار وكل شيء.

– نيرمين خذي الظرف ولا تتكلمي كثيرًا فأنتِ كابنتي كما أنكِ تعملين معي بالفريق و هذا راتبك وسأراك قريبًا بالقاهرة بالفريق الطبي

– لا...أستطيع صدقني فيكفي ما فعلته من أجلي.

– هيا يا فتاة خدي الظرف وتوكلي على الله سيفوتك القطار.

وهنا أتى القطار ودخل المحطة فأتى محمود مسرعًا وهو يحمل حقائبها قائلًا:

– هيا يا نيرمين حتى لا يغادر القطار أسرعي بالله عليك .

نظرت نيرمين إلى الطبيب بامتنان بعد أن أخذت الظرف بإحراج قائلة:

– أشكرك على كل شيء فعلته من أجلي ورحلت مسرعة وهي تغالب دموعها التي بدأت تتساقط على وجنتيها وهي تسمع صوته ..

– اهتمي بنفسك يا فتاة سأنتظر اتصالك في أي وقت إن احتجت لشيء ..كان يشعر بالذنب الشديد وتأنيب الضمير فهل هو السبب في موت الأم لا يعرف ولكنه سيحاول أن يساعدها قدر استطاعته ؟؟

لم ترد بل تساقطت دموعها كالشلال فلقد كان الرجل عطوف معها ورحيم بحالها

– هيا يا نيرمين سنتأخر فنحن آخر عربة من القطار...أخذت تجري ويجري محمود معها وهو يحمل الحقائب

وسط الزحام والناس التي تحاول دخول العربات وتدفع أمامها حقائب السفر الكبيرة

وصلت العربة رقم ٩ دخلت العربة مسرعة وأخذت الحقائب من محمود ...وهنا تحرك القطار ولم تسمع محمود وهو يقول لها :

– سأفتقدك حبيبتي ..

وهنا شعر بتلك اليد التي توضع على كتفه كان الطبيب كمال فقال له :

– سنفتقدها جميعًا يا بني، هيا لأوصلك في طريقي ...

كان كمال يعرف بأن الفتى يحب نيرمين ويريد خطبتها ولكن مرض الأم وموتها وبعدها سفرها غير كل شيء

الفصل الثالث

الوشم

جلست نيرمين وأختها بمقاعدهما داخل القطار لم تنطق أي واحدة منهما بكلمة كانت كلا منهما غارقة في تفكيرها وتخيلها فيما ستواجهه بالقاهرة وماذا سيقولان لوالدهما عند رؤيته؟ ولماذا لم يبحث عنهما كل تلك السنوات الطويلة فهل بحث عنهما ولم يجدهما في أي مكان ؟

ولماذا هربت الأم من الأب؟؟

نظرت ناردين إلى أختها قائلة بحدة :

– نيرمين دعينا نذهب إلى المرأة التي أخبرتك عنها أمي قبل موتها لنعرف الحقيقة أولًا قبل الذهاب لمنزل أبينا

لم تنظر إليها أختها بل ردت وهي تشاهد المناظر الطبيعية للطبيعة من نافذة القطار :

– لقد تكلمنا في الأمر من قبل يا ناردين وقولت لك لن أخلف وصية أمي الأخيرة وهي على فراش الموت فلن أعذبها في قبرها فيجب تنفيذ وصية الميت مهما كانت هل تفهمين ؟؟

– ولماذا عذبتنا هي طوال حياتنا يا أختي؟؟

وهنا صرخت نيرمين بصوت عالٍ في وجهها :

– ناردين اصمتي ولا تتكلمي بالموضوع مرة أخرى وإياك أن تذكري أمي بالسوء حتى نعرف الحقيقة هل تفهمين ما أقول ؟

نظرت ناردين بغضب إلى أختها ولم ترد بل أغمضت عينيها وحاولت النوم لعل الوقت يمر سريعًا وتخلص من كل هذا الكابوس

****

كانت السماء خضراء ملونة بلون غريب والرياح شديدة تعصف بكل شيء وتحركه على شكل دائرة عملاقة كبيرة ضخمة وامتدت من الأرض إلى عنان السماء ووقفوا هم في حلقة دائرية بهيئتهم الغريبة التي تثير الفزع في النفوس يشبهون البشر كثيرًا في هيئتهم، لكن عيونهم كانت مختلفة فهي مشقوقة طوليًّا ولونها أحمر وحدقتها بيضاوية وليست دائرية ولونها أحمر دموي، لهم آذن طويلة كأذن الحصان كانوا يقفون على قدمين عاريتين ذات أصابع طويلة ولكل منهم ذراعان طويلان من الجوانب كالبشر وذراع آخر ثالث خرج من منتصف البطن كل ذراع ينتهي بثلاثة مخالب سوداء مثنية وكل كائن يمسك بذراع الأخر ويصنعون دائرة مغلقة ...في مواجه العاصفة والرياح الهوجاء إلا الكائن الأخير فلقد مد إليه من بجواره يده ليكمل الدائرة ولكنه وقف يبتسم ساخرًا ولم يكملها ...

كان المخلوق الأخير هو الوحيد الذي يرتدي ثياب وباقي المخلوقات عرايا بدون ثياب يغطي جسدهم شعر أسود طويل إلا رؤوسهم فكانت صلعاء لم تكن بها شعره واحدة ..

هـو الوحيـد المختلـف بشـعره الطويـل الـذي يمتـد إلى أسـفل ركبتيه نظـر إليهـم سـاخرًا ثـم تحـرك مـن مكانـه بهـدوء مسـتفز وهـو يبتسـم بمكـر فظهـرت أسـنانه الطويلـة المدببـة وحوافهـا حـادة كالسـيف..

قالـوا بصـوت واحـد عميـق خـرج وكأنـه يـأتي مـن أعـماق بئـر سـحيق :

– انتظـر ومـد يـدك بالسـلام ولا تـؤذ أحـدًا فنحـن نحيـا بأمـان بالعهـد والميثـاق.

ولكنـه نظـر لهـم طويـلًا وبعدهـا أطلـق ضحكـة حـادة عاليـة تـردد صدهـا في المـكان ولم ينطـق أو يلتفـت إليهـم بـل ذهـب مبـاشرة إليهـا هـي كانـت تقـف ترتجـف كورقـة إنهـا إحـدى الأختـان «ناردين»

كانـت تقـف والعـرق البـارد يتجمـع عـلى جبينهـا تريـد أن تـصرخ ولكـن صوتهـا أبـى أن يخـرج مـن حلقهـا

تنظـر إليهـم بفـزع تحـاول الهـروب مـن ذلـك الغريـب الـذي يقـترب منهـا مبتسـمًا بمكـر

صرخت أخيرًا وخرج صوتها مبحوحا مفزوعًا :

– ماذا تريد مني ؟؟

رد عليها بصوت قوي زلزل المكان من حولها:

– لا تخافـين لقـد أتيـت مـن أجلـك يـا فتـاة وهنـا مـد يـده إليهـا بـشيء فنظـرت إلى يديـه المفتوحـة فوجـدت الخاتـم الفـضي ذو الفـص الأسـود الكبـير المحفـور بوسـطه القلـب هتفـت :

– إنـه خاتـم أمـي مـن أيـن أحضرتـه وأيـن العنـوان أنـا أريـد أن أعـرف لمـاذا فعلـت أمـي ذلـك؟

ضحك بسخرية قائلًا:

- هل تعرفين قيمة الخاتم يا فتاة ..

ردت بتوتر :

- لا أعرف ؟؟

يعطي مالكه كل شيء القوة والمال والسلطة، ولقد فضلت أمك أختك عليك فهل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها ؟

- رددت بتعجب :

- القوة والمال والسلطة ...

وهنا شعرت بالألم الشديد في ذراعها الأيسر ونظرت بتوتر إلى الوشم على ذراعها فلقد كان يؤلمها كثيرًا وينزف دمًا

شهقت بفزع فلقد اختفى المخلوق الأخير من ذراعها وأخذ مكانه ينزف الدماء، أخذت تنظر برعب إلى مكانه وكان يؤلمها بشدة وشعرت وكأن أحدهم اقتطع جزءًا من جسدها

أخذت كلماته تتردد في أذنها :

- القوة والمال والسلطة هل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها ؟؟؟

زاد ألم ذراعها بقوة فلم تستطع أن تتحمل كل هذا فلقد شعرت بأن هناك من يضغط عليه بقوة فصرخت بألم :

- لاااااا ذراعي اتركه..

وهنا سمعت صوت نيرمين يقول بقلق :

- ناردين ماذا هناك يا أختي وماذا حدث لذراعك اهدئي بالله عليك ؟؟؟

فتحت عينيها ببطء وألم ونظرت إلى ذراعها الأيسر بألم فكان الوشم كما هو ومازال المخلوق يضحك ساخرًا

فنظرت حولها يمينًا ويسارًا كان الركاب ينزلون حقائبهم ويستعدون لمغادرة القطار.

التفتت إلى أختها بقلق:

- ماذا حدث نيرمين ؟؟

لقد نمت يا ناردين وحاولت أن أوقظك ولكنك أخذت تصرخين بألم وتقولين ذراعي، فلقد وصلنا القاهرة وسيتوقف القطار هيا لننزل الحقائب وقامت وأنزلت الحقائب من الرف فوقها وهنا نظرت ناردين بغضب إلى يد أختها وخصوصًا إلى إصبعها البنصر بيديها اليمين فلقد كانت تلبس الخاتم التي أعطته لها الأم قبل موتها وهنا تردد كلام المخلوق في أذنيها :

- القوة والمال والسلطة ...فهل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها .؟؟

- صرخت بغضب بصوت عالٍ :

- لا لن أفعل ولن أتركها ..

نظرت نيرمين لها بدهشة :

- ماذا هناك يا ناردين وما الذي لن تفعليه؟؟ لم ترد عليها بل أدارت وجهها عنها ثم زفرت بغضب قائلة:

- لماذا ارتديت الخاتم يا نيرمين؟؟هل تشعرين بالراحة الآن بعد أن حقق لك ما تريدين؟؟

- أي خاتم يا أختي أنا لا أفهم شيئًا؟؟

- الخاتم الذي أعطتك إياه أمي؟؟

- الخاتم لقد خفت أن يضيع مني ففضلت أن أرتديه إلى أن أعطيه لصديقة أمي رحمها الله ونعرف الحقيقة بعد الأربعين .

- هكذا إذًا لا يهم ؟؟

- ناردين أنا لا أفهم شيئًا وماذا تقصدين ؟

لم ترد بل أخذت حقيبتها وعلقتها على ظهرها ونظرت إلى أختها بغضب وغادرت القطار الذي توقف في محطة رمسيس.

نظرت نيرمين بحيرة وحزن إلى أختها فماذا حدث لها وغيرها لتلك الدرجة فمنذ موت الأم وما أخبرتهما به وهي ليست بخير أبدًا فماذا تفعل همست بحزن:

- ربما عندما نذهب إلى أبينا ستتغير وتشعر بالأمان وتعود كما كانت من قبل من يدري؟؟؟

****

استقلا سيارة أجرة من أمام المحطة إلى منطقة شبرا والى العنوان التي أعطته لهما الأم قبل موتها.

جلسا بالسيارة متباعدتين على الكنبة الخلفية وكل واحدة أخذت تنظر من النافذة بجوارها إلى الشوارع

الواسعة والناس بتعجب كانت الناس كثيرة وفي كل مكان وزحمة وكباري وسيارات لم تحب نيرمين القاهرة والزحام.

وتذكرت الإسكندرية والبحر والهدوء ومنطقة أبو قير فهي منطقة بها عدد قليل من السكان وليست مزدحمة .

فتمنت أن تعود وهنا رن تليفونها المحمول فقطع حبل ذكرياتها

لقد كان محمود زميلها ويريد الاطمئنان عليها فأخبرته بأنهما وصلتا بسلام وفي طريقهما إلى منزل الأب وأغلقت التليفون.

هي تعرف بأنه يحبها ويريد الارتباط بها ولكن مرض الأم وما حدث أجل كل شيء

لا تعرف هل تحبه حقًّا أم لا ولكنه عريس جيد ومناسب على كل حال وربما أتى الحب في المستقبل، من يدري؟

وكانت ناردين تنظر من نافذة السيارة الأخرى إلى الناس الكثيرة والزحام بفرح شديد وتفكر أن رسم هؤلاء الناس جميعًا الوشم على أذرعتهما وصدورهم فسوف تجمع الكثير من المال وستصبح مليونيرة .

وهنا قطع السائق حبل أفكارهما قائلًا :

– لقد وصلنا يا آنسات ها هو شارع عرابي بشبرا الخيمة.

شكرته نيرمين وأعطته ما طلب من أموال وبعدها غادرت السيارة هي وأختها وحملت كل منهما حقيبتها.

ونظرا إلى الشارع الكبير المليء بالسيارات وهنا وجدا أحد المحلات الجانبية المفتوحة ورجل مسن يجلس أمام باب المحل على مقعد خشبي يستمع إلى صوت أم كلثوم في راديو صغير فذهبا إليه وسألاه عن العنوان بالورقة فنظر لهما الرجل بتعجب قائلًا :

– من تريدان هناك يا آنسات بالحارة فأنا أعرف معظم السكان فأنا أسكن في نفس الحارة؟؟

فردت نيرمين بتوتر:

– حارة ولكن العنوان مكتوب شارع

– نعـم يـا ابنتـي إنهـا حـارة الدرويـش ..وهـي شـارع ضيـق نطلـق عليـه نحـن حـارة .

– ولكن يا عمي مكتوب اسم الشارع شارع مصطفى محمود.

– نعـم يـا ابنتـي هـو شـارع مصطفـى محمـود قديـمًا ولكـن النـاس تسـميه الآن حـارة الدرويـش واشـتهر بالاسـم

– هـل أنـت متأكـد بـالله عليـك فنحـن أغـراب ولسـنا مـن هنـا. كانـت تعـرف بـأن أهـل القاهـرة لا يقولـون أبـدًا لا نعـرف حتـى إن كانـوا لايعرفـون كـما أخبرتهـا صديقتهـا يومـا عندمـا كانـت بالقاهـرة لزيـارة خالتهـا وتوهمهـا النـاس هنـاك فـكل واحـد أعطاهـا عنوانًـا مختلفًـا ووصـف مختلـف ولم يقـل لهـا لا أعـرف

– ضحك الرجل :

– لا تخـافي يـا ابنتـي فأنـا أسـكن بالحـارة ولكـن قـولي لي مـن تريـدان بالحارة؟

– نريد منزل درويش السيد إمام هل تعرفه يا عمي؟؟

نظر لها الرجل بفزع قائلًا :

– من ؟؟

– درويش السيد إمام يا عمي ؟؟

لم يرد الرجل بل نظر إليهما بفزع ثم قال بتوتر:

– اذهبـا في هـذا الشـارع الضيـق وفي نهايتـه اكـسرا يسـارًا سـوف تجـدون شـارع أضيـق منـه فهـذه هـي حـارة الدرويـش هيـا ارحـلا.. وأشـار عـلى شـارع ضيـق يمينـه ...كانـت لا تريانـه ..

وبعدها قام الرجل وهو ينظر لهما بفزع ودخل إلى متجره وهو يحمل مقعده.

نظرت ناردين إلى الرجل بغضب ونظر لها هو بفزع حتى كاد يسقط على الأرض.

فقالت نيرمين بتوتر وهي تنظر إلى عيون أختها :

– ما هذا يا أختي وماذا حدث للرجل؟؟

– لا تهتمي فمازالت البلد مليئة بالمجانين والمرضى النفسين يا نيرمين فلا تشغلي بالك .

وسارا معًا في الشارع الضيق حتى نهايته وبعدها دخلا حارة الدرويش يسارًا كما أخبرهما الرجل .

كانت نظرات أهل الحارة تراقبهم بحقائب سفرهما التي يحملانها ..وثيابهما السوداء .

كانت الحارة ضيقة لدرجة مثيرة للأعصاب والبيوت متقاربة لدرجة غريبة حتى إنه تستطيع مد يدك من أحد النوافذ لتدخلها شقة جارك بالبيت الذي أمامك، كان هناك بعض الأطفال يلعبون البلي أمام أحد البيوت وبعض السيدات افترشن الأرض وجلسن على إحدى الحصائر أمام بيت آخر وهنا قامت إحدى النساء وكانت ترتدي عباءة سوداء وتربط رأسها بمنديل اسود فأوقفت الأختين بفضول قائلة:

– من تريدان أيتها الفتاتان بالحارة فشكلكما غريب عن المنطقة؟

قالت نيرمين بتوتر :

– نريد بيت درويش السيد إمام من فضلك هل تدلينا عليه؟؟

وهنا شهقت المرأة فزعا وبسملت برعب مرددة:

– تريدان منزل الدرويش لماذا فمازلتما صغيرتين يا فتاة على تلك الأمور..؟؟

– لا... لا نحن نريد منزل درويش السيد إمام أبونا فهل هذه حارة الدرويش؟؟

شهقت المرأة فزعًا واتسعت عيناها :

– أباكم هل أنتم من نسل الدرويش ؟؟

وهنا نظرت نيرمين بحيرة إلى أختها فهي لا تفهم لماذا المرأة تعاملها بتلك الطريقة الغريبة وتخاف منها، أسرعت المرأة من أمامهم تركض حيث النساء يجلسن وهنا سمعا شهقت النساء العالية ونظراتهم المريبة إليهما التي تتهمهم بشيء ولكنهم لا يفهمان شيئًا.

وهنا تقدمت ناردين بغضب من إحدى النساء وقالت بقوة وبصوت عالي :

– أين بيت درويش السيد إمام فأنا ابنته ناردين؟؟

وهنا نظرت لها المرأة برعب ونظرت إلى عيونها ورأت فيهما عيون أبيها وقوته ولمحت الكائن المرسم على ذراعها وهو يبتسم بسخرية .

فصرخت متوسلة :

– سامحيني لم أكن أعرف بأنكم من نسل الدرويش ورفعت يديها وأشارت أنه آخر منزل بالحارة على الناصية المنزل الأخضر سامحيني يا فتاة على جهلي وعدم معرفتي ولا تؤذيني أرجوك.

وهنا نظرت لها ناردين بغضب ولم ترد بل ذهبت إلى أختها قائلة بحزم :

- هيا يا نيرمين لنذهب من هنا

نظرت نيرمين بتوتر إلى أختها و إلى المرأة التي كانت تقف مكانها مصدومة ولم تتحرك فقالت:

- ماذا قلت لها يا أختي فالمرأة تبكي فزعًا وكأنها رأت الشيطان ذاته ؟؟

- لا تهتمي فهذه حارة شعبية و لابد أن تتعاملي بحزم مع الغرباء والمتطفلين وإلا لن يحترمك أحد ولا تنسي بأننا غرباء هنا ولا نعرف أحدًا

هزت نيرمين رأسها بقوة ولم ترد ولكنها لم تشعر بالارتياح لهذا المكان الضيق كريه الرائحة وهمست لنفسها لكم أتمنى أن أذهب إلى الإسكندرية و إلى منزلي الآن فلقد اشتقت إليهما.

ذهبتا إلى المنزل بنهاية الحارة وكانت عيون النساء تراقبهما بفزع وسمعت همساتهن وهن يرددن :

- لقد عاد نسل الدرويش ..

لم تفهم أي منهما همهمت وهمسات النساء الغير مفهومة ولم تعلق أي منهما عليها، وقفت ناردين أمام أحد المنازل المكون من ثلاث طوابق ولونه أخضر وباب مدخله مدهون بالأسود ورسم عليه علامة كبيرة بالأحمر الدموي و لافتة صغيرة باللون الأحمر كتب عليها « منزل الدرويش » وتحتها تلك الجملة :

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ وتقـول مـا لا تعلـم حتـى لا تنـدم وتمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا... وأنـت جاهـل لا تفهـم معناهـا»

قرأت الفتاة العبارة بحيرة ثم قالت :

– إنه المنزل يا أختي؟؟

– وكيف عرفت يا ناردين ؟

– مـن اللافتـة يـا أيتهـا الذكيـة ووصـف المـرأة ...انظـري وأشـارت بإصبعهـا إلى اللافتـة المعلقـة عـلى البـاب بالاسـم ، وبعدهـا رنـت جـرس البـاب المعلـق عـلى الجـدار بجـوار بـاب المنـزل الخارجي؟؟

قـرأت نيرمـين الجملـة وشـعرت بانقبـاض الصـدر والتوتـر فقالـت بخـوف:

– ناردیـن أنـا خائفـة ولا أشـعر بالارتيـاح لذلـك البيـت ؟؟ ومـا هـذا الـكلام الغريـب المكتـوب عـلى البـاب ؟؟

– لا تخـافي مـن شيء يـا نيرمـين، وهـي مجـرد عبـارة حكمـة فـلا تقلقـي فـالآن سـنرى أبانـا الـذي حرمنـا منـه مـن سـنين ولا نعـرف السـبب الآن سـنعرف الحقيقـة يـا أختـي اهدئـي وتمالكـي نفسـك ؟؟

– وماذا إن لم يصدقنا أحد وطردونا شر طرده؟؟

– لا تكـوني غبيـة يـا نيرمـين فمعنـا أثبـات شـخصية وبطاقـة تحقيـق شـخصية تثبـت بأننـا ابنتـا الرجـل فـلا تتفوهـي بالغبـاء مـن فضلـك وبعدهـا أخـذت تـرن الجـرس كثـيرًا ولكـن لم يـرد أحـد ..أو يجيبهـم فيبـدو أن المنـزل فـارغ ولا يسـكنه أحـد

فتعجبت قائلة :

– هـل المنـزل خـالٍ ولا يوجـد أحـد الآن فهـل قطعنـا كل تلـك المسـافة حتـى لا نجـد أحـدًا فـما هـذا الحـظ السـيئ يـا أختـي ؟؟؟

– ردت نيرمين :

– لا يـا أختـي هنـاك امـرأة نظـرت مـن النافـذة الآن ودخلـت مسرعـة أعتقـد بأنهـا سـتفتح البـاب انتظـري .

وفي اللحظـة التاليـة فتـح بـاب مدخـل المنـزل ، ليجـدوا أمامهـم امـرأة في منتصـف الأربعينـات مـن عمرهـا بشرتهـا بيضـاء كالبـن وتظهر الكثـير مـن العـروق الرفيعـة الزرقـاء عـلى وجههـا تغطـي رأسـها بغطـاء أخـضر اللـون وترتـدي عبـاءة سـوداء اللـون نظـرت لهـم بدهشـة فقالـت نيرمـين بتوتـر:

– نحـن نريـد أبانـا درويـش السـيد إمـام فنحـن « نيرمـين ونارديـن » ابنتـاه التـوأم وأخرجتـا بطاقتهـما الشـخصية التـي تثبـت صحـة كلامهـما وهنـا اتسـعت عـين المـرأة عـن آخرهـا ولم تـرد عليهـما أو تدعوهمـا للدخـول وهنـا سـمعا صـوت امـرأة أخـر مـن الأعـلى يتسـاءل بقلـق :

– من على الباب هناك؟

فلـم تـرد المـرأة عليهـا ..ولكنهـا أفسـحت الطريـق لهـما فدخلـت ناردين وهـي تنظـر إلى المـرأة بتحفـز ونظـرت إلى أعـلى الـدور العلـوي مـن تحـت السـلم فقالـت بصـوت عـالٍ :

ــ نحن ابنتا الدرويش نيرمين ونارداين هل أبونا موجود ؟

– فهتفت المرأة بفرح قائلة :

– بنـات ولـدي اصعـدا يـا فتيـات وأخـيرًا عدتمـا يـا حبيبتـي..إلى

منزلكما وحضني من جديد بعد ما فعلته أمكما سامحها الله من سنين.

وهنا نظرت نيرمين بدهشة إلى أختها و إلى البيت و إلى المرأة وحاولت الرجوع فلم تكن تشعر بالارتياح فقالت لها أختها :

– اصعدي يا أختي فلم نأتِ كل تلك المسافة لنعود دون أن نرى أبانا ونعلم الحقيقة ؟

صعدت نيرمين بخوف واتبعتها ناردين التي سمعت من يهمس باسمها :

– نارررررررررر دييييييييييييييييين

التفتت بتوتر إلى مصدر الصوت فكان صادر من تلك الشقة جهة اليسار المقفولة تحت السلم كانت الشقة مبنية بطريقة غريبة فبابها الأسود القاتم جهة اليسار يخرج عن الجدار خلفه بطريقة غريبة وعليها أقفال كثيرة من الخارج وكأنها سجن وتلك هي القضبان الحديدية عليه لتمنع هروب أحد من داخله...

شعرت بأن هناك من يناديها من خلف القضبان والأقفال الحديدية لتلك الشقة المغلقة فاختلط اسمها بصوت صفير الرياح وشعرت بالبرودة تسري في جسدها وشعرت برعشة تسري في أوصالها لا تدري ماذا حدث لها ولكنها شعرت بشيء غريب؟؟

همت للذهاب للشقة مأخوذة وكأنها منومة مغنطيسيًّا لا تدري ما تفعله فكل ما كان يشغل عقلها بتلك اللحظة هو تلبية النداء الذي مازال يتردد ويهمس باسمها :

– نارررديييييين اقتربي

أخـذ الاسـم يـتردد بقـوة تلـك المـرة وبصـوت عـالٍ فشـعرت وكأن أحدهـم أيقظهـا مـن نـوم عميـق وحلـم لذيـذ لا تريـد أن تسـتيقظ منـه الآن .. ولكنهـا سـمعت مـن ينـادي عليهـا بقـوة تلـك المـرة ولكنـه مـن أعـلى السـلم تلـك المـرة فرفعـت رأسـها بحـيرة فـرأت أختهـا تقـف أعـلى السـلم تنـادي عليهـا:

– ناردين ماذا تفعلين هيا اصعدي فجدتك تنتظرك...؟؟؟

صعـدت وهـي تنظـر إلى بـاب الشـقة المغلـق بفضول....وتتسـاءل مـن الـذي نـادي عليهـا وهمـس باسـمها مـن الداخـل يـا تـرى؟؟؟

هـزت رأسـها بحـيرة وبعدهـا صعـدت الـدرج إلى أختهـا وجدتهـا حيـث ينتظرانهـا في الأعـلى وكانـت المفاجـأة والصدمـة.

الفصل الرابع

الصدمة

كانت الصدمة شديدة لكلا الفتاتين عندما رأيا الجدة فلقد كانت مشلولة لا تتحرك تجلس على مقعد متحرك جلس الثلاثة يتحدثن في الصالة التي كانت تحوي صالون قديم عفا عليه الزمن وكانت تطل على الصالة ثلاث غرف مغلقة وطرقة طويلة يبدو بأن بنهايتها دورة المياه والمطبخ منعزلان عن باقي الغرف والصالة.

نظرت ناردين إلى الشقة وأثاثها المتواضع بحيرة فهل تركت الأم الأب لضيق حاله وظروفه هي لا تفهم ..

وهل كل امرأة يضيق حال زوجها تأخذ أطفالها وتفر هاربة من المنزل وهنا قالت الجدة:

- مرحبًا بكما يا بناتي لقد عادت الشمس لتشرق في المنزل وتنير البيت بوجودكما فيه بعد أن كان مظلمًا لسنين طويلة بعدما أخذتكما أمكما سامحها الله وتركت المنزل، لقد بحثنا عنكما كثيرًا، ولكن بلا جدوى فرضينا بقضاء الله ورفض والدكما أن يتزوج وكان متأكدًا بأنكما ستعودان يومًا إلى المنزل .

فرحت نيرمين بالتعبير وبطيبة قلب الجدة،كانت امرأة عجوز تجاوزت السبعين من عمرها ووجها تملأه التجاعيد ووجهها

أبيـض ناصـع، وعيونهـا بنيـه وجسـدها ممتلـئ كانـت قعيـدة تجلـس عـلى كـرسي متحـرك .

قالت ناردين :

- أين أبي يا جدتي هل هو بالمنزل ؟

لم تـرد الجـدة بـل نظـرت إلى المـرأة التـي كانـت تقـف أمـام طرقـة الصالـة تسـتمع لهـا ولكنهـا لم تنطـق بكلمـة منـذ أن حـضرت الفتيـات االى المنـزل ولم ترحـب حتـى بيهـا أو يعرفـان مـن تكـون وتلاقـت عيونهـا وهـزت المـرأة رأسـها بمعنـى لا

فقالت الجدة وهي تحاول رسم الابتسامة على شفتيها :

- لم تتعرفـا بعمتكـا جليلـة وهنـا أشـارت عـلى المـرأة لكـي تـأتي قائلـة :

- تعالي يا جليلة اجلسي يا ابنتي وتعرفي على بنات أخيك.

تحركـت المـرأة ببـطء وجلسـت باليـة عـلى المقعـد الفـارغ بالصالـون ولم تقـل شـيئًا للفتيـات بـل كانـت تنظـر إلى ناردين بخـوف وعيـون مذعـورة ولم ترفـع عينيهـا مـن عـلى ذراع الفتـاة وعـلى الوشـم الـذي لم يظهـر منـه سـوى جـزء بسـيط وهـو المخلـوق الأخـير بشـكله المريـع وهـو يبتسـم سـاخرًا

نظـرت الأختـان كلا منهـا لعـين الأخـرى بتوتـر فيبـدو بـأن العمـة لم يعجبهـا رجـوع الفتيـات إلى المنـزل

وهنا قالت نيرمين بترحاب:

- مرحبا يا عمتي كيف حالك ؟؟

لم تـرد المـرأة عـلى الفتـاة بـل كانـت مشـغولة بالنظـر إلى ذراع أختهـا

برعب وهنا شعرت نيرمين بالتوتر والحرج فقالت ناردين بقسوة وهي تنظر إلى الجدة:

– يبدو أن أحدًا لم يعجبه رجوعنا يا جدتي ؟؟فهل نعود أدراجنا؟؟ و كفى الله المؤمنين شر القتال؟؟

فقالت الجدة بحزن ودموعها تتساقط :

– ماذا تقولين يا ابنتي فلقد أرسلكما الله لي رحمة بحالي وما أعانية من الوحدة في آخر أيامي وما حدث لعمتكم وأبيكم ، فعمتكما خرساء لا تتكلم فلقد فقدت القدرة على الكلام منذ أكثر من شهرين بعد تلك الحادثة

فرددت ناردين :

– خرساء وحادثة أرجوك وضحي كلامك يا جدتي وأين هو أبي الآن ؟؟

نظرت الجدة إلى عيونهم بحزن ثم قالت من بين دموعها المتساقطة:

– لا أحد يعرف مكانه إلا الله عز وجل يا حفيداتي

صاحت ناردين بغيظ :

– ماذا تقولين فهل هرب أبي من المنزل هو الأخر كما فعلت أمي؟؟

– لا يا ابنتي أبوك لم يهرب أو يغادر المنزل ولكنه اختفى فيه ؟؟

– ما هذا الهراء الذي تقولينه وكيف اختفى بالمنزل أنا لا أفهم هذا التخريف وهذا الكلام الغريب؟؟

– رددت العجوز الكلمة بحزن تخاريف سامحك الله يا ناردين وهنا نظرت نيرمين بغضب إلى أختها ثم اعتذرت للجدة قائلة :

– لم تقصد أختي شيئًا يا جدتي ولكننا لا نفهم شيئًا فهل شرحت الأمر بهدوء ومن البداية من فضلك فلم نقطع كل تلك المسافة إلا من أجل معرفة الحقيقة ونرى أبانا ؟؟

– حاضر يا حبيبتي سأشرح لكما كل شيء من البداية ، منذ شهرين ونصف تقريبًا كان والدكما يمارس عمله بالشقة السفلية كالمعتاد ويومها تأخر حتى منتصف الليل فأرسلت عمتك جليلة لتناديه ليأكل شيئًا فلم يضع لقمة في فمه منذ الصباح وكان عنده عمل كثير ومرضى أتوا من محافظات عديدة، فكان صيته كبير في جميع المحافظات ..

وهنا تذكرت ناردين من كان يهمس باسمها من داخل الشقة فهل هو والدها ..فقاطعت الجدة قائلة :

– مرضى وحالات وماذا كان يعمل أبي بالشقة هل هو طبيب فأنا لا أفهم ؟؟

– نعم كان أبوك طبيبًا يا بنيتي ويشفي الناس ويعالجهم مما هم فيه، ولكنه طبيب من نوع أخر فهو معالج روحاني بالرقية الشرعية والقرآن الكريم يا ناردين فكان درويش كابية وأجداده رحمهما الله فلقد توارث المهنة من دراويش العائلة السابقين رحمهما الله جميعًا.

وهنا صاحت ناردين بغضب غير مصدقة ما تسمع من تلك المخرفة :

– دجال ونصاب هل أبي كان يعمل دجالًا يا للمصيبة؟؟

– صاحت الجدة في وجهها بغضب:

– اخرسي أيتها الجاهلة ولا تخرفين فأبوك رجل تقي وكان

يتعامل بالرقية الشرعية والقران الكريم ليعالج المرضى وليس بالسحر والشعوذة كالدجالين ....وهنا قاطعتها نيرمين وهي لا تفهم شيئًا ولكن يبدو بأن المرأة مريضة ضغط فلقد انتفخت أوردتها واحمر وجهها غضبًا ..

و إن أكملت نقاشها مع أختها وأسلوبها المستفز ربما أصابتها جلطة في الحال فقالت نيرمين بهدوء:

- اهدئي يا جدتي بالله عليك فأختي لم تكن تقصد شيئًا ولكنها تستفهم الأمر فقط هل أحضر لك كوب من الماء أو أي دواء تأخذينه ؟ نظرت لها الجدة وأغمضت عينيها لتحاول أن تهدأ قليلًا وتسترخى فهي لا تتحمل أن يهان الدرويش وهي مازالت على قيد الحياة فلن تسمح بذلك فتحت عينيها ثم قالت بهدوء:

- لا يا نيرمين يا حبيبتي لا أريد شيئًا ولكني لن أتحمل أي كلمة على الدرويش هل تفهمان ثم ألقت نظرة على الفتاة الأخرى التي كانت تجلس بلامبالاة لا تصدق أي حرف تنطق به العجوز وتعتقد بأنها تخرف .

ابتسمت ناردين بهدوء قائلة وهي تشجع الجدة على الاستمرار بالحديث :

- أكملي يا جدتي فلم أكن أقصد ؟؟

نظرت لها الجدة بغضب وأخذت نفس عميق ثم قالت :

- لا تقاطعاني وإلا لن أكمل شيئًا هل تفهمان ونظرت إلى عين ناردين التي كانت تنظر بتحفز إلى الجدة و إلى التخاريف التي تقولها:

– أرسلت عمتكم جليلة لتنادي عليه ليأكل ولكنها عادت لتخبرني بأن الباب مغلق من الداخل ورائحة البخور القوية تملا المكان فطلبت منها أن تدق الباب ربما نام ونسى نفسه كعادته و إن لم يفتح تدخل من باب المطبخ الذي يطل على المنور ويدخل إلى الشقة في نفس الوقت وبعدها بنصف ساعة سمعت الصراخ المتواصل لابنتي جليلة من داخل الشقة ولم أستطع النزول لمعرفة ماذا حدث لابنتي وللدرويش فكما تريان أنا مشلولة من زمن و اجلس على مقعد متحرك

أخذت أنادي على جليلة وأبيكم ولكنهما لم يردا مرت ساعة وأنا لا أسمع لهما صوتا فذهبت إلى النافذة وأخذت أصرخ و أطلب المساعدة وتجمع الجيران أمام باب المنزل وقذفت لهم مفتاح بوابة المنزل فدخلوا وطلبت منهم إنقاذ ابنتي والدرويش من الشقة كانوا ينظرون لي برعب ولم يجرؤ أي منهم على كسر باب الشقة على الدرويش خوفًا من بطشه وانتقامه إن لم يكن هناك شيء سيء

فأخبرتهم بالباب الأخر للشقة من المطبخ فدخلوا جميعًا وفتحوا الباب الرئيس للشقة و أخرجوا عمتكما وكانت فاقدة الوعي على الأرض وعندما استفاقت كانت تنظر للجميع برعب ولم تنطق بأي حرف من يومها وعندما سألتهم عن الدرويش قالوا بأنه لم يكن هناك أحد بالشقة غير الفتاة فأخذت أصرخ وأنادي على ابني ومن يومها لم يرَ أحد الدرويش بالشقة أو الحارة ولا أحد يعرف كيف اختفى الرجل من الشقة وأين ذهب ولم يعد من يومها ؟؟

قالت ناردين بدهشة:

– ما هذا الكلام الغريب اختفى ولا تعرفون له طريق؟؟

ردت الجدة وهي تنظر إلى عيونها قائلة :

– نعم يا حفيدتي اختفى ولكني أعرف أين هو ؟ ويومًا ما سيعود حتمًا بعد أن ينجز ما ذهب من أجله ؟؟

نظرت لها الفتاتان بتوتر ثم قالتا بصوت واحد :

– أين هو يا جدتي ؟؟

– لقد اختطفوه يا ابنتي لأنه كان يحاربهم بآيات الله ويحرقهم فيحولهم لرماد كان قويًا ولا يهاب أحدًا كأبية الروحي الشيخ عرفان رحمه الله الذي رباه وعلمه كيف يكن محاربًا شجاعًا لا يخاف من أذيتهم أو بطشهم فلم يقف أحد في وجهه منهم يومًا؟

فقالت نيرمين بقلق وهي تنظر إلى عيون جدتها الواسعة :

– من هم يا جدتي؟؟

– إنهم الجن يا ابنتي فلقد كان أبوكم يحاربهم من سنين وهم يحاولون أذيته فسخرهم وأذلهم وانتصر عليهم، كما كان يحاربهم الشيخ عرفان رحمه الله من قبل فهو أحد جنود الله المكلفون على الأرض

بسملت نيرمين وحوقلت وهي تنظر إلى عيون جدتها الواسعة فيبدو أن المرأة تهذي وتخرف فما هذا الكلام الغريب الذي ليس له طعم أو رائحة ومن هو الشيخ عرفان هذا ..

ونظرت إلى عمتها التي كانت مازالت تنظر إلى ذراع أختها بطريقة غريبة لم يعجبها الوضع وكل ما يحدث في هذا المنزل الغريب ولكن لفت نظرها شيء هام فلقد قالت الجدة بأن الحادثة حدثت منذ شهرين ونصف وهو الوقت نفسه الذي بدأت أمها تمرض،

وأصابها المرض بشدة وتدهورت حالتها بطريقة غريبة أمام حيرة وعجز الأطباء بعد أن بدأت تتعافى بعد استئصال الورم وبعدها ماتت ..فهل أبوها هو السبب فيما حدث لها؟ فلقد كانت الأم تراودها الكوابيس في تلك الفترة بطريقة غريبة وتستيقظ من النوم تصرخ وتردد كلمة الدرويش سيعذبني فهل كانت تقصد أباها ؟؟

نظرت إلى الخاتم في إصبعها وهمست لنفسها:

– لولا الوصية والأمانة يا أمي لكنت ذهبت إلى أم نوفل هذه وعرفت الحقيقة كاملة فأنا لا أشعر بالارتياح لكل هذا و أريد الرحيل إلى الإسكندرية ولكنها وصية أمي رحمها الله ولن أخالفها مهما حدث ولماذا تريد أن نجلس في هذا المنزل أربعين يومًا ؟؟.

قاطعتها ناردين وهي تقول للجدة بتعب :

– أريد ان أستريح فأين حجرتي من فضلك فأنا أريد أن أستريح من عناء السفر و أشعر بالصداع ؟

ردت الجدة بصوت هادئ رصين قائلة :

– ليست لك حجرة يا ابنتي أنتِ وأختك في المنزل

فشهقت الفتاتان في نفس اللحظة فهل تطردهما الجدة بعد كل هذا الترحيب والاستقبال الحار..فيا لها من امرأة .. .وهنا ابتسمت بحزن وهي تكمل:

– ليس لكم حجرة بشقتي لأنه لكما شقة كاملة لتسكنا بها وتأخذا راحتكما فيها إنها شقتكم ولم يدخلها أحد منذ هربت أمكم بكما عندما كنتما رضيعتين رفض الدرويش دخولها وقال لن يدخلها غيركم ولن يسكن بها أحد غير بناته عندما تعودان كان يعرف بأنكما ستعودان يومًا، وكان ينتظركما فكان ينظف الشقة

كل أسبوع بنفسه ويرفض أن تساعده جليلة فلم يدخلها أحد منذ اختفائه ..اصعدا بدلا ملابسكما وخذا راحتكما حتى تعد عمتكما الطعام ..فطعام جليلة شهي ولا ينافسها فيه أحد ثقا في ذلك .

أعطت الجدة المفتاح لنيرمين وصعدت الفتاتان بقلق إلى الطابق الثالث حيث شقتهما وكانت كل واحدة تفكر في كل ما حدث وفي تلك القصة الغريبة التي قصتها الجدة عليهما وهل الجدة تخرف أم أن القصة حقيقية؟؟ و إن كانت حقيقية فماذا سيفعلان في تلك المصيبة وهل ستبقيان أربعين

يومًا بذلك المنزل الكئيب ؟؟

****

وضعت نيرمين المفتاح في ثقب الباب وحاولت أن تحركه ولكنها لم تستطع، وسمعت صوت صفير الرياح في أذنيها فشعرت بالتوتر فقالت لأختها بقلق:

– لا أستطيع فتحة ناردين فهو عالق..

– أعطني المفتاح وهنا تحرك المفتاح بسهولة بين يدا ناردين فقالت بسخرية:

– يبدو أن قصة تلك المخرفة أثرت على أعصابك يا أختي الممرضة رقيقة القلب والمشاعر.

نظرت نيرمين بتعجب إلى الباب المفتوح فلقد حاولت كثيرًا فتحه فلم يتحرك المفتاح من مكانه وكان عالقًا فماذا فعلت أختها لتفتحه بسهولة ؟؟

سمعت ناردين تهتف بفرح من داخل الشقة:

- ادخلي يا نيرمين لتري هذا بسرعة لن تصدقي ما أرى أبدًا؟؟

دخلت الفتاة إلى الشقة متعجبة لماذا تصرخ أختها فشهقت :

- ما هذا ؟؟

فكانت الشقة أمامها تختلف تمامًا عن شقة الجدة البسيطة الباليه فكانت شقة راقية بأساس فخم وديكور رائع يدل صاحبها على ذوقه العالي وثرائه الفاحش كانت صالة كبيرة يبدو أن أحد الحجرات انضمت مع الصالة فأصبحت الصالة واسعة بها انتريه فخم وسفرة ضخمة وصالون صغير ومنضدة كبيرة وضع عليها حوض سمك كبير به العديد من الأسماك الملونة الجميلة بجوار باب الشقة .

كانت كالشقق الفاخرة التي تراها على شاشة التلفاز مليئة بالنباتات الخضراء موزعة بطريقة جميلة ومريحة للعين وحجرتان كبيرتان حجرة بها سريران ودولاب كبير وتسريحة وبجوار كل سرير كرسي هزاز من نفس اللون وستائر شفافة من نفس اللون كانت الغرفة جميلة وهادئة وغرفة نوم كاملة وبها مكتبة كبيرة وكرسي هزاز ومكتب اصطفت عليه الكثير من الكتب

شعرت ناردين بالراحة للمكان وفخامته فقالت :

- يبدو أن أبانا رجل ثري وكان يحبنا كثيرًا يا نيرمين فهل ترين الشقة وجمالها وأثاثها الفاخر فلماذا تترك أمي تلك الشقة وتهرب ..فيا لها من امرأة تحب الفقر؟؟

لم ترد نيرمين على أختها بل كان يشغل تفكيرها شيء أخر لقد قالت الجدة بأن الشقة لم يدخلها أحد منذ اختفاء أبيهم الدرويش ولكن الشقة مليئة بالنباتات الخضراء وهذه الأسماك بذلك الحوض

الكبير فمن كان يهتم بهم في تلك الفترة اقتربت من أحد النباتات فوجدت تربته مبلولة بالماء يبدو أن أحدهم قام بسقيها قريبًا والاعتناء بها كما أن الأسماك حية ترزق وتعوم والحوض نظيف وليس هناك أي سمكة ميتة بالحوض.

همست لنفسها:

- هناك من يهتم بتلك الأسماك ويطعمها فلن تتحمل الأسماك كل تلك الفترة بدون طعام ولا النباتات ستتحمل العطش كانت ستذبل وتموت فهل كذبت علينا الجدة عندما أخبرتنا بأن أحد لم يدخل الشقة منذ فترة اختفاء الأب أم أنها تكذب ولم يختفي الأب أصلًا ؟؟ زفرت نيرمين بغضب ثم قالت بصوت عالٍ:

- لا أرتاح لكل هذا ولا لتلك الشقة وهنا التفتت إلى غرفة النوم الرئيسة وكانت التسريحة بمرآتها الكبيرة مواجهة للباب فرات انعكاس المقعد الهزاز يهتز لوحدة ويرتفع إلى أعلى وينزل للأسفل، وكأن هناك من يجلس عليه ويحركه فصرخت نيرمين فزعًا وهي تشير إلى المرآة ..وهنا أتت أختها مسرعة من دورة المياه فلقد كانت تبدل ثيابها فقالت وهي تضع الفوطة على كتفها :

- ماذا حدث يا نيرمين ولماذا تصرخين؟

لم ترد الفتاة ولكنها أشارت إلى المرآة بالغرفة وهنا نظرت ناردين إلى الغرفة فلم تجد شيئًا يثير الفزع فهزت رأسها بحيرة ثم قالت :

-ماذا هناك فليس هناك شيء بالحجرة يا أختي ماذا بك ؟

قالت نيرمين بصوت مهزوز خرج بصعوبة من حلقها الجاف :

– المقعد الهزاز كان يتحرك وكأن هناك من كان يجلس عليه يا أختي اقسم لكِ.

ضحكت ناردين بعنف وهي تقول :

– يبدو أن تخاريف تلك المرأة العجوز وقصتها عن اختفاء أبينا قد أثرت على عقلك الباطن فجعلك تتوهمين الأشياء يا أختي العزيزة تعالي ..

وأخذتها من يديها وأجلستها على أقرب مقعد ثم أكملت حديثها وتصنعت الجدية:

– نيرمين ماذا سنفعل وهل هرب أبي من المنزل كأمي ولكن لماذا الآن ؟

– ولكن جدتك قالت إن الباب كان مغلقًا من الداخل يا ناردين فكيف هرب؟؟ولماذا؟

– ولكن تلك المخرفة قالت أيضًا إن هناك باب أخر يطل على منور المنزل وعلى مطبخ الشقة في نفس الوقت فربما خرج أبي منه ولم يره أحد أو يشعر به ولكن السؤال المهم الآن هو لماذا هرب؟؟؟

– ربما ذهب ليبحث عنا ؟

– يبدو أنك بدأت تخرفين أنت الأخرى ولماذا يهرب يا ذكية ويقوم بعمل كل تلك التمثيلية الهابطة ؟وهل تذكرنا الآن فجاءة بعد مرور أكثر من عشرين عامًا لا أعتقد ..هناك شيء أخر مريب في الأمر ولابد من اكتشافه

– ناردين أختي ما رأيك بأن نعود من حيث أتينا إلى الإسكندرية وحياتنا ونترك عنواننا للجدة وعند عودة الأب يتصل هو بنا ويبحث عنا .؟؟

- نظرت ناردين إلى الخاتم في إصبع أختها قائلة :

- وهل ستخلفين وصية أمك رحمها الله ولا تعرفين الحقيقة فنحن حتى الآن لا نفهم شيئًا وما الذي جعل أمك تترك أبانا وتفر من المنزل ويبدو أن أبي كان كريمًا ولم يبخل عليها بشيء وأثاث الشقة أكبر دليل على كلامي؟؟كما أنني أشعر بالارتياح هنا وكأنني كنت مغتربة في بلد أخر وأخيرًا عدت لموطني يا أختي لا أدري إنه شعور غريب بالراحة والطمأنينة هنا فلن أرحل الآن مهما فعلت ؟؟وتركتها وقامت لتمشط شعرها هي لا تدري ماذا حدث لها حقًّا لقد كانت غاضبة ناقمة على أمها وأختها وكل شيء، ولكنها الآن تشعر بالراحة وكأنها وجدت الملاذ والأمان هنا فلن تتخلى عنهم بسهولة مهما حدث.

وهنا أمسكت نيرمين الخاتم بين يديها وقالت بحزن:

- لماذا يا أمي فعلت ذلك بنا يا ليتك لم تفعلي وتركت الأمور كما كانت من قبل ؟؟

في تلك اللحظة رن جرس الباب كثيرًا وكأن أحدهم وضع يده ولم يرفعه عن الجرس فأخذ يرن بإزعاج دون توقف نظرت الفتاتان إلى عيون بعضهما البعض فقالت ناردين بغضب :

- من على الباب ؟؟

لم تسمع أي إجابة ومازال الجرس يرن فقالت نيرمين :

- افتحي يا أختي ربما كانت عمتك جليلة فهي لا تتكلم كما تعرفين؟؟

فتحت ناردين باب الشقة لتجد أمامها عمتها تضع إصبعها على جرس الباب ولا تتكلم.

أخـذت جليلـة تنظـر إلى ذراعهـا بفـزع فلقـد كانـت الفتـاة ترتـدي قميصًـا بـدون أكـمام وبنطلونًـا قصـير فظهـر الوشـم كامـلًا عـلى ذراعهـا

ابتسمت ناردين بسخرية قائلة:

– هـل تريديـن أن أرسـم لـكِ وشـمًا مثلـه عـلى لسـانك أيتهـا الخرسـاء ربـما جعلـك تنطقـين نظـرت لهـا العمـة

بغضب ولم ترد وهنا صاحت نيرمين بغضب في وجهها :

– عيـب عليـك يـا ناردين إنهـا عمتـك كـما أنهـا مريضـة ...وبعدهـا نظـرت إلى العمـة بحـرج قائلـة:

– اعتـذر منـك يـا عمتـي فهـي لا تقصـد ولكنهـا تحـب المـزاح هـل الطعـام جاهـز فهـزت رأسـها بنعـم فقالـت نيرمـين:

– حـاضر سـننزل خلفـك وشـكرًا لتعبـك يـا عمتـي رحلـت جليلـة وهـي تبتسـم بحـزن .

قالت ناردين بعد أن أغلقت الباب خلفها :

– إن تلـك المـرأة تثـير فزعـي وتوتـري وتنظـر إلى ذراعـي بطريقـة غريبـة وتثـير اشـمئزازي يـا أختـي لا أدري لمـاذا ؟؟

– اتقـي الله يـا ناردين فهـي مريضـة ولا أحـد يعـرف شـعورها الآن وربـما لم تـرَ وشـمًا مـن قبـل لذلـك تنظـر إلى ذراعـك بفضـول فكـما ترين أيـن تسـكن في منطقـة شـعبية ولا أعتقـد بأنهـا تعـرف معنـى وشـم أصـلًا؟؟

– تركـت لـك الحنـان يـا مـلاك الرحمـة كـما يلقبونكـم ، هيـا لنـأكل فأنـا أتضـور جوعـا

– انزلي أنت سأتوضأ و أصلي المغرب وبعدها أحصلك أختي

– هل ستجمعين وتقصرين صلاة المغرب مع العشاء كما فعلت مع الظهر والعصر في القطار

– لا يا أختي إنها رخصة رخصها الله للمسافر ولكننا وصلنا إلى منزلنا ويبدو بأننا سنزيد عن ثلاث ليالٍ فلا يعلم إلا الله كم سنبقى في هذا الكابوس؟!

نظرت ناردين إليها وهي لا تفهم شيئًا ولكنها تعلم أن أختها تحب القراءة في الفقه والسنة وأمور الدين :

– افعلي ما تريدين أيتها القديسة ولكني سأنزل لأتناول الطعام فأنا جائعة

– ناردين تعالي لنصلي معًا جماعة ما رأيك

– لا.. سأصلي في وقت آخر فأنا جائعة الآن وفتحت باب الشقة ونزلت مسرعة

وتركت أختها تقف حائرة من تصرفاتها وتدعو الله لها بحزن :

– ربنا يهديك يا أختي ويصلح حالك فهو يهدي من يشاء.

كانت تعرف أن أختها لا تصلي ولا تركع ولكم أخبرتها بضرورة الصلاة فهي فرض على كل مسلم ولكنها لا تستمع إلى كلام أحد إلا كلام عقلها وتفعل ما تشاء.

الفصل الخامس

الشقة السفلية

علـى مائـدة الطعـام وضـع العديـد مـن أصنـاف الطعـام الشـهي واللحـوم الكثـيرة ، أخـذت ناردين تـأكل بنهـم وشـهية كبـيرة ولكـن نيرمـين كانـت تلـوك الطعـام في فمهـا ببـطء شـديد ولا تسـتطيع بلعـه فنظـرت لهـا الجـدة قائلـة :

– لمـاذا لا تأكلـين يـا نيرمـين يـا ابنتـي؟؟ فوجهـك أصفـر كالليمـون ويبـدو عليـك الإرهـاق والتعـب فتنـاولي غـداءك يـا حفيـدتي

– إني آكل يا جدتي لا تقلقي أشكرك لاهتمامك

– هل هناك ما يضايقك في المنزل يا حبيتي؟؟

ردت بحزن وتأثر :

– نعم يا جدتي أفكر في أبي فأين هو الآن يا ترى وماذا يفعل؟؟

– لا أحد يعرف مكانه إلا الله وحده سبحانه وتعالى

ردت نيرمين بحيرة وتعجب:

– وكيـف تكملـون حياتكـم وكأن شـيئًا لم يحـدث وكأنـه لم يختـفِ أو يهـرب مـن المنـزل ولا تعرفـون لـه طريـق لا أدري؟؟

ابتسمت الجدة بخبث فبانت أسنانها الصفراء:

– لقد أكملنا حياتنا عندما هربت أمك وكنتما مازلتما صغارًا وتسببت في فضيحتنا بالمنطقة يا نيرمين ولم نمت واعتبرناكم أمواتًا ولن تعودوا مرة أخرى ولكنكم عدتما لنا برغم مرور السنوات .

– هل تعنين أن أبي لن يعود يا جدتي؟؟

لم تتكلم الجدة أو ترد عليها بل نظرت إلى عيونها بغضب وبعدها أدارت كرسيها المتحرك من على مائدة الطعام ورحلت دون قول شيء .

فهمست ناردين بغيظ وهي تنظر إلى جدتها الغاضبة:

– ماذا فعلت يا ملاك الرحمة ؟ هل جننت ألا تعرفين كيف تتكلمين لقد أزعجت الجدة بكلامك وربما طردتنا قبل أن نعرف الحقيقة ونأخذ إرثنا فيبدو أن أباك كان ثريًا يا لك من غبية.؟؟؟

– يا ليتها تطردنا ونعود إلى حياتنا السابقة يا أختي فهذا سيكون أفضل لنا ولن أخلف وصية أمي في تلك الحالة أبدًا.

سمعت الفتاتان صوت الجدة من الداخل وهي تقول بصوت عالٍ غاضب :

– لن أطرد أحدًا من منزله يا فتاة فهذا منزلكم و إرثكم ..وأنتم أخر نسل الدرويش.

نظرت ناردين بتعجب وحيرة إلى أختها فلقد كانت تهمس بصوت منخفض فكيف سمعتها الجدة بالغرفة

فهمست لنفسها :

– إن تلك المرأة وراءها سر ولابد من معرفته...

وهنا أتت جليلة لترفع أطباق الطعام من على المائدة من أمام الفتاتان وكانت ناردين مازالت تأكل بنهم فالطعام لذيذ بطريقة مثيرة لم تأكل مثله منذ مرض أمها فصاحت ناردين في عمتها قائلة:

– هل أنتِ خرساء وعمياء ألا ترين أنني مازلت أتناول الطعام ولكن العمة لم تنظر إليها بل رفعت الأطباق وكان شيئًا لم يحدث.

وهنا صاحت الجدة العجوز من داخل الغرفة بصوت عالٍ:

– إياك والغلط في ابنتي يا فتاة فهذه قوانين وأعراف المنزل عندما أقوم من على مائدة الطعام يرفع الطعام من على المائدة فهذا قانون عمار المنزل يا فتاة.

رددت ناردين بتعجب:

– عمار المنزل ..ماذا تقولين أنا لا أفهم شيئًا؟؟

– خذي ما تريدين من الطعام معك واصعدا إلى شقتكما وغدًا نتحدث في الأمر ..وإياك والسخرية من جليلة فاتقي شرها يا ناردين حتى لا تندمين هل تفهمين ؟؟

هزت ناردين رأسها بحيرة من كلام جدتها الغريب فماذا تعني بأن أتقي شرها وماذا ستفعل لها تلك الخرساء؟؟

ألتفتت حولها تبحث عن أختها ولكنها كانت قد سبقتها وصعدت إلى الشقة من زمن ..وهي تبكي بحزن فلماذا تغيرت الجدة في معاملتهما بدون سبب يا ترى؟؟

خرجت من شقة الجدة ولم تأخذ أي طعام معها بل كانت تشعر بالحيرة من تغير معاملة الجدة مرة واحدة...

وهنـا أغلـق البـاب بعنـف في وجههـا، فنظـرت ناردين بغضـب صائحـة :

- يا لك من غبية تغلقين الباب بوجهي أيتها الخرساء.

وقفـت أمـام بـاب الشـقة تنظـر بغضـب إلى بـاب الشـقة المغلـق وهنـا سـمعت اسـمها يـتردد مـن جديـد:

- نارررررررررديييين اقتربي أنا انتظرك منذ زمن ...

كان الصـوت صـادرًا مـن أسـفل السـلم، نزلـت ناردين إلى أسـفل الـدرج ومازالـت تسـمع اسـمها يـتردد بهمـس

وأنـه ينتظرهـا فوجـدت نفسـها أمـام بـاب الشـقة بالطابـق الأرضي وكان الاسـم يـتردد مـن داخلهـا وضعـت أذنهـا عـلى البـاب فلـم تسـمع شـيئًا إلا صـوت صفـير الريـاح وشـعرت بالـبرودة الشـديدة تـسري في أوصالهـا.

وهنـا نظـرت إلى الأقفـال الكثـيرة الموضوعـة عـلى البـاب كانـت الأقفـال شـكلها غريـب وكبـيرة لدرجـة كبـيرة فلـن تسـتطيع فتحهـا مهـما فعلـت وحاولـت وهنـا نظـرت إلى بـاب المنـور وكان مفتوحًـا ففكـرت هـل مـازال بـاب المطبـخ الموصـل للشـقة مفتوحًـا ..

نظـرت إلى المنـور وكان مظلـمًا كالقبـور ومعتـمًا فشـعرت بالكآبـة مـن منظـره ولكنهـا اتخـذت قرارهـا سـتدخل وتعـرف مـن الـذي يهمـس باسـمها مـن داخـل الشـقة وينـادي عليهـا فربـما كان أبوهـا .

فأضـاءت كشـاف تليفونهـا المحمـول وهمـت بوضـع قدميهـا داخـل المنـور لتدخـل الشـقة مـن البـاب الموصـل للمطبـخ كـما أخبرتهـا الجـدة فسـمعت الـصراخ المريـع .....

فهتفت بفزع :

- نيرميين ماذا حدث ؟؟

****

صعدت نيرمين إلى شقتها وكانت حزينة غاضبة حائرة لا تدري لماذا تغيرت الجدة في معاملتها فهي لم تقل شيئًا وأين أبوها ذهب يا ترى وكيف يختفي أو يرحل الآن فما هذا الحظ السيئ؟؟

وهل مازال على قيد الحياة أم مات فهي لا تصدق موضوع اختفائه هذا أبدًا ...دخلت الشقة و إلى غرفتها وجلست على الكرسي الهزاز بالغرفة وأخذت تتحرك به وتحاول أن تهدئ من أعصابها وهنا رن جرس تليفونها وكان محمود:

- هل وصلتي يا نيرمين إلى بيت والدكم؟؟

- نعم يا محمود وصلنا ولكني لست مستريحة؟

- ماذا حدث عندك هل لم يرحبوا بكما؟؟

- لا لقد رحبت بنا الجدة ولكن أبي لم نره فليس هنا؟

- هل هو في العمل ؟؟

- لا

- أين ذهب إذا؟

- لقد قالت جدتي لا أحد يعرف طريقه لقد اختفى؟

- اختفى ؟؟كيف؟؟

- لا أحد يعرف يا محمود وأنا لا أفهم شيئًا وأريد الرجوع إلى الإسكندرية و منزلي فأنا لا أشعر بالارتياح هنا؟؟

وهنا صاح محمود بفزع:

- نيرمين ما هذا الصوت والصراخ من عندك ؟؟

- أي صوت أنا لا أسمع شيئًا؟

- صراخ مريع يا نيرمين وخوار غريب يصم الآذان يأتي من عندك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أين أنت يا وبعدها أغلق الخط ولم يكمل الجملة..

نظرت نيرمين إلى التليفون بحيرة و إلى الغرفة من حولها فليس هناك أي صوت غريب أو شوشرة تسمعها فهزت رأسها ربما كان عيب في الشبكة ..

أغمضت عينيها وأخذت تهز نفسها لأسفل وأعلى بالمقعد الهزاز وتفكر بكل شيء، فشعرت بتلك الحركة وكان أحدهم مرر ريشة على أصابع قدميها، فشهقت بفزع وفتحت عينيها بتوتر ونظرت إلى قدميها بتعجب فوجدت ريشه سوداء كبيرة على قدميها ونهاية طرفها تنزف دم ، وكأن أحدهم قام بنزعها من جناح الطائر في تلك اللحظة.

صرخت الفتاة وظلت تصرخ بفزع وهي تنتظر إلى الريشة بتعجب وشعرت بالفزع وبانقباض صدرها فمن أحضر تلك الريشة ووضعها على قدميها ولمن تكون، إنها أكبر بكثير من أن تكون ريشة نعامة، فريش النعام ليس بذلك السواد الشديد، وهذا الحجم الضخم الكبير ربما كان طائرًا جديدًا عملاقًا لم يكتشفه أحد من قبل من يدري فالكون مليء بالأسرار من حولنا؟؟؟ ولكن من الذي وضعها على قدميها ولم يكن أحد معها بالغرفة ؟

وفي تلك اللحظة فصل التيار الكهربائي وعم الظلام وكان هذا أخر ما ينقص الفتاة ريشة عملاقة سوداء على قدميها لا تعرف مصدرها وظلام دامس يحيط بها من كل جانب فيا لسخرية الحياة ولطفها؟؟

أخذت نيرمين تصرخ بفزع وشعرت بمن يمرر الريشة على قدميها الأخرى وهنا لم تعد تتحمل ولم تستطع أضاءت التليفون لترى ماذا يحدث عند قدميها ؟

فليحدث ما يحدث فلن يهم الأمر الآن، فلتهرب من ذلك الموقف وهذا المكان اللعين فلن يتحمل قلبها ولا عقلها استيعاب ما يحدث معها فسقطت الفتاة فاقدة الوعي فلم تتحمل الموقف؟؟

****

فتحت نيرمين عينيها ببطء فوجدت نفسها تنام على رمال حمراء دموية ليست صفراء أو بنية كما تعرفها كانت الرمال حمراء قرمزية وكأنها في صحراء واسعة تمتد إلى مالا نهاية أغمضت عينيها وفتحتها لعلها تحلم وستستفيق من حلمها الكريه، ولكن الصورة ظلت كما هي ولم تتغير وقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل فرفعت عينيها إلى السماء لتدعو الله أن ينجيها مما هي فيه ..فماذا فعلت هي ليحدث لها هذا؟؟

كانت السماء مليئة بالكائنات السوداء الضخمة كانت تحوم وتطير فنظرت لهم نيرمين برعب متسائلة :

– ما هذا الشيء العملاق ؟

لم ترَ إلا أجنحتهم الضخمة وأرجلهم فلقد كانوا يطيرون على مسافة عالية ولكنها لمحت عيونهم الحمراء الدموية التي كانوا

ينظـرون لهـا بهـا أغمضـت عينيهـا واسـتعاذت بـالله مـن الشـيطان الرجيـم، حاولـت الـصراخ ولكـن أبـت الصرخـة أن تخـرج مـن حلقهـا الجـاف، حاولـت السـير والابتعـاد ولكنهـا شـعرت بمـن يثبـت أقدامهـا بالمـكان ..

لقـد شـعورا بوجودهـا فلقـد بـدأوا يهبطـون مـن السـماء باتجاههـا، كانـت عيونهـم مرعبـة بلونهـا الأحمـر الدمـوي وتأخـذ نصـف وجههـم ولهـم فـم كبـير مـن الأذن إلى الأذن بأسـنان حـادة رفيعـة مدببـة، كانـت هيئتهـم كالبـشر فلهـم ذراعـان وقدمـان ووجـه ولكـن أرجلهـم وأذرعهـم طويلـة ويزيـد عليهـم الجناحـان العملاقـان السـوداوان

حاولـت أن تغمـض عينيهـا فهـي لا تريـد رؤيـة ملامحهـم البشـعة المرعبـة، ولكنهـا لم تسـتطع إغـلاق عينيهـا لقـد شـعرت أن هنـاك مـن يتحكـم بإرادتهـا ويجبرهـا عـلى فعـل مـا لا تريـد ..

أخـذت تتـضرع إلى الله أن ينجيهـا ممـا هـي فيـه تحـاول أن تقـرأ مـا تحفظـه مـن آيـات الذكـر الحكيـم ، فـرددت آيـة الكـرسي وأخـذت ترددهـا بقـوة وهنـا سـمعت الـصراخ والمـواء ..الخـوار وكأن هنـاك مـن يذبح..سـمعت صـوت النـار عندمـا تلقـى عـلى نـيران مشـتعلة لتطفئهـا..

أغمضـت عينيهـا أخـيرًا بقـوة ووضعـت يديهـا عـلى أذنهـا حتـى لا تسـمع صراخهـم وأخـذت تـردد القـرآن ومـا تحفظـه مـن كلام الله فلقـد كانـت تحفـظ خمسـة أجـزاء مـن القـرآن الكريـم .

وهنـا شـعرت بالهـدوء والسـكينة ففتحـت عينيهـا ببـطء فوجدتـه أمامهـا يبتسـم لهـا بـود شـيخ كبـير ووجهـه يشـع نـورًا ولـه لحيـة بيضـاء كبـيرة تصـل إلى أسـفل سرتـه و شـعرٌ أبيـض طويـل يصـل إلى أسـفل ركبتيـه.

شعرت بالراحة وهي تنظر إلى وجه الشيخ الطيب فقالت له :

– أين أنا أيها الشيخ الجليل وما هذه الأشياء المرعبة؟

لم يجيب على سؤالها ولكنه قال لها بصوت قوي:

– ارحلي من هنا وعودي من حيث أتيت !

وتمسكي بكتاب الله ستنجيك كلمات الله من بطشهم

و أذاهم، فهذا ليس مكانك يا ابنتي ؟؟ فلن يدعوك وشأنك وأنت من نفس النسل يا فتاة ؟؟

نظرت إليه بتعجب:

– لن يدعوني وشأني ؟؟ ونفس النسل أنا لا أفهم شيئًا، أيها الشيخ ..من هم بالله عليك...؟؟

– ارحلي يا بنيتي و ادعو الله أن يغفر لي فأنا من جلبت الشر دون قصد مني.

لم تفهم ما يقوله الشيخ فحاولت أن تسأله :

– أي شر يا جدي جلبته لا أفهم عما تتحدث .. ولكنها وجدت نفسها تهتز بقوة وكل شيء من حولها يتحرك بطريقة عكسية

أخذت تهتز بعنف فكل شيء كان يتحرك من حولها وشعرت بأنها تغرق بالرمال الحمراء من حولها، صرخت كثيرًا وكان صدي صرخاتها يبتعد ويبتعد ...

وهنا سمعت صوت أحدهم ينادي باسمها ..فأخذت تبحث عن مصدره وهي تغرق وسط الرمال وكأنه طوق النجاة الذي سيخرجها من هذا الكابوس كانت تعرف الصوت جيدًا ولكنها لم تميز من صاحبه

– نيرمين استفيقي بالله عليك..ماذا حدث ؟؟

فتحت نيرمين عينيها بفزع لتجد أختها تقف بجوارها وتهزها بقوة وهي تحاول أن تجعلها تستفيق ..قائلة:

– أخيرًا الحمد لله ..ماذا حدث يا أختي ولماذا كنت تصرخين؟ لقد أوقفت قلبي أيتها الغبية.

لم ترد نيرمين بل نظرت إلى أختها بفزع و إلى الغرفة من حولها تحاول استيعاب ما حدث وأين كانت هي منذ قليل ومن هذا الشيخ ولماذا نادته بجدي والأهم الآن هو لماذا تشعر بالألم في قدميها وهنا تذكرت الكائنات السوداء و الريشة السوداء على قدميها فنظرت إلى أقدامها فوجدتها تنزف وكأن أحدهم قام بخدشها بشيء حاد ..ولم تكن الريشة موجودة هناك

نظرت ناردين إلى ما تنظر إليه أختها بفزع فوجدت قدم أختها اليسرى تنزف الدماء فهتفت بفزع:

– ماذا فعلت بنفسك أيتها الغبية وكيف جرحت نفسك هذا الجرح العميق ؟

ذهبت بعدها وأحضرت مجموعة من المناديل وقامت بوضعها على الجرح والضغط عليه بقوة

وهي تتساءل :

– لماذا لا تنطقين ماذا حدث يا نيرمين وكيف جرحت نفسك بتلك الطريقة الغريبة؟؟

– كانت كلمات الشيخ تتردد في عقلها « ارحلي من هنا وعودي من حيث أتيت ؟؟ وتمسكي بكتاب الله ستنجيك كلمات الله من بطشهم و أذاهم، فهذا ليس مكانك يا ابنتي! فلن يدعوك وشأنك وأنت من نفس النسل يا فتاة!

– ناردين أريد أن استمع إلى القرآن الكريم افتحي التلفاز على أي قناة للقرآن الكريم من فضلك.

– حاضر سوف أفتحه لك ..فلا تبكي من فضلك

وهنا انقطعت الكهرباء وعم الظلام فصاحت ناردين :

يا إلهي هل هذا وقته ؟ انتظري سأنير الكشاف فهناك واحد بغرفة النوم الأخرى لا تخافين وتصرخين كالأطفال أغمضت نيرمين عينيها وأخذت تردد ما تحفظه من آيات الذكر الحكيم، وكانت تشعر بالاختناق ورائحة كريهة من حولها تشعرها بالغثيان، كانت تسمع صوت الرياح وصفيرها في أذنيها ..

هل تلك الخربشة صادرة من الغرفة أم من الشارع كانت تفكر ولا تدري حاولت إضاءة تليفونها

المحمول كانت البطارية ضعيفة وعلى ضوئه الباهت لمحت ذلك الشيء الأسود الذي جرى من أمامها مسرعًا صرخت بفزع وفي تلك اللحظة أتت ناردين وهي تنير الكشاف لتضيء الغرفة وتبدد الظلام فقالت:

– هل ستظلين جبانة طوال حياتك يا أختي وتخافين من ظلك ؟

لم ترد عليها نيرمين بل قالت بانهيار:

– نيرمين أريد العودة إلى الإسكندرية الآن ؟

– هل جننت هل تريدين العودة في هذا الوقت المتأخر يا مجنونة وماذا عن وصية أمي؟؟هل ستخلفينها؟ بسبب كابوس أزعجك يا نيرمين؟ اهدئي يا أختي ولا تتسرعين.

صمتت نيرمين وتساقطت دموعها بقهر فهي لا تريد البقاء في هذا المنزل اللعين تشعر بالكراهية والغربة بالمكان فهناك شيء خاطئ بالمكان ولكنها لا تدري ما هو ورغم ذلك هي مضطرة للبقاء مجبرة لتنفيذ الوصية.

« مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرءُ يُدْرِكُهُ...تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ »

قالت نيرمين من بين دموعها :

– ناردين لا تتركيني من فضلك فأنا خائفة ابقي بجواري حتى أنام ولا تطفئي الكشاف اعرف بأنك لا تخافين الظلام طوال حياتك وتعشقينه عن النور.

نظرت لها ناردين بسخرية:

– يا لك من غبية، إنه مجرد كابوس ما رأيته، ربما بسبب كلام جدتك الغريب لا أدري كيف تكوني أنتِ أيتها ألبسكوية الناعمة أختي والأسوأ توأمتي وعشنا معًا نتشارك الطعام والمأوى في رحم أمنا يا إلهي أشعر بأن بالأمر خدعة

ابتسمت نيرمين رغمًا عنها لدعابة أختها وقالت :

– تصبحين على خير

– انتظري لا تنامي الآن أريد أن أخبرك بشيء غريب يحدث بهذا المنزل الغريب.

– شيء غريب وما هو يا أختي؟؟

– إني أسمع صوتًا يهمس باسمي من الشقة بالدور الأرضي ويقول بأنه ينتظرني

– ماذا تقولين يا ناردين ومن هذا ؟؟

– أقسم لك فهذا ما حدث لقد سمعت أحدهم يهمس باسمي مرتين و أشعر بأن هناك أحد بالشقة وليست خالية كما قالت جدتي وأخبرتنا.

– ومن سيكون بالشقة يا ناردين ربما تتوهمين؟

– لا أنا لا أتوهم وأنت تعرفينني جيدًا ربما كان أبي يا نيرمين وكل ما قالته الجدة كذب وهو بالشقة السفلية الآن لسبب ما ولم يغادرها كما أخبرتنا منذ قليل؟

– لا أدري ولكني لا أعرف كيف تعيش الجدة حياتها عادي وكأن شيئًا لم يحدث، أشعر بعدم الارتياح أيضًا لما يحدث ولا أصدقة يا ناردين؟؟

– ماذا تعني نيرمين فهل تكذب الجدة علينا ؟؟

– ربما من يدري فربما كنت محقة وكان أبي بالشقة مادمت متأكدة بأنك سمعت صوت أحدهم ؟؟

– ولكن كيف عرف اسمي يا أختي ؟

– ربما عندما أخبرنا العمة جليلة والجدة فلقد كنا بالمدخل وبجوار باب الشقة وقتها ؟؟

– ولماذا لم ينادي عليك أنت يا نيرمين؟

– لا أعرف ربما لأني صعدت قبلك إلى جدتي وبقيت أنت بالمدخل فرأك من عين الباب السحرية أو شيء من هذا القبيل ؟

– يا لك من فتاة ذكية يا أختي وتصلحين للتحقيق مع الشرطة ..

ضحكت الأختان وهنا قالت ناردين باهتمام :

– لابد أن ندخل الشقة ونرى من بالداخل ؟؟

– وهل ستسمح لنا جدتك ؟

– لا أدري ولكن حتى و إن لم تسمح لنا بالأمر فمن سيهتم سندخل ونعرف الحقيقة بأنفسنا ما رأيك..

نظرت لها نيرمين بحيرة ولم ترد فهي لا تشعر بالارتياح لكل هذا فهزت رأسها بالموافقة ولم ترد.

وهنا قالت ناردين :

– يا ليت الكهرباء تعود لنستطع دخول الشقة..ولم تكمل جملتها فعادت الكهرباء لتنير الشقة ..

فهتفت بحماس لقد عادت الكهرباء يا أختي هيا بنا لنعرف من بالشقة ويهمس باسمي

– انتظري ناردين للصباح فنحن لا نعرف ماذا يوجد بالشقة والوقت متأخر فربما انقطعت الكهرباء مرة أخرى كما أنا النهار له عيون كما كانت أمي دائمًا تقول رحمها الله وغفر لها.

هزت رأسها بغضب فلقد كانت متحمسة ومتشوقة لدخول الشقة:

– عندك حق وربما شعرت بنا البومة الخرساء

صاحت نيرمين بغضب:

– ناردين بالله عليك لا تتسببين في مشاكل ولا تحتكي بعمتك جليلة أو تذكريها بسوء حتى لا تثيرين غضب جدتك اتفقنا

– سأحاول ولكنها مستفزة ونظراتها تشعرني بالغثيان

– هـي تنظـر للوشـم عـلى ذراعـك ويعجبهـا حـاولي ارتـداء شيء بأكـمام وحـلي المشـكلة مـن فضلـك.

– حـاضر يـا أختـي ولكنـي لـن أتحمـل ذلـك الحـر والجـو الجـاف فبـشرتي حساسـة للغايـة.

– اعتـبرى نفسـك محجبـة يـا أختـي ولابـد لـك مـن ارتـداء شيء بأكـمام وتغطيـة يديـك وشـعرك

وهنـا غـيرت ناردين الموضـوع حتـى لا تتكلـم أختهـا كثـيرًا وتأخـذ في وعظهـا وكلامهـا عـن الصـلاة والحجـاب وضرورتهـم لـكل فتـاة مسـلمة وفـرض ..وسـنة وهـي لا تريـد أن تتحـدث في الأمـر الآن .

– هل ستأتي معي غدًا وندخل الشقة لنرى من بالداخل .

– إن شـاء الله تصبحـين عـلى خـير فأنـا متعبـة ... نامـت نيرمـين وهـي تشـعر بالقلـق ...

****

وقـف هـو فـوق الرمـال الحمـراء يرتـدي جلبابًـا أبيـض فضفـاض وينظـر لهـا بغضـب ولـوم في نفـس الوقـت، إنـه نفـس الشـيخ شـعرت بغضبـه بحزنـه بلومـه لهـا فقالـت لـه بصـوت ضعيـف:

– لماذا أنت غاضب مني أيها الشيخ الجليل؟

– لأنـكِ لم تنفـذي مـا قلتـه لـك يـا نيرمـين فلـماذا تعصـين أمـري يـا ابنتـي؟؟

– لم أسـتطع أيهـا الشـيخ فلـن أخلـف وصيـة أمـي ولـن أسـتطع تـرك أختـي بمفردهـا بذلـك المنـزل؟؟

– لقد خدع أمك يا ابنتي وتسبب في موتها ؟؟

– خدع أمي وتسبب بموتها من هو أخبرني؟؟

– لا أستطيع إخبارك بشيء ولكني أدعو الله القدير العزيز الجبار خالق الإنس والجن أن ترحلي من هذا المكان قبل فوات الأوان فمازال قلبك نقيًا يملئه الإيمان لم تدنسه دمائه

– ماذا تقول فأنا لا أفهم شيئًا

– ارحلي من هذا الجحيم سريعًا فلم يعجبهم دمك عندما تذوقوه ولا تتكلمي كثيرًا أو تدخلين نفسك في أمور لا تفهمينها ...ارحلي وإلا ستهلكين كما ستهلك الأخرى..

شعرت بمن يهزها بعنف ففتحت عينيها لتجد عمتها جليلة فوق رأسها ..

فنظرت حولها تبحث عن أختها بعيونها فلم تجدها بالغرفة .... فصرخت بصوت عالٍ :

– ناردييين أين أنت يا أختي...

ولكنها لم تسمع إجابة ...فقفزت من على الفراش مفزوعة وأخذت تلف الشقة تبحث عن أختها ولكنها لم تجدها.

كان صوت الشيخ مازال يتردد بعقلها:

– ارحلي وإلا ستهلكين كما هلكت الأخرى ...فلم يعجبهم دمك عندما تذوقوه ..

فصرخت بصوت عالٍ ....

– نارددددددددددددددين ..... لاااااااااااااااااااااا

الفصل السادس

القسم

جلس في الظلام إلا من شمعة صغيرة تبدد ظلام الغرفة قليلًا وتلقي ضوءها على وجهه من هو ...

إنه شيخٌ كبيرٌ تجاوز السبعين من عمره فالتجاعيد تملأ وجهه والشيب يغطى رأسه ولحيته الطويلة التي تغطى أسفل سرته وكانت رائحة البخور العطري ودخانه كثيف تتصاعد من مبخرة كبيرة وضعت على منضده قصيرة، وجلس هو على أحد المقاعد الصغيرة المحيطة حول المنضدة أخذ الرجل يردد بعض الكلمات بقوة وبصوت عالٍ وهو يمسك بأحد الأوراق بين يديه ويقرأ ما فيها بصوت عالٍ ثلاث و ثلاثين مرة :

(« أقسمت عليك « بسمائيل » بالله و عظمته و العرش و رفعته و الكرسي و سعته وجبرائيل وروحيته و إسرافيل و نفخته و ميكائيل و أمنته و عزرائيل و قبضته، أنكم لا تعصوا من دعاكم بأسمائه بحق العهد و الميثاق و بما عاهدكم به سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل، و ألا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، و قد جعلت الله عليكم كفيلًا ،و كان عهد الله مسئولًا، أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعًا إن الله على كل شيء قدير

الوحـا الوحـا العجـل العجـل السـاعة السـاعة بـارك الله فيكـم و عليكـم. »)

أخـذ الرجـل يـردد الكلـمات بقـوة وصـوت جهـوري مخيـف حتـى انتفخـت أوردتـه و احمـر وجهـه ومـن يـراه مـن بعيـد سـيعتقد أنـه سـيصاب بجلطـة أو ذبحـة صدريـة في أي لحظـة ..وسيسـقط عـلى الأرض صريعًـا.

كان الهـواء يتخلخـل حـول الرجـل بصـوت غريـب وكلـما خرجـت الكلـمات مـن حلقـه فـإن الهـواء يتخلخـل مـن حولـه.

أكثـر و أكثـر ... صـوت خربشـة عـلى الجـدار ونقـر خفيـف وكأن أحدهـم يسـتأذن بالدخول...مـن خلـف الجـدار..

وهنـا انشـق الجـدار أمامـه إلى نصفـين وشـعر الرجـل بالـبرودة، و انتصـب شـعر يديـه، وسـمع صفـير الريـاح القـوي مـن حولـه مختلـط بصـوت النـيران عندمـا تلقـي فيهـا شـيئًا وهـي مشـتعلة لتزيدهـا اشـتعالًا ..

وهنـا رأه عندمـا انشـق الجـدار مـن أمامـه إلى نصفـين وخـرج هـو مـن ذلـك الممـر الضيـق شـديد الظـلام كان طويـل القامـة لدرجـة مثـيرة للفـزع بشـع الخلقـة، لـه أذنـان طويلتـان و أنـف كبـير كالمنقـار وعيـون حمـراء دمويـه مشـقوقة طوليًـا تغطـي نصـف وجهـه وممـص طويـل يحـل محـل الفـم، يغطـي جسـده الشـعر الكثيـف كانـت هيئتـه مرعبـة مخيفـة تجمـد الدمـاء في العـروق نظـر طويـلًا إلى الشـيخ، ثـم قـال بصـوت قـوي حـاد :

- ماذا تريد مني يا رجل تكلم ؟

نظـر لـه العجـوز بتوتـر كان يشـعر بالتوتـر ودقـات قلبـه تتسـارع ولكنـه حـاول أن يكـون قويًـا متماسـكًا، فقـال بصـوت حـاول أن يجعلـه قويًـا :

– أريـدك « بسـمائيل » أن تخدمنـي وتطيعنـي وتنفـذ أوامـري بحـق القسـم وعهـد سـليمان عليـه السـلام.

وهنـا أصـدر الجنـي زمجـرة قويـة وحـرك يديـه الطويلـة فأسـقط كل شيء عـلى الطاولـة أمـام الرجـل بغضـب ثـم قـال بصـوت عميـق :

– ولكنـي لسـت جنـي مسـلم ضعيـف لأطيعـك وأنفـذ أوامـرك بتلـك الكلـمات وهـذا القسـم أيهـا الإنـسي فلـماذا تدخـل اسـمي معـك فأنـا جنـي مجـوسي و أعبـد النـار ولـن يؤثـر في القسـم ولـن أطيـع وأنفـذ أوامـر إنـسي مهـما فعلـت وبعدهـا أصـدر ضحكـة قويـة أخـذ صداهـا يـتردد في المـكان ..

وهنا أخذ الرجل يردد الكلمات والقسم بصوت عالٍ قوي :

(« أقسـمت عليـك « بسـمائيل » بـالله و عظمتـه و العـرش و رفعتـه و الكـرسي و سـعته وجبرائيـل وروحيتـه و إسرافيـل و نفختـه و ميكائيـل و أمنتـه و عزرائيـل و قبضتـه أنكـم لا تعصـوا مـن دعاكـم بأسـمائه بحـق العهـد و الميثـاق و بـما عاهدكـم بـه سـيدنا سـليمان بـن داوود عليـه السـلام عنـد بـاب الهيـكل الكبـير ببابـل و ألا تنقضـوا الأيـمان بعـد توكيدهـا، و قـد جعلـت الله عليكـم كفيـلًا و كان عهـد الله مسـئولًا، أينـما تكونـوا يـأت بكـم الله جميعًـا إن الله عـلي كل شيء قديـر.

الوحـا الوحـا العجـل العجـل السـاعة السـاعة بـارك الله فيكـم و عليكـم. »)

و أخذ الجني يزمجر بغضب وهو يصرخ ويشعر بالاحتراق :

– قلت لك توقف فلن أطيعك ولن أخدم إنسي مسلم مهما فعلت توقف ولا تتلفظ بما لا تفهم حتى لا تندم على ما تفعل وتقول وتكون نهايتك توقف ...

لم يتوقف الرجل بل أخذ يردد القسم واسم الجني الذي بدء يذوب وهنا ابتسم الرجل قائلًا :

– ماذا تقول أيها الجني بسمائيل هل مازلت ترفض أن تكون خادمي؟!

قال من بين غضبه وآلامه المبرحة وهو يئن ويصدر صوتًا كخوار الثور عند ذبحه :

– نعم أرفض ولن يؤثر بي القسم فهو لا يؤثر إلا على الجني المسلم ولكني خادم للنار وعابدها فلن يؤثر علي قسمك ولن أطيع أوامرك فلست خادمًا لأحد إلا النار هل تفهم فلا تذكر اسمي مجددًا .

– وان كان كلامك صحيح فلماذا حضرت إذا يا بسمائيل

– حضرت لأنك ذكرت اسمي أكثر من ٣٣ مرة دعني ارحل واصرفني من هنا ولن أؤذيك

ضحك العجوز بعنف حتى اهتز جسده كله ثم قال:

– لن أدعك ترحل وستكون خادمي بسمائيل وتنفذ ما أريد وإلا أحرقتك بالنار التي تعبدها هل تفهم وهنا أخذ يردد بصوت عالٍ

– (« أقسمت عليك « بسمائيل » بالله و عظمته و العرش و رفعته،

و الكرسي و سعته وجبرائيل وروحيته و إسرافيل و نفخته و ميكائيل و أمنته و عزرائيل و قبضته أنكم لا تعصوا من دعاكم بأسمائه بحق العهد و الميثاق و بما عاهدكم به سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل و ألا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، و قد جعلت الله عليكم كفيلًا و كان عهد الله مسئولًا، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا إن الله على كل شيء قدير.

- الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك الله فيكم و عليكم. «)

أخذ الجني يصرخ وهو يشعر بالذوبان وبأن جسده يسيل ويتساقط على الأرض :

- ستندم أيها الإنسي الفاني على ما فعلت وما قولت فلن أترك لك نسلًا أو ذرية إلا وسخرته ليكون خادمي وينفذ ما أريد ستموت أبشع موتة مات بها بشري على أرضك وسأعود أنا يومًا لانتقم منكم جميعًا معشر البشر النمرود..لتعرفوا مع من تمزحون ...

وهنا أخذ الرجل يردد بعض الكلمات بصوت عالٍ أمام صوت وخوار الجني الذي أخذ يذوب أمام عينيه

فقال بصوت عميق :

« -» بسم الله الملك الحق المبين الرحمن الرحيم لا إله إلا الله بيني و بين أعدائي لا إله إلا الله بيني و بين خصمائي جبل حائل و ستر محجوب و سد منيع و سيف قاطع و نار محرقة و مجرى عميق لا يصلون إليَّ لا بقول و لا بفعل من اليوم إلى الغد و من الغد إلى الأبد فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم، تحصنت بالحصن المنيع الذي

أساسه لا إله إلا الله، و سوره محمد رسول الله، و مفتاحه لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم همسًا لمسًا هونًا عونًا، أنا العبد الضعيف سهمي نفذ و ربي الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد، اللهم إن جاءوا إليَّ فردهم و إن جاروا علي فهدهم، فأنك أنت ربي و ربهم و رب الخلائق كلهم »

أنهى الشيخ العجوز الكلمات وهنا سمع الأصوات العالية والنفير المزعج العجيب وكأنه يأتي من قعر سقر أو من أسفل الجحيم وسمع صوت زيت مغلي يفور عندما تسكب عليه المياه البارده وفي تلك اللحظة أمره اللشيخ بصوت قوي زلزل المكان :

– ادخل إلى الصندوق بسمائيل ولا ستموت حرقًا فأنا أحذرك، نظر الجني إليه بغضب وعيون حمراء دموية كادت تخرج من مقلتيها من شدة الغضب فلقد كان ضعيفًا هشًا و أشار الشيخ إلى أحد الصناديق على الأرض و أخذ يحاصره ويردد الكلمات فلم يكن أمام بسمائيل إلا أن رضخ لأمر الرجل ودخل ذلك الصندوق الأسود الصغير غريب الشكل على الأرض وهو مازال يردد بصوت متقطع بأنه سيعود يومًا وسيتحرر ولن يوقفه إنسي مهما كان الثمن ...فقال بصوت مخيف :

– سأعود يومًا أيها الفاني ولن يوقفني أحد يومها و اعرف أن يوم عودتي هو يوم موتك ....وبعدها صرخ بألم وضاع صوته الغاضب وزمجرته في الفضاء ...

وبعدها وقف الشيخ وهو ينظر إلى الصندوق الصغير على الأرض و أغلقة بيديه و أخذ يردد بعض الكلمات الغريبة الغير مفهومة القادمة من هناك ..

مـن كتـب المـاضي السـحيق وسـحره العتيـق وأسراره الكونيـة المخيفـة وقـام بوضـع قفـل غريـب الشـكل عـلى الصنـدوق ووقـف ينظـر إلى الجـدار المشـقوق أمامـه بتوتـر

و إلى كل تلـك العيـون الحمـراء التـي ظهـرت مـن خلفـه مذعـورة خائفـة وكانـت تراقـب مـا يفعـل بذعـر فنظـر لهـم الرجـل قائـلًا بصوت عـال قـوي :

– هـل يـأتي نفـر منكـم طوعًـا ومتطوعًـا لخدمتـي بحـق سـيدنا سـليمان وقوتـه ورب العـرش وحكمتـه ..

وهنـا تقـدم ثلاثـة مـن الجـن قصـار القامـة ولهـم أجنحـة سـوداء كبـيرة وبشرتهـم سـوداء وعيونهـم حمـراء دمويـة مشـقوقة طوليًـا لتأخـذ نصـف الوجـه بالطـول وأذنـان صغيرتـان وفـم كبـير مـن الأذن إلى الأذن ويغطـي الشـعر الأسـود الكثيـف أجسـادهم يبـدو أنهـم مـن نفـس القبيلـة والعشـيرة فانحنـوا أمـام الرجـل قائلـين بصـوت واحـد :

– نحـن خدامـك يـا سـيدي وسـننفذ أوامـرك ونخدمـك ونخـدم ذريتـك ونسـلك مـن بعـدك حتـى تأتينـا المنيـة وتذهـب روحنـا إلى خالقهـا فلـن نخلـف العهـد بحـق القسـم .

وهنـا نظـر الرجـل لهـم بانتصـار بعيونـه الواسـعة المفتوحـة عـلى أخرهـا وأشـار بيـده، فعـاد الجـدار إلى مـا كان عليـه وأشـار إلى الصندوق فقـام الثلاثـة برفعـه مـن عـلى الأرض ووضعـه في ركـن الغرفـة فـوق أحـد المناضـد العاليـة التـي لا يسـتطع أحـد الوصـول إليهـا.

وهنـا جلـس الرجـل عـلى المنضـدة الدائريـة أمامـه و أخـذ يقـرأ في الكتـاب الـذي أمامـه بصـوت عـالٍ ..

فسـمع الطـرق عـلى البـاب العنيـف بصـوت مـدوي فتراجـع الثلاثة

إلى الخلف حيث الظلام وتواروا وصوت أنثوي يقول بحدة :

– الطعام جاهز يا شيخ إمام هل انتهيت من عملك و أتيت لتتناول غداءك معنا فالصبي يتضور جوعًا؟؟

فرد عليها الرجل بهدوء:

– تناولي طعامك أنت والصبي يا منيرة فلست جائعًا الآن.

– هل أرسل لك الطعام مع الصبي بالخلوة يا شيخ إمام

فصرخ العجوز قائلًا:

– لا إياك إن يقترب الفتى من تلك الشقة السفلية ومن خلوتي هل تفهمين يا منيرة وإلا ستندمين ولن أرحمك لا أنت ولا هو وربما دفنتكما أحياء هنا .

لم ترد المرأة عليه بل تنهدت بضيق وزفرت بغضب فيا له من رجل قاسي القلب فلا تدري كيف تزوجته وهو يكبرها بعشرين عامًا ولكنه والدها سامحه الله وبعدها رحلت مسرعة من أمام الباب وهي تسمع تلك الأصوات الغريبة التي تهمس باسمها وترى لونًا أزرق يخرج من أسفل باب الشقة أخذت تنظر برعب وهي ترجع بظهرها حتى كادت تسقط على وجهها ..من شدة فزعها

****

استيقظ الصبي والعرق يغطي وجهه ويتساقط من جبهته غزيرًا و أخذ يصرخ بعنف وهنا دخلت هي الغرفة وهي تقول بفزع:

– ماذا حدث يا ولدي ولماذا تصرخ هل رأيت نفس الكابوس ووضعت يدها على رأسه

– لم يرد عليها بل أخذ يصرخ وهنا ضمته إلى صدرها ووضعت يدها اليمين على رأسه وأخذت تقرأ ما تيسر لها من القرآن الكريم و أخذ هو يهتز بعنف حتى خارت قواه وسقط هادئًا بين يديها وضعته على فراشه وهي تنظر له بقلق فلا تدري ماذا تفعل؟! فحرارة الصبي مرتفعة ..

فإن أخبرت أبيه بما فعل ربما عاقبه عقابًا شديدًا وعاقبها هي لأنها تركته يدخل تلك الشقة الملعونة ولن يصدق زوجها بأنها لم تر الصبي وهو يدخل من الباب الخلفي للمنور دون أن تراه وإن لم تخبره سيموت الصبي من الهلع فكل يوم يقوم من النوم في نفس الموعد ودرجة حرارته عالية ويصرخ فزعًا ولا يريد أن يخبرها ماذا رأى بالمنام

همست منيرة بحيرة وهي تنظر إلى أعلى:

– ماذا افعل يا ربي فأنا لا أريد أن يضيع ابني الوحيد مني الذي أنجبته بعد سنوات طويلة وبعد أن كبر سني وفقدت الأمل في الإنجاب وليس لي غيره فماذا رأى سيد بالغرفة ؟؟فمنذ أن رأيته فاقد الوعي بالغرفة وهذا حاله يستيقظ وهو حرارته مرتفعة كالنار والعرق يغرق ثيابه وبعد أن تقرأ له القرآن يهدأ وينام.

وفي اليوم التالي حاولت منيرة استدراج ابنها وحثه على الحديث وأخبارها ماذا رأى بالشقة عندما دخلها ولكنه نظر لها ببلاهة :

– أي شقة يا أمي فأنا لا أتذكر شيئًا ؟!

– شقة والدك السفلى يا سيد ماذا حدث هناك يا ولدي قبل أن تسقط فاقد الوعي وماذا رأيت بداخلها .

ردد بتعجب :

– شقة والدي وسقطت فاقد الوعي لا أعرف ماذا تقولين يا أمي؟ وبعدها التفت إلى أمه ونظر لها بطريقة غريبة ورأت انعكاس النيران في عينيه فشهقت فزعًا وابتسم هو بسخرية قائلًا :

– سأذهب إلى المدرسة لقد تأخرت وأصدقائي ينتظرونني بالأسفل يا أمي وداعًا..

وتركها وذهب سريعًا وهو ينظر لها بحيرة لا يعرف عما تتحدث..

نظرت الأم إليه بهلع وهي لا تدري كيف تتصرف وماذا حدث لابنها الوحيد ؟؟؟

وعادت بذاكرتها لتلك الليلة المشؤمة التي وجدته فيها على الأرض فاقد الوعي بداخل الشقة الملعونة التي يمارس فيها زوجها عمله ويحرم على أحد دخولها ...

و ذلك اللون الأزرق الغريب وهذا الصوت البشع الذي جعلها تشعر بالغثيان وكاد الدم يتوقف في عروقها صوت خوار ثور يذبح..فمنذ صغرها وهي تكره صوت خوار الحيوانات عند الذبح وتكره من يذبحها.

فكانت تكره مهنة والدها الجزار وتكره وتخاف من منظر الدماء الحمراء ...

و عادت بذاكرتها لتلك اللحظة وهي تبحث عن ابنها الوحيد « السيد » الذي لم يتجاوز الثانية عشرة

من عمره فلقد كانت نائمة وقتها ولكنها سمعت صرخته العالية وهو يستغيث بها مناديًا باسمها هل كانت تحلم .

– أمييييييييييييي

****

أخـذت نيرمـين تـصرخ بهسـتريا تنـادي عـلى أختهـا ناردين وهـي تنظـر إلى عمتهـا بخـوف:

– ناردين أين أنت يا أختي بالله عليك ؟

ولكنهـا لم تتلـقَ أي رد أو تسـمع صـوت أختهـا ففتحـت باب الشـقة بغضـب بعـد أن بحثـت عنهـا بـكل شـبر بالشـقة فلـم يكـن لهـا أثـر فأخـذت هاتفهـا المحمـول وأخـذت تـرن عليهـا ولكـن هاتـف أختهـا كان مغلقًـا، وهنـا سـمعت الجـدة صراخهـا المتواصـل فخرجـت لهـا بالكـرسي المتحـرك وهـي تقـول بقلـق:

– ماذا حدث يا نيرمين لماذا تصرخين يا حفيدتي ؟

– إن ناردين يـا جـدتي ليسـت بالشـقة ولا أعـرف أيـن ذهبـت و أشـعر بالقلـق عليهـا.

ردت الجدة بقلق :

– لا تخـافي ربـما كانـت هنـا أو هنـاك فأيـن سـتذهب فبـاب العـمارة مغلـق بالمفتـاح ولـن تسـتطع الخـروج مـن المنـزل فـلا تخـافي وهنـا نظـرت لهـا نيرمـين بفـزع ثـم قالـت بعـد أن تذكـرت شـيئًا هامًـا :

– الشقة لابد أنها دخلت الشقة.

فصرخت الجدة بقلق قائلة:

– أي شقة يا ابنتي؟

– الشـقة السـفلية بالـدور الأرضي لقـد كانـت تريـد الدخـول وتقـول: إن هنـاك مـن يهمـس باسـمها مـن الداخـل وبعدهـا أسرعـت تنـزل الـدرج وتركـت خلفهـا الفـزع والهلـع في عيـون الجـدة المريضـة وعيـون العمـة الخرسـاء.

وهمست الجدة بهلع :

– يـا لـك مـن فتـاة حمقـاء إن فعلـت يـا ناردين ودخلـت إلى الجحيـم بقدميك فلـن تخرجـي منـه سـالمة أبـدًا مهـما فعلـت يـا حفيـدتي كـما فعـل جـدك رحمـة الله وسـامحه.

وقفـت نيرمـين بحـيرة أمـام بـاب الشـقة بالـدور الأرضي فلقـد كانـت الأقفـال كلهـا مفتوحـة ورأت ضـوءًا أزرق يخـرج مـن أسـفل بـاب الشـقة فهمسـت :

– مـاذا أفعـل هـل أدخـل ولكنـي لا أسـتطيع فقلبـي لا يطاوعنـي و أشـعر بالرهبـة والقشـعريرة مـن المـكان وهنـا تذكـرت صـوت أمهـا وهـي عـلى فـراش المـوت يـتردد بعقلهـا :

« إيـاك أن تتركـي أختـك يـا نيرمـين مهـما بعـدت الخلافـات بينكـما فليـس لكـما أحـد سـوى بعـض »

وهنا قالت من بين دموعها :

– حـاضر يـا أمـي لـن أتركهـا مهـما حـدث رحمـك الله وسـامحك لما فعلتيـه بنـا.

دفعـت البـاب فانفتـح أمامهـا بسـهولة ولم تـرَ أمامهـا إلا الظـلام الدامـس وسـمعت صـوت كخـوار الثـور عنـد ذبحـه فاسـتعاذت بـالله مـن الشـيطان الرجيـم وهـزت رأسـها بتعجـب فلقـد كانـت تـرى ضـوءًا أزرق مـن أسـفل البـاب.

من لحظات فأين اختفى نادت على أختها:

– ناردين أختـي هـل أنـت هنـا بالداخـل ...لم تسـمع أي رد أو إجابـة فنـادت بصـوت عـالٍ عـلى أختهـا مـن جديـد ولكنهـا لم تسـمع إلا صـدى صوتهـا يـرد عليهـا.

وهنا همت بالدخول ووضع قدميها داخل الشقة ففوجئت بعمتها جليلة تدفعها للخلف وتمنعها من الدخول وهي تشير بيديها بمعنى لا ..لا تفعلي ..

وهنا نظرت نيرمين بغيظ إلى عمتها قائلة:

– ماذا تفعلين يا عمتي اتركيني بالله عليك أبحث عن أختي بالداخل ولكنها حالت بينها وبين الدخول بطريقة غريبة وإصرار عجيب .

فصرخت نيرمين في وجهها :

– ماذا حدث لك اتركيني أبحث عن أختي بالداخل و حاولت نيرمين دفعها ومحاولة الدخول ولكن جليلة لم تدعها تدخل وأخذت تهز رأسها بمعنى لا ..

وقفت نيرمين حائرة لا تدري ماذا حدث للعمة ومن أين أتت بتلك القوة الغريبة ...فأخذت تبكي بهستريا وهي تنادي باسم أختها :

– ناردييييييييين أين أنت؟؟

وهنا فتح الباب مرة واحدة وأضيئت الغرفة بلون أزرق غريب قوي من مصباح في منتصف الصالة في وجوههم فأغمضت نيرمين وجليلة عينيهما رغمًا عنهما فلقد كان الضوء قوي فأعمى عيونهما

وعند فتحها خرجت ناردين من الداخل وهي تحمل صندوقًا أسود تحمله بين يديها

وهنا هتفت نيرمين بفرح :

- ناردين الحمد لله أنك بخير يا أختي وهنا حاولت إلقاء نفسها بين ذراعيها ولكن عمتها جليلة جذبتها للخلف لتمنعها وهي تهز رأسها بمعنى لا

و التفتت ناردين إليهما وتلاقت عيونهما ورأت نيرمين انعكاس النيران في عيون أختها ..فتراجعت جليلة للخلف خوفًا وهي تنظر إلى الصندوق بين يديها.

شهقت نيرمين فزعًا وأخذت تنظر إلى أختها التي صعدت الدرج دون أن تلتفت إليهما أو تعيرهما انتباهًا.

ووقفت نيرمين حائرة لا تدري ماذا حدث لأختها تنظر إلى عمتها برجاء لعلها تخبرها ماذا يحدث وماذا حدث لأختها بالداخل فيبدو أن العمة تعرف شيئًا ولكن كيف ستخبرها وهي خرساء ؟؟

فتمنت نيرمين من الله أن يعيد لعمتها القدرة على الكلام لتخبرها ماذا يحدث بالضبط

وهنا حدثت المعجزة ...

لا ..

لم تنطق جليلة فليست الأمور بتلك البساطة والسهولة ولكنها أخرجت ورقة وقلمًا وكتبت جملة واحدة بالورقة وأعطتها لابنة أخيها :

« إنها البداية ولن يوقفه أحد غادري المنزل نيرمين الآن فأنت من نفس النسل الملعون »

وهنا أخذت نيرمين تردد الكلمات بالورقة بحيرة وتعجب وهي تنظر إلى عيون عمتها بتعجب ثم قالت :

– مـاذا تقصديـن يـا عمتـي وهـل تعرفـين الكتابـة ؟ولمـاذا لم تخبرينـا مـن قبـل؟؟

لم تـرد عليهـا جليلـة بـل صعـدت إلى أمهـا التـي كانـت تنـادي عليهـا بفـزع :

– جليلـة أنقذينـي يـا ابنتـي لقـد عـاد ولـن يتركنـي يـا ابنتـي كنـت أعـرف بأنـه سـيعود لينتقـم ...

الدروووويييش

الفصل السابع
انتقام الجني

سمعت منيرة صوت ابنها « السيد » يصرخ باسمها ومستغيثًا بها وكانت ما بين اليقظة والنوم ففزعت وهبت من على الفراش مسرعة تنظر حولها كانت الغرفة مظلمة فيبدو أنها نامت كثيرًا لقد دخلت غرفتها لترتاح قليلًا قبل العصر وتأخذ قيلولة فزوجها قد سافر إلى طنطا منذ الصباح ولن يعود اليوم فاليوم مولد السيد البدوي وسيبقى هناك بالموالية حتى فجر اليوم التالي في حلقة الذكر.

حاولت أن تستمع إلى أي صوت ولكنها لم تسمع شيئًا فنادت على ابنها بصوت عالٍ:

- سيد يا سيد .. أين أنت يا ولدي ولماذا تصرخ؟؟ماذا حدث؟؟بالله عليك لا تخلع قلبي عليك ؟؟

لم يرد عليها أو تسمع صوته فزاد قلقها فهبت عن الفراش وأخذت تنادي عليه من جديد ..

لم يرد عليها الصبي أيضًا ولكنها شعرت بانخفاض درجة الحرارة من حولها مرة واحدة بالرغم أنهم في منتصف شهر يوليو وصوت صفير الرياح بأذنيها يصم الآذان

صرخت بهستريا وهي تضع يديها على أذنيها بعنف و تبحث في كل شبر بالشقة فلم تجد ابنها لم يكن هناك سوى الشقة السفلية لم تبحث فيها بعد ولكن هل جن ابنها ليدخل الشقة السفلية فإن فعلها ولعب في أغراض أبيه سيقتله الأب لا محالة وسيقتلها هي أولًا، فزوجها قاسي القلب وخصوصًا بخصوص أغراضه وكتبه وما بداخل الشقة السفلية..

نزلت الدرج مسرعة كالمجنونة حتى كادت تسقط على وجهها، رأت الضوء الأزرق يخرج من أسفل باب الشقة المغلق كانت تعرف أن هذا الضوء لا يضيء إلا بوجود زوجها بخلوته فهل عاد وهي نائمة ؟؟

أخذت تدق الباب بعنف وتنادي:

– شيخ إمام ..شيخ إمام ...هل عدت من طنطا

لم يرد عليها أحد من الداخل بل سمعت صوت غريب كخوار الثور عند ذبحه أخذت تصرخ بهستريا وهي تضع يديها فوق أذنيها فهي تكره هذا الصوت البشع أخذت تصرح :

– سيد ..سيد ولدي أين أنت يا بني رد علي بالله عليك فقلبي مريض ولن يحتمل يا بني بالله عليك أجبني أين أنت وأرح قلبي؟؟

ازداد الخوار فلم تعد تتحمل فدفعت باب الشقة بقوة ففتح الباب مصدرًا صريرًا مزعجًا ودخلت هي بحذر وهي تنادي على ابنها

كان مصباح الصالة الأزرق القوي مضاء فأغمضت عينيها وفتحتها وكان باب غرفة الشيخ إمام مفتوحًا ومصباحها الأحمر

مضـاء وشـاهدت ابنهـا سـيد ملقـى عـلى الأرض وبجـواره صنـدوق أسـود.

صرخـت منـيرة فزعًـا وركضـت إلى ابنهـا وحاولـت أن تجعلـه يسـتفيق :

– سيد ماذا حدث يا ولدي ؟

أخـذت تضربـه عـلى وجهـه بالأقـلام وتهـزه بعنـف ولكنـه لم يسـتجب لهـا أسرعـت إلى المطبـخ فأحـضرت كـوب مـن المـاء ورشـته عـلى وجـه الصبـي وهـي تنـادي باسـمه بلوعـة ودموعهـا تتسـاقط

وهنـا سـمعت الخربشـة والـدق عـلى الجـدار أمامهـا وكأن هنـاك مـن يسـتأذن بالدخـول مـن داخـل لجـدار

شـعرت بالتوتـر والرعـب بالخـوف والفـزع فحملـت ابنهـا بصعوبـة وهـي تسـتعيذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم وغـادرت الشـقة بحملهـا الثقيـل وكأن شـياطين الجحيـم كلهـا تطاردهـا ..

صعـدت بـه إلى فراشـه ورشـت العطـر القـوي عـلى وجهـه وهنـا فتـح الصبـي عينيـه وأخـذ يتـأوه قائـلًا:

– أمي ماذا حدث أشعر بالصداع الشديد في رأسي وعيني ؟

نظـرت إليـه بحنـان ممتـزج بالفـزع والغضـب كانـت تريـد أن تأخذه في حضنهـا وتقبلـه حمـدًا لله عـلى سـلامته وفي نفـس الوقـت تريـد صفعـه عـلى وجهـه بقـوة لمـا فعلـه ودخـول شـقة أبيـه الـذي يمنعـه ويمنـع أي شـخص أخـر مـن دخولهـا فقالـت بغضـب:

– مـاذا كنـت تفعـل في شـقة أبيـك يـا سـيد هـل تريـد مـن أبيـك أن يقتلـك ويعاقبـك بشـدة يـا ولـدي فربـما أحرقـك بالنـار عـلى فعلتـك ودخولـك شـقته و أحرقنـي معـك ؟

نظر لها بحيرة وهو يقول بصوت غريب :

- لا أعرف يا أمي ولكني سمعت من يهمس باسمي من داخل الشقة ويقول بأنه ينتظرني منذ زمن .

وهنا نظرت له الأم بتعجب ورأت انعكاس النيران في عينيه مخيف مرعب فانقبض قلبها وتذكرت الشقة المفتوحة والغرفة فنزلت إلى الدور الأرضي والشقة السفلية لتتأكد أن كل شيء على ما يرام.

كان المصباح الأزرق مازال مضاء وغرفة زوجها مفتوحة دخلت لتغلق الأنوار وهنا لاحظت شيئًا فلم يكن الصندوق الأسود مكانه على الأرض بل كان فوق منضدة عالية

نظرت إلى الصندوق بفزع وشعرت بالاختناق ورائحة كريهة من حولها وهي تتساءل من الذي رفع الصندوق من على الأرض ووضعه على المنضدة وهنا سمعت من يهمس باسمها مرددًا :

- منيررررررررررررررررررة غادري الآن الغرفة

وهنا صرخت منيرة واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم وخرجت من الغرفة مسرعة وأغلقت المصباح والباب وبعدها أغلقت مصباح الصالة الأزرق وهي ترتعد وأوصالها ترتجف بشدة ويديها باردة كالثلج وأغلقت خلفها باب الشقة وصعدت مسرعة إلى ابنها سيد وهي تردد آية الكرسي وما تحفظه من آيات الذكر الحكيم وتبسمل وتحوقل ويعلو صدرها ويهبط بفزع.

****

رن هاتفها المحمول في تلك اللحظة ليفقها من الصدمة وعدم الفهم لما حدث أمامها منذ لحظات :

- محمود كيف حالك ؟؟

- بخير يا نيرمين وأنت كيف حالك ..حبيب؟؟ولم يكمل الكلمة فلقد قاطعته نيرمين بحدة قائلة :

- الحمد لله يا محمود لا تقلق فلست صغيرة ؟؟

- بخير ؟؟فلماذا أشعر بتغير صوتك يا نيرمين وكأن هناك شيئًا يقلقك ؟ما هذا الصوت الغريب ؟

- أي صوت يا محمود لا أفهم؟؟

- صوت غريب أسمعة كلما اتصلت بك ولا أرتاح له هل أنت بخير نيرمين حقًا أم أن هناك مشكلة ؟

- ربما كان التليفون به شيء معطل يا محمود لا تشغل بالك بتلك الأمور أنا بخير .

- هل اتصل بك دكتور كمال وأخبرك عن القافلة الطبية إلى غينيا ؟؟

- قافلة طبية إلى غينيا لا أفهم يا محمود وما دخلي أنا بالأمر ؟

- إنها قافلة طبيبة وقائية ترسلها وزارة الصحة إلى دولة غينيا لتوعية والوقاية من مرض «ايبولا »الذي بدء ينتشر ويحصد الكثير من الأرواح في دول جنوب أفريقيا ولقد وضع دكتور كمال اسمك فأنت من فريقه الطبي وطاقمه يا نيرمين هل نسيت يا حبيب...

ولكنه لم يكمل جملته للمرة الثانية فلقد قاطعته نيرمين قائلة:

- ولكني لا أستطيع ترك أختي هنا بمفردها يا محمود وأبي لا أعرف أين هو وماذا حدث له ؟؟

– نيرمين استمعي لي بإمكانك الاعتذار وسيتقبل الدكتور كمال ظروفك، ولكني أنصحك بالتفكير قليلًا وأريدك أن تبتعدى عن كل شيء وإعادة التفكير في كل ما يحدث حولك وإعادة تقييم الأمور من فضلك فأنا أشعر أن كل ما يحدث حولك خاطئ ...

وهنا عاد الصوت المزعج ليصم آذانه وشعر بصفير غريب جعله يبعد التليفون عن أذنه سريعًا ويلقي به على الأرض ..ويضع يديه على أذنيه حتى لا يسمع شيئًا فوجد يديه غارقة بالدماء فماذا حدث فهل أصيب بنزيف ..؟؟؟

لم يسمع نيرمين وهي تقول:

– سأفكر يا محمود في الأمر فأنا خائفة من هذا المنزل ومن كل شيء ....وهنا سمعت صراخ جدتها العالي فأغلقت الهاتف وصعدت لترى أي مصيبة حدثت ولماذا تصرخ الجدة بتلك الطريقة وكأن أحدهم يحرقها بالنار أو يقتلع أظافرها ؟؟؟

****

أخذت منيرة تلف الحجرة ذهابًا وإيابا فماذا تفعل فلقد تغير ولدها الوحيد بطريقة غريبة وتخاف أن تخبر أباه بالأمر فيعاقبه بشدة وهنا سمعت الطرق الشديد على بوابة المنزل من الخارج فوضعت الحجاب فوق رأسها وخرجت من النافذة لترى من الذي يدق الباب بتلك الطريقة وزوجها ليس هناك فمازال بمولد السيد البدوي بطنطا.

فرأت العديد من الناس يرتدون جلابيب بيضاء ويحملون زوجها الشيخ «إمام » فوق محفة كمحفة الأموات

ويغطونه بشيء أبيض غارق بالدماء صرخت بفزع :

– شيخ إمام ماذا حدث لك ؟؟؟ نزلت الدرج مسرعة وفتحت البوابة للرجال الذين كانوا يكبرون بصوت عالٍ فقالت بفزع :

– شيخ إمام ماذا حدث لك ؟؟

لم يرد عليها الرجل بل رأت تحرك يديه ، همست في نفسها :

– إنه مازال على قيد الحياة فلماذا يحملونه على المحفة كالأموات..ويغطونه بملاءة بيضاء غارقة بالدماء ويضعون القطن في أذنه و أنفه صرخت في وجوههم ماذا حدث لزوجي أجيبوا بالله عليكم ماذا حدث هل رحل؟؟

فرد عليها أحدهم :

– ابتعدي عنه ولا تلمسيه يا امرأة فلا أحد يعرف ماذا به لقد سقط في الموالية و أخذ الدم يخرج من كل فتحة بجسده ولا أحد يعرف السبب حتى الأطباء احتاروا في مرضه ولقد حذروا من الاقتراب منه أو لمسه فحملناه على المحفة وأمروا بوضعه في مكان منعزل لا يدخله أحد

فرددت بحيرة ودموعها تتساقط :

– مكان منعزل لا يدخله أحد وهنا نظر أحدهم إلى باب الشقة السفلية المغلق قائلًا :

– إنها تلك الشقة ومكان خلوته فلا يدخلها أحد غيرة أنا أعرف الشيخ إمام جيدًا فلا يسمح لأحد بدخول تلك الشقة المنعزلة وهنا أخرج الرجل مفاتيح الشقة فنظرت له الزوجة بصدمة قائلة:

– ومن أين أحضرت مفاتيح الشقة يا رجل

لقد أعطوني في المستشفى كل أغراض الشيخ إمام يا أم السيد لا تقلقي وبعدها فتح باب الشقة ودخل الرجال حاملين إمام على المحفة تاركين منيرة تنظر بذهول فكيف دخل ابنها إلى الشقة إن كانت المفاتيح مازالت مع أبيه ...؟؟

****

صعدت نيرمين إلى شقة جدتها لتعرف ماذا حدث وكانت الجدة تصرخ بهستريا فقالت لجليلة :

– ماذا حدث يا عمتي لكن جليلة نظرت لها بعيون مذعورة ولم ترد فكيف سترد وهي خرساء لا تتكلم

نظرت لها نيرمين بغيظ وحاولت تهدئة جدتها وأحضرت لها كوبًا من الماء البارد وهي تقول :

– اهدئي يا جدتي بالله عليك فماذا حدث لكل هذا ؟

– نظرت لها الجدة بخوف ثم قالت :

– لقد عاد الدرويش يا نيرمين لقد عاد وسيقتلني لما فعلت معه؟؟

رددت نيرمين بتعجب :

– درويش ماذا تقولين فأنا لا أفهم هل تقصدين أبي يا جدتي؟؟

قالت وهي تبكي بحرقة:

– عاد يا نيرمين لينتقم مني لما فعلته معه؟؟ لقد أقسم بالانتقام يا ويلي ..فماذا أفعل ؟؟

– اهدئي .. اهدئي بالله عليك ستصابين بنوبة قلبيه

– يا ليتني أموت قبل أن أراه و أرى عقابه لي يا نيرمين فالدرويش لا يرحم أحد فلا أحد يعرف ما فعلت .

– وماذا فعلت يا جدتي لتصابي بكل هذا الهلع أخبريني لعلك تستريحين ؟؟

وهنا قالت ناردين من خلفها :

– وهل ستستمعين إلى تلك المخرفة التي تهذي يا أختي فألتفت إليها نيرمين بغيظ وهي تقول:

– اتقي الله يا ناردين ولا تقولي هذا على جدتك فهي مريضة ولا أدري ماذا حدث لها ...

وهنا نظرت إلى عيونها ورأت انعكاس النيران المشتعلة في عيونها فنظرت أمامها فلم يكن هناك أي نار بالغرفة فقالت بحيرة :

– ناردين هل أنت بخير يا أختي فعيناك بها شيء غريب ؟؟

ولكنها لم ترد بل كانت تنظر إلى الجدة التي شهقت فزعًا وأخذت تنظر إليها بفزع ولم تنطق فرددت أختها بتوتر:

– هل أنت بخير يا ناردين وماذا يحدث لعينيك ؟؟

فالتفتت إليها قائلة :

– نعم بخير لا تشغلي بالك بما لا يخصك يا فتاة ؟؟

– فتاة ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك يا أختي وكيف تكلمينني بتلك الطريقة؟؟

– لا لم أفقده ولكني أحذرك من الاقتراب مني وإلا أحرقتك نيراني ؟؟

وبعدها رحلت من أمامها صاعدة للأعلى وتركت أختها تقف بحيرة لا تدري ماذا حدث لأختها بالضبط وهنا تذكرت الصندوق الأسود، لقد خرجت من الغرفة وهي تحمل بين يديها صندوقًا

أسـود غريـب الشـكل فـماذا يوجـد فيـه وهنـا قطـع حبـل أفكارهـا تلـك الورقـة التـي وجدتهـا في يديهـا مـن عمتهـا وكتـب

فيها أربع كلمات :

– ارحلي سريعًا فلقد عاد ..

نظرت نيرمين إليها بتوتر :

من هو الذي عاد يا عمتي أخبريني بالله عليك ؟؟

لم تـرد عليهـا بـل ذهبـت إلى أمهـا التـي كانـت في حالـة هلـع شـديد وفـزع وتبكـي ودفعتهـا أمامهـا بالكـرسي المتحـرك لتدخلهـا غرفتهـا وكانـت الأم تبكـي بهسـتريا وهـي تـردد :

– لقد عاد لينتقم مني على ما فعلته...عاد لينتقم ...

ووقفـت نيرمـين في منتصـف الصالـة لا تفهـم شـيئًا ممـا يحـدث حولهـا وتتسـاءل بحـيرة :

– من الذي عاد ؟وماذا حدث للجميع أنا لا أفهم شيئًا ؟؟؟

****

تـرك الرجـال الشـيخ إمـام عـلى المحفـة بعـد أن وضعـوه عـلى الأرض في غرفتـه التـي يحـرم عـلى أحـد دخولهـا إلا بعـض الحـالات التـي يعالجهـا ووقفـت زوجتـه عـلى بـاب الغرفـة تنظـر بقلـق إلى زوجهـا فهـل سـيموت ومـا الـذي حـدث لـه بالضبـط ؟

وهنا دخل هو الغرفة ودفعها برفق فنظرت له بإشفاق قائلة :

– تعـالى يـا سـيد فوالـدك مريـض يـا ولـدي لا تقـترب منـه فوقـف الصبـي ينظـر إلى والـده بسـخرية وقـال لأمـه :

– هاتى له الماء يا أمي ربما كان يريد الشراب

– حـاضر يـا سـيد ولكـن لا تقـترب منـه يـا ولـدي وإلا أصبـت مثلـه بـالله عليـك فأنـا لا أفهـم مـاذا أصابـه لقـد كانـت صحتـه جيـدة أمـس وقبـل خروجـه فـماذا حـدث في طنطـا يـا تـرى؟؟؟

– لا تقلقـي يـا امـي لـن أقـترب منـه ولـن أصـاب بـأي شيء ...نظـرت لـه بحـيرة ورأت انعـكاس النـيران في عينيـه فهـزت رأسـها وهـي تدعـو الله أن يكـون الصبـي بخير..فهـو أخـر أمـل لهـا فى الحيـاة .

خرجـت الأم مـن الشـقة وصعـدت إلى شـقتها لتحـضر كأس مـاء بـارد لزوجهـا مـن شـقتها بالـدور العلـوي..

وهنـا أغلـق بـاب الغرفـة خلفهـا بقـوة مصـدرًا صوتًـا عاليًـا ووقف الصبـي في منتصـف الغرفـة وهـو ينظـر إلى والـده الممـد عـلى الأرض فـوق المحفـة بسـخرية وهنـا قـام الصبـي بإنـزال الصنـدوق الأسـود عـلى الأرض وفتحـه أمـام أبيـه وهـو يقـول بصـوت غليـظ قـوي ثائـر:

– قلـت لـك سـتموت أبشـع موتـة ماتهـا إنـسي مـن جنسـك أيهـا الإنـسي عـلى وجـه الأرض يـا رجـل سـتظل تنـزف وتنـزف سـتخرج الدمـاء مـن كل فتحـة مـن فتحـات جسـدك البـالي وسـيحل محلهـا الـدود وبعدهـا أخـذ الصبـي يضحـك بعنـف واهتـز كل شيء بالغرفـة و أخـذ يتحـرك وكأن هنـاك زلـزالًا قويًـا يحـدث بالغرفـة ..فيسـقط كل شيء أرضًـا بصـوت مـدوٍ عـالٍ يصـم الآذان ..

وهنـا سـمع الـدق الشـديد عـلى البـاب وكانـت الأم تـصرخ بعنـف ولوعـة تنـادي باسـم ابنهـا الوحيـد تستحثه أن يـرد عليهـا :

– سيد افتح يا ولدي ماذا يحدث عندك وما تلك الأصوات؟؟

هـدأ كل شيء وأغلـق الصنـدوق بقـوة ثـم فتـح البـاب فـرأت منـيرة الصبـي ممـدد عـلى الأرض فاقـد الوعـي لا يتحـرك أخـذت الأم تهـزه بعنـف

وهي تصرخ بلوعة مرددة اسم ابنها ومتسائلة ماذا حدث وهنا سمعت صوت زوجها يخرج ضعيفًا فالتفتت إليه قائلة :

– انقذني يا شيخ إمام سيضيع ابني من بين يدي ..رد عليها بصوت ضعيف:

– افتحي الصندوق يا منيرة سريعًا وقصي شعر الصبي وضعيه بالصندوق وإلا مات ابنك في الحال.

– صرخت بهستريا ماذا تقول يا إمام هل جننت

– افعلي بالله عليك قبل أن يستيقظ ويستفيق الصبي وضعي الشعر وبعض أوراق السدر من فوق المنضدة وهاتي لي تلك الورقة هناك سريعًا

أحضرت ما أمرها به زوجها و أخذ هو يرسم بعض النجوم والعلامات السداسية ويرص بعض الكلمات بالورقة بيد مرتجفة عاجزة وحاولت هي فتح الصندوق كما طلب منها ولكنها لم تستطع فكان ثقيل بطريقة غبية وثقيل وكان عليه طن من الحديد الصلب فصرخت بلوعة من بين دموعها

– لا أستطيع يا شيخ إمام لا أستطيع ماذا أفعل فالصندوق ثقيل ؟؟؟

– فنظر هو إلى الجدار خلفها قائلًا :

– مازلتم خدامي وخدام نسلي من بعدي فافتحوا الصندوق ...

وهنا صرخت منيرة فزعًا فلقد رأت الصندوق يفتح بمفرده ولم تر خدام الشيخ وهم يقومون بفتحه وهذا أفضل لقلبها الضعيف فلن تحتمل رؤية وجوههم البشعة وعيونهم الحمراء الدموية وهم ينظرون إليها.

فأخـذت ترتعـد ووضعـت شـعر ابنهـا بعـد أن قصتـه ووضعـت ورق السـدر وتلـك الورقـة التـي خـط فيهـا بعـض الكلـمات التـي لا تفهـم معناهـا كـما طلـب منهـا زوجهـا ولكـن لا يهـم المهـم الآن هـو ابنهـا الوحيـد وحياتـه ..

وحاولـت بعدهـا إغـلاق الصنـدوق فلـم تسـتطع وهنـا أشـار زوجهـا بيديـه فأغلـق الصنـدوق وهنـا فتـح الصبـي عينيـه وكانـت حمـراء دمويـه وقـال بصـوت جهـوري قـوي خشـن كصـوت رجـل بالـغ القـوة والجسـد :

– مـاذا فعلـت أيهـا الرجـل وكيـف تجـرؤ الم يكفيـك مـا فعلـت لعائلتـي وتدمـير حيـاتي ؟؟؟

– اخـرج مـن جسـده وارجـع مكانـك فلـن تسـتطع أذيتـه مهـما فعلـت بسـمائيل ثـق في فليـس لـك دخـل بـه ولا بجسـده

– لـن أخـرج وسـأبقى لأراك تمـوت وتخـرج الدمـاء مـن جسـدك نقطـة .. نقطـة لأنتقـم منـك وممـن تحـب يـا رجـل

– اخرج وإلا أحرقتك بالنار التي تعبدها ...

كان الشـيخ ضعيفًـا هشًّـا فلـن يقـدر عـلى قـوة الجنـي الغاضـب هـو يعـرف ذلـك فالجـن المجـوسي الكافـر مـن أقـوى أنـواع الجـن ويريـد رجـل قـوي وذو جسـد شـديد ولكنـه لـن يقـدر عليـه وهـو عـلى فـراش المـوت ..

– لـن أخـرج مهـما فعلـت و أدخـل الصنـدوق إلا بعـد أن تمـوت أمـام عينـي و أرى عذابـك وآلامـك و أنتقـم منـك أيهـا الإنـسي فلقـد عذبتنـي وعذبتنـي كلماتـك كثـيرًا وتسـببت في مقتـل مـن أحـب فلابـد أن يمـوت كل مـن تحـب.

– هـل سـترتاح عندمـا تـراني أمـوت أمـام عينيـك وأتعـذب وستلتزم وقتها بالميثاق والعهد بيننا وستخرج وتدخل إلى الصندوق عند موتي بسمائيل فلن تستطيع أذيته وفعل شيء بجسد الصبي فلقد قصصت ما كان يربطك به.

وبعدها أشار إلى ثلاثة من الجن الذين يقفون حول الصندوق.. ثم أكمل قائلًا :

– فلن يدعوك تحيى إن لم تفعل ...فنظر لهم الصبي بسخرية قائلًا :

– مت أنت بعد أن تتعذب كما عذبتني و أرى آلامك و بعدها سترى سأغادر جسد الصبي لأدخل غيره

من نسلك فلن يبقى لك نسل أو ذرية على وجه الأرض إلا وسكنت جسدها إلى أن أنتقم منكم ومن بطشكم أيها البشر الأغبياء لما فعلتموه لي ولعائلتي إن كنتم تتخيلون أنه بإمكانكم تسخيرنا لنفعل لكم ما تريدون فأنتم مخطئون فنحن من سنسخركم لخدمتنا وستفعلون ما نريد وقتها وبعدها أطلق زمجرة عالية ورفع يديه ليسقط كل شيء على الجدار إلى الأرض ويرفع المقاعد والأواني ليلقي بها على الأرض ..هذا من أجل ابني « سمسائيل » وزوجتي « سيلا »

سقطت منيرة الأم مغشيًّا عليها فلم تتحمل كل ما يحدث أمامها .. وتحطم الأشياء وتحول ابنها وتغير لون عينيه والطريقة المخيفة والصوت الغريب الذي كان يتحدث به فابنها ملبوس ؟؟

حاول الشيخ إمام أن يصرف كل عمار المكان من الجن الذين

أحضرهم فربما رحل بسمائيل معهم وترك جسد ابنه فأخذ يردد بوهن آخر كلامته ودموعه تتساقط بحسرة وألم وهو ينظر إلى جسد ابنه الملقى على الأرض :

- «أقسمت عليكم أيها الجن و العمار في هذا المكان أن تعزلوا و تنصرفوا أنتم و إخوانكم و كباركم و صغاركم و حريمكم لا فساد في عملي و لا في كتابي و لا في قراءتي و لا في دوائري بحق الملك طارش الحاكم عليكم طينة طينة مزاق مزاق ماقر ماقر حتى تحضروا الملوك و أعوانهم و أنتم تكونون مساعدين لي على قضاء حاجتي من غير ضرر و لا فساد و بحق طارش طارش مارش مارش مريش مريش مريوش مريوش بارش بارش ردش ردش لطمش لطمش بطش بطش و بحق الرحمن الرحيم الجليل صاحب الاسم الكبير الأرض بكم ترجف و الرياح بكم تقصف و الأودية بكم تقذف و أسماء الله محيطة بكم و السماء تمطر من فوقكم نارًا و شرارًا إن تأخرتم على الانصراف من هذا المكان أنتم وأعوانكم و كباركم و صغاركم وحريمكم حتى أقضي حاجتي فترجعوا آمنين انصرفوا الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة الطاعة الطاعة»

ولكن كلماته لم تنجح في صرفهم نهائيًا فلقد رحلوا بضع أيام فلقد جعلتهم الكلمات يرحلون أيامًا قليلة وبعدها يعودون بحق القسم والعهد بينهم وبين الرجل فلقد أخذ العهد ولن يتركوه وبعد شهر من العذاب والمعاناة والنزف الشديد وخوف أحد من الاقتراب من الشيخ إمام أو تحريكه وتقليبه على الأرض حتى تقرح ظهره وتعفن جسده فلقد كان يقضي حاجته بثيابه فبدء الدود يخرج من جسده

مات الشيخ إمام تاركًا زوجته وابنه الوحيد « السيد» الملبوس من الجني بسمائيل الذي قرر أن ينتقم لما حدث معه ولتدمير حياته وعالمه كله فلماذا هو ؟؟

و وقت موت الأب وخروج روحه من جسده وقف الصبي يبتسم بسخرية وقد تغير لون عينيه ليصبح أحمر دموي وهو يقول:

– ها قد حانت لحظتك أيها الإنسي الفاني وسترحل بعد قليل فأنا أشعر بملك الموت يطوف بالمكان سترحل بعد أن تعذبت وعانيت كثيرًا وستموت أبشع موتة ماتها من هو من نفس جنسك كما كنت أريد أن أراك تموت تعذبت كثيرًا وسيتعذب كل من يحمل نفس دمك أعدك يا رجل فلن أدع أحدًا من نسلك يحيى بسلام فلقد مات ابني الوحيد « سمسائيل» بسببك أنت وبسبب جبروتك، قلت لك دعني أرحل و اصرفني فلست جني مسلم ليؤثر بي قسمك ولكنك غبي و لقد قتلت ابني الوحيد و أخذ يقذف بكل شيء أمامه على الأرض بغضب وهو يكمل قائلًا بغضب:

– لقد مات ولدي الصغير حسرة علي عندما حبستني بالصندوق و اعتقد الصغير أنه لن يراني من جديد مات ابني الوحيد يا رجل و رحل عن عالمنا وماتت بعده حبيبتي و رفيقة دربي وزوجتي « سيلا» بعده حسرة على ولدنا الوحيد «سمسائيل» وعلي لقد اعتقدت بأنني لن أعود يوما إليها

لقد دمرت حياتي وقتلت من أحب من عائلتي وأحرقت قلبي لقد ذهبت إلى عالمي عندما حررني ابنك من صندوقك اللعين وعرفت بموتهم لم أجد أحدًا ينتظر عودتي هناك

فعـدت إليـك لأنتقـم منـك ومـن نسـلك ولـن أدعـك أو أدع نسـلك يحيـا بسـلام مـن أجـل سمسـائيل وسـيلا إلا بعـد أن أنتقـم و أعـذب كل مـن هـو مـن نفـس دمـك لـن أعـود إلا بعـد أن يمتلـئ صنـدوق الخطايـا الـذي حبسـتني فيـه لسـنين طويلـة وعذبتنـي بداخلـه لأننـي رفضـت تنفيـذ أوامـرك بالدمـاء..

نعـم صنـدوق الخطايـا ..خطايـا وجـبروت البـشر الذيـن يريـدون التحكـم في كل شيء ويدمـرون كل عـالم وكل كائـن مـن أجـل تحقيـق مـا يريـدون مـن غايتهـم وأهدافهـم القـذرة ومـا يرغبـون فيـه أغبيـاء قسـاة القلـوب ومالكـم أنتـم ومـا دخلكـم بنـا لتجبرونـا عـلى طاعتكـم وفعـل مـا لا نريـد فنحـن مخلوقـات لنـا حياتنـا وبيوتنـا لنـا مـن نحيـا مـن أجلهـم ولكنكـم أغبيـاء وسـتدفعون الثمـن، والثمـن غـالٍ يـا إمـام، أغـلى ممـا تتصـور فالثمـن هـو الدمـاء ..

لا أريـد دمـاء نسـلك فنسـلك أقـذر مـن أن أجمـع دمـاءه لأقدمهـا قربانًـا لعائلتـي ولكـن بدمـاء نقيـة وليسـت مختلطـة بالدنـس والخطايـا لأطفـال صغـار لم يبلغـوا الحلـم منكـم يـا معـشر البـشر لأضعهـا عـلى قـبر سـيلا وسمسـائيل، فبحـق سمسـائيل وسـيلا لـن أعـود إلى عالمـي إلا بعـد أن يجمـع لي نسـلك الدمـاء فأقدمـه قربانًـا لزوجتـي وابنـي ليسـتريحا، سأسـخرهم لخدمتـي، وسـيكونون خدامـي كـما كنـت أنـت تريـد أن تسـخرني لخدمتـك يـا رجـل

و لكـي أحـل العهـد والميثـاق الـذي بينـي وبينـك فمـن يجمـع لي الدمـاء ويملـئ الصنـدوق مـن نسـلك تركتـه يعيـش بسـلام

نظـر الشـيخ إمـام إلى ولـده الوحيـد و إلى عينيـه الحمراويـن الدموية،

وحـاول أن يسـتغفر الله عـلى مـا فعـل ومـا فعلـه بـه ولكنـه لم يسـتطع فأغمضـت عينـاه وهـو ينظـر بحسرة وألم ورحـل .....عـن العـالم ..

وهنـا اقـترب الصبـي مـن والـده ووضـع يـده بدمائـه التـي مازالـت تنـزف وصبـغ كفـه وبعدهـا فتـح الصنـدوق وقـام بوضـع الدمـاء بداخـل الصنـدوق عـلى شـعره بالداخـل وأغلـق الصنـدوق و وضعـه مكانـه فـوق المنضـدة ونظـر إلى الجـدار إلى الثلاثـة الذيـن وقفـوا لا يتحركـون متواريـن بالظـلام فهـم أضعـف مـن التصـدي لبسـمائيل وقوتـه فقـال لهـم :

– ارحلـوا فلقـد مـات مـن كنتـم تخدمونـه وتطيعونـه أيهـا الخـدام ولم يعـد لكـم وجـود بذلـك العـالم عـودوا إلى عالمكـم وعائلاتكـم نظروا إليـه ولم يتحـرك أي منهـم مـن مكانـه فلقـد أخـذ عليهـم الشـيخ إمـام العهـد والميثـاق لحمايـة نسـله مـن بعـده .

الفصل الثامن

القافلة الطبية

حاولت نيرمين دخول غرفة جدتها للاطمئنان عليها ولكن العمة جليلة كانت قد أغلقت باب الغرفة من الداخل بالمفتاح و كانت الجدة مازالت تصرخ بهستريا مرددة:

– لقد عاد وسيقتلني يا جليلة بعد كل تلك السنوات..

وقفت نيرمين تشعر بالحيرة وعدم الفهم فماذا تقصد جدتها و من الذي عاد؟

وهنا رن هاتفها المحمول وكان دكتور كمال :

– مرحبًا دكتور كمال كيف حالك؟؟

– بخير يا نيرمين كيف حالك أنت يا ابنتي وهل قابلت والدك ؟

– لا يا دكتور كمال لم أقابله ولكني قابلت جدتي وعمتي ولم أجده .

– هل هو مسافر يا نيرمين ومتى سيعود؟

– لا أعرف يا دكتور صدقني متى سيعود ولا أحد يعرف .

– وماذا ستفعلين إلى أن يأتي هل ستبقي عندك وتتركين عملك يا نيرمين وتوقفين حياتك؟

– وماذا أفعل يا دكتور فهي وصية أمي رحمها الله ولكني لست مستريحة لكل ما يحدث من حولي؟؟

– وصية أمك يا نيرمين أن تعيشي في كنف والدك ولكنه ليس موجود فعودي إلى حياتك إلى أن يعود ولكن وجودك هناك ليس له أي فائدة وأنا أشعر من صوتك أن الأمور ليست بخير عندك فهل أنا مخطئ؟؟

– لا فعلًا أشعر بالتوتر والحيرة والاختناق من هذا المكان وأريد الابتعاد ولكنها وصية أمي.

– لا أدري لماذا اشعر بالقلق عليك يا ابنتي، نيرمين استمعي إلي هناك قافلة طبية إلى غينيا ستسافر بعد عشرة أيام وستظل هناك أسبوعين ولقد سجلت اسمك فيها يا نيرمين إنها قافلة طبية وقائية عن مرض إيبولا أريدك اليوم بالإسكندرية لإنهاء الإجراءات والدورة التدريبية قبل السفر ، فاستقلي أول قطار وعودي إلى الإسكندرية اليوم يا نيرمين سأنتظرك

– وماذا عن أبي الذي لا أعرف طريقة وأختي يا دكتور كمال كيف أتركها بمفردها هنا؟؟

– نيرمين استمعي لي جيدًا وتواصلي مع أختك و إن جد جديد وعاد والدك اتصلي به إلى أن تعودي إلى مصر

وأختك لن تتركيها بالشارع إنك ستتركينها مع جدتها وعمتها في بيتها يا ابنتي

– لا أريدها أن تعود معي فأنا أشعر بالقلق عليها وعلى ما يحدث..لم تكمل جملتها بل سمعت دكتور كمال يصرخ في التليفون قائلًا :

– ما هذا الصوت يا نيرمين عندك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أين أنتِ يا ابنتي؟؟؟

– أي صوت يا دكتور فليس هناك أي صوت بجواري؟

– صوت غريب يا نيرمين كخوار الثور ممتزج بمواء القطط عند تعذيبها يا إلهي لا أستطيع التحمل تلك البشاعة يا ...

وهنا انقطع الخط ووقفت نيرمين حائرة وهي تمسك المحمول بين يديها لا تفهم شيء وماذا حدث لتليفونها وما هو الصوت الذي يتحدثون عنه فهي لا تسمع شيئًا فهل هي مشكلة الشبكة ؟

وهنا ألقت نظرة سريعة على غرفة جدتها التي بدأت تهدأ فلقد توقفت عن الصراخ ولم تعد تسمع لها صوتًا فخرجت هي من الشقة متجهة إلى شقتهم بالأعلى لتأخذ رأي أختها ..وتدعوها لترحل معها إلى الإسكندرية.

دفعت نيرمين باب الشقة وكان مفتوحًا ونادت على أختها :

– ناردين أين أنتِ؟

لم تسمع ردًا ولكن غرفتهم بالشقة كانت مغلقة وكان يخرج من أسفل باب الغرفة ضوء أزرق غريب، نظرت نيرمين بحيرة إلى تلك الأضواء الزرقاء التي تخرج من أسفل باب الغرفة وهزت رأسها بحيرة واقتربت من الباب ببطء ودقت على الباب بتوتر :

– ناردين هل أنت هنا؟؟ لم تسمع ردًا من أختها وازداد الضوء سطوعًا، وسمعت صوتًا غريبًا صادرًا من داخل الغرفة هل هو خوار ثور يذبح ؟؟هل مواء قط يصرخ ألمًا لا تدري ؟؟ ولكن الصوت أشعرها بالغثيان والتوتر وجعل دقات قلبها تتسارع وصدرها يعلو و يهبط مسرعًا..

نـادت عـلى أختهـا مـن جديـد ولكنهـا لم تسـمع ردًا وهنـا فتحـت بـاب الغرفـة مـرة واحـدة ولكـن البـاب أبـى أن يفتـح تحـت ضغـط يديهـا حاولـت نيرمـين فتـح البـاب بالقـوة ولكنهـا لم تسـتطع أخـذت تنـادي عـلى أختهـا ولكـن الأخـت لم تـرد عليهـا فشـعرت نيرمـين بالقلـق فصرخـت وهـي تدفـع البـاب بعنـف :

– ناردين هل أنت بخير يا أختي؟؟

أخـذت تـصرخ بهسـتريا وهـي تدفـع البـاب وهنـا فتـح البـاب ووجـدت نيرمـين أختهـا ناردين تقـف أمامهـا وهـي تنظـر لهـا بطريقـة غريبـة أشـعرتها بالتوتـر فقالـت بعنـف:

– مـاذا تريديـن منـي ؟؟ولمـاذا لم ترحـلي إلى الإسـكندرية ؟ ألم يطلـب منـك أن تسرعـي وتحـضري اليـوم هيـا ارحـلي ؟

فتحـت نيرمـين فمهـا بدهشـة فكيـف عرفـت أختهـا بمكالمتهـا مـع دكتـور كـمال فقالـت بدهشـة:

– وكيف عرفت ؟؟

أطلقـت ناردين ضحكـة عاليـة ثـم نظـرت إليهـا نظـرة مخيفـة حتـى كاد قلـب نيرمـين يتوقـف مـن شـدة فزعهـا ومنظـر عينيهـا و انعـكاس النـيران والجحيـم فيهـا فقالـت :

– لقد سمعتك تتحدثن ارحلي يا نيرمين..

ردت بتوتر:

– وماذا عنك يا ناردين لماذا لا تأين معي وإن عاد أبي اتصل بنا؟

– وهـل تصدقـين بأنـه سـيعود أيتهـا الغبيـة، ارحـلي ولا تدخلـين في أمـوري فلـن أغـادر المنـزل الآن هـل تفهمـين وبعدهـا تركتهـا ورحلـت

مـن أمامهـا ...نظـرت نيرمـين بحـيرة إلى مـكان أختهـا الخـالي أمـام بـاب الغرفـة وهنـا لمحـت الكـرسي الهـزاز وهـو يعلـو ويهبـط وكأن أحدهـم يجلـس عليـه ..

أغمضـت عينيهـا ولم تفكـر كثـيرًا في الأمـر فلقـد اتخـذت قرارهـا، فارتـدت ملابسـها عـلى عجـل وأخـذت حقيبتهـا التـي لم تفرغهـا بعـد في الـدولاب وغـادرت الشـقة، ولكنهـا مـرت عـلى شـقة جدتهـا وكان البـاب مغلقًـا فرنـت الجـرس وبعدهـا أخـذت تـدق عـلى البـاب بعنـف، ولكـن لم يفتـح لهـا أحـد فهـزت رأسـها بغضـب وقالـت بصـوت عـالٍ :

عمتـي جليلـة كيـف حـال جـدتي الآن، سـأعود إلى الإسـكندرية فلقـد طلبـوني في المستشـفى التـي أعمـل فيهـا و أن حـدث شيء وعـاد أبي اتصلـوا بي في الحـال فهـذا رقـم تليفـوني إنـه في ورقـة أسـفل البـاب .

لم يـرد عليهـا أحـد ولكنهـا كتبـت أرقـام تليفونهـا وأدخلـت الورقـة مـن أسـفل البـاب ونزلـت الـدرج مسرعـة ..

إلى أن وصلـت إلى مدخـل المنـزل فـكان بـاب الشـقة السـفلية مفتوحًـا والضـوء الأزرق القـوي في الصالـة و أصـوات غريبـة تخـرج مـن الشـقة لم تحـاول نيرمـين الدخـول لا تـدري لمـاذا ولكنهـا كانـت تشـعر بعـدم الارتيـاح للمـكان نـادت عـلى أختهـا فكانـت تعلـم بأنهـا هـي مـن بالشـقة قالـت بتوتـر:

– ناردين إني راحلة يا أختي هل غيرت رأيك وستأتين معي ..

سـمعت الـصراخ المتواصـل لأختهـا وهـي تصيـح مـن الداخـل وتقـول لهـا :

– ارحلييييييييييي أيتهـا الغبيـة ولا تنظريـن خلفـك ..فلـن أغـادر المـكان الآن حتـى أنهـي عمـلي الـذي خلقـت مـن أجلـه ..

وهنا تساقطت دموع نيرمين ساخنة على خدها فأسرعت تركض للخارج وفتحت باب المنزل و رحلت و هنا سمعت الباب يغلق بقوة خلفها ..

استنشقت الهواء النقي وشعرت بالراحة النفسية والطمأنينة وهي تسمع آذان العصر فلقد كانت تشعر بالاختناق وهي بداخل المنزل، سارت في الحارة الضيقة وكانت عيون الناس تراقبها فلقد خرجت من بيت الدرويش ..

تنفست نيرمين الصعداء وهي تستقل سيارة الأجرة إلى محطة رمسيس، فلقد كانت العيون تراقبها بطريقة غريبة وتشعرها بالغثيان رن هاتفها المحمول وكان هو ومن غيره يهتم لأمرها، إنه محمود:

- أنا في الطريق إلى محطة رمسيس يا محمود سأعود اليوم إلى الإسكندرية إن شاء الله.

- وأخيرًا استطعت سماع صوتك يا نيرمين بدون تلك الأصوات المخيفة.

- إنه عيب شبكة يا محمود لا تشغل بالك.

- هل حجزت قطار

- لا لم أحجز تذكرة سأستقل أي شيء لا تشغل بالك.

- اتصلي بي عندما تصلين يا نيرمين.

- حاضر لا تقلق على فلم أعد طفلة صغيرة

أغلقت التليفون بغيظ فلقد كان محمود يوترها بخوفه الزائد عليها وحبه، فهي لا تشعر تجاهه بأي مشاعر ..

****

وصلت نيرمين إلى الإسكندرية فاستنشقت هواء البحر بارتياح لقد اشتاقت إلى أبي قير و إلى شارعها وجيرانها وكل شيء فجلست على الكورنيش بالرغم من الوقت المتأخر وأخذت تنظر إلى البحر الكبير و إلى منظره المظلم المخيف فكان منزلها قريب من الشاطئ .

تنفست نيرمين الصعداء عندما وصلت إلى الإسكندرية والى أبو قير واستنشقت هواء البحر بسعادة وارتياح فلقد كانت تشعر بالغربة في ذلك المنزل وتلك المدينة المزدحمة كما أنها اشتاقت إلى جيرانها وأصدقائها وعملها وكل شيء،كانت قلقة على أختها وتوأمها الوحيدة بالحياة فكيف طاوعها قلبها على تركها ولكنها كانت خائفة وتريد إعادة التفكير في كل ما حدث منذ موت أمها، نظرت إلى الخاتم بيديها بحسرة فلقد كانت تريد الذهاب لصديقة أمها ولكنها الوصية التي منعتها وجعلتها تتراجع ...

ولكنها لم تستطع البقاء في ذلك المنزل الغريب لأربعين دقيقة وليس أربعين يومًا لن تحتمل، ستذهب إلى تلك البعثة وبعد أن تعود سيكون مر الأربعين يومًا بعدها ستذهب إلى أم نوفل صديقة أمها وتفهم كل شيء..

فهي لا تفهم شيئًا فكيف يختفي والدها وهل الجدة صادقة ومن الذي عاد و خافت منه ولماذا تغيرت ناردين أختها وعاملتها بقسوة وشراسة ولما تصر على البقاء وترفض أن تأتي معي؟ وكيف دخلت تلك الشقة الملعونة ولقد كانت مغلقة وعليها مفاتيح كثيرة وأقفال غريبة الشكل؟

تنهدت بحرارة:

- لا أدري لا أدري ..وهنا قطع حبل أفكارها صوت التليفون فلقد رن هاتفها المحمول وكان هو ..

ومن غيره محمود ولكنها لم ترد عليه فكان عقلها مشغولًا في كل ما حدث منذ موت أمها إلى أن عادت اليوم مرة أخرى .

رن هاتفها من جديد وكان هو ..

لا ليس محمود من جديد فلقد مل الرجل من الاتصال، لقد كان الطبيب كمال وهنا ردت عليه بلهفة فلقد اشتاقت إلى سماع صوته الحنون فلقد كان الرجل يعوضها عن فقدان الأب منذ أن عملت معه بالمستشفى من سنين وكانت تحب اهتمامه بها وخوفه الزائد عليها .

- مرحبًا دكتور كمال كيف حالك ؟

- الحمد لله بخير يا نيرمين كيف حالك أنت يابنتي ؟

ـــ بخير لقد وصلت إلى الإسكندرية وأنا الآن في أبو قير.

- حقًّا حمدًا لله على سلامتك، وهل أتت ناردين معك؟

- لا لقد رفضت وأصرت على البقاء بالقاهرة في منزل جدتي حتى يعود أبي.

- تمام إن شاء الله يعود والدك قريبًا يا نيرمين.

- إن شاء الله يا دكتور كمال.

- نامي جيدًا سأنتظرك غدًا في تمام التاسعة بالمستشفى من أجل الدورة التدريبية و أحضري جواز سفرك وصورة من بطاقتك الشخصية لا تنسي.

- حاضر سأكون هناك قبل الموعد وهنا نظرت إلى الخاتم بإصبعها بحزن وهي تهمس لنفسها:

- لا أدري كيف سأستطيع النوم بالمنزل بمفردي بدون ناردين وأمي رحمها الله ..نظرت إلى البحر أمامها وتساقطت دموعها بهدوء.

فأغمضت عينيها دقيقة لتعيد تفكيرها وترتب الأمور في رأسها قبل الذهاب للمنزل وماذا ستفعل ...؟؟

وهنا شعرت بالبرودة الشديدة والضباب الكثيف من حولها يغطي كل شيء والهواء يضرب وجهها بقوة ففتحت عينيها فوجدت البحر أمامها هائجًا وارتفعت أمواجه عالية فشعرت بالتوتر والرهبة من تغير الحال في ثواني وقفت وهي تحاول أن تنزل ثيابها لأسفل وترفعها الرياح معاندة لأعلى كانت وحيدة خائفة مذعورة تشعر بالبرودة الشديدة وكأنها ريشة وقفت تتحدى الرياح فأخذت الرياح تحركها يمينًا ويسارًا تعلو بها وتهبط وهي لا تستطيع فعل شيء لإنقاذ نفسها فهي ريشة ضعيفة لا حول لها ولا قوة ..

وهنا ظهر هو من العدم كان يمشي فوق مياه البحر بانسيابية شديدة متحديًا كل قوانين الطبيعة والجاذبية ونيوتن ، أشعرتها رؤيته بالأمان والطمأنينة بثيابه البيضاء وذقنه الطويلة البيضاء لقد أحبت هيئته ووجهه الناصع البياض فقالت بلهفة :

- من أنت أيها الشيخ الجليل؟؟

ابتسم بود فظهرت أسنانه البيضاء فرد عليها قائلًا:

- وأخيرًا رحلتي يا بنتي من الجحيم ولكنه لن يتركك يا نيرمين فمازلت من نفس النسل وتحملين نفس الدماء.

رددت بحيرة:

- رحلت من الجحيم ومن الذي لن يتركني أيها الشيخ ؟

ابتسم بحزن ولم يرد بل رحل من أمامها مسرعًا وسار فوق الماء بانسيابية كما جاء واختفى في العدم والضباب الكثيف من حولها وهنا شعرت أن جسدها يرتجف ويهتز بقوة وكأنه يتعرض لزلزال شديد بقوة عشرة ريختر

فتحت عينيها بقوة :

فوجدت سيدة مسنة تهزها بقوة وتحاول أن توقظها من النوم وهي تقول:

– هل أنت بخير يا بنتي؟ولماذا تنامين بالشارع نظرت نيرمين للمرأة بدهشة ثم إلى البحر أمامها فهل كانت تحلم يبدو أنها غفت ولم تشعر نظرت إلى المرأة وقالت:

– أنا بخير يا أمي لا تقلقى سأرحل يبدو أنني غفوت وبعدها أخذت حقيبتها ورحلت أمام عيون المرأة التي لاحقتها بشك ودهشة فلماذا تحمل الفتاة حقيبتها وتنام في الشارع فهل هي هاربة من أسرتها ؟ ولكن الفتاة لم ترح قلبها وتقول لها الحقيقة ورحلت بسهولة؟

سارت في الشارع متجهة إلى شقتها وكان عقلها مشغولًا في كيفية البقاء بالمنزل بمفردها فلم تهتم لأمر المرأة التي كانت تلاحقها.

وصلت إلى المنزل وصعدت الدرج ووقفت أمام باب الشقة وهنا سمعت بصفير الرياح يخرج من أسفل باب الشقة فهل تتوهم الأمر لا تدري أخذت نيرمين نفسًا عميقًا وبعدها وضعت المفتاح في ثقب الباب ..

فتحت الباب وكان الظلام يعم المكان فأضأت المصباح القريب من الباب لتنير المكان ولكنه كان عالق فيبدو أنه معطل دخلت إلى

المفتاح الأخر بنهاية الصالة فضغطت عليه فأضاء الصالة بضوء خافت أخذ يهتز ويضيء ويغلق بمفرده شعرت بالتوتر أغلقت باب الشقة خلفها ودخلت إلى غرفتها قائلة :

– يبدو أن المصابيح معطلة ..وهنا لمحته بطرف عينيها يجري من أمامها مسرعًا شهقت فزعًا وهي تهز رأسها فلم تكن تعرف ما هذا الشيء الأسود كان كظل بلا ملامح فسقطت الحقيبة من يديها على الأرض ..وفي تلك اللحظة عم الظلام المكان وانطفأ المصباح ..

****

في حجرة الجدة بالقاهرة

كانت الجدة لا تتكلم أو تتحرك من مكانها بل جحظت عيناها وهي تنظر إلى سقف الحجرة برعب وكانت جليلة تقف بجوارها تحاول تهدئتها بجعلها تشرب كوبًا من الماء المثلج، ولكن الجدة رفضت ولم تغير من وضعها أو نظراتها فلم تلتفت إليها أو تعيرها انتباها وكأنها ليست بالغرفة .

****

– سأقتلك لأخلص الناس من شرك يا سيد لقد تزوجتك رغمًا عني ولم أكن أعرف أنك ملبوس..اقتربت ببطء وهي تحمل الوسادة بين يديها وتكمل قائلة :

– لم أكن أعرف أنك ممسوس أيها الشيطان اللعين سوف أجعلك تستريح وتريح من حولك سأخلص الناس من شرك وهنا وضعت الوسادة على وجهه وأخذت تصرخ بهستريا:

– سأقتلك لأخلص الناس من شرك يا سيد لقد زوجوني منك رغمًا عني ولم يخبرني أحد أنك ملبوس لقد عذبتني كثيرًا يا سيد

ويكفي ما عشته معك من عذاب خلال تلك السنوات فلترحل فلم أعد أتحمل تلك الحياة إما أن تموت أنت أو أموت أنا ..

كانت تضغط على الوسادة بقوة وهي فوق وجهه وتكتم أنفاسه ثم أكملت وهي تضحك بهستريا :

– لقد وضعت لك المنوم في كوب الشاي والآن ستموت لا محالة ولن يخلصك من يدي أحد لكم كرهتك وكرهت الهواء الذي تتنفسه ...لكم تمنيت تلك اللحظة منذ أول ليلة دخلت فيها إلى ذلك المنزل ومنذ أن رأيت وجهك وانعكاس النيران بعينك ...وهنا دخل هو إلى الغرفة قائلًا:

– ماذا تفعلين يا أمي لأبي ولماذا تضعين الوسادة على وجهه فربما شعر بالضيق فأبي لا يحب أن يغطي وجهه أحد بتلك الطريقة

– هذا ليس أباك يا درويش يا ولدي فلقد مات أبوك منذ زمن يا ولدي إنه الشيطان الرجيم.

تعجب الصغير ونظر بذعر إلى عيون أمه مرددًا:

– الشيطان الرجيم ومات أبي.... ماذا تقولين يا أمي أنا لا أفهم شيئًا ؟

– أقول الصدق يا ولدي ..استمع إلي فلم تعد صبيًا صغيرًا يا درويش لقد صرت رجلًا الآن ولابد لك من معرفة الحقيقة فوالدك كان شيطانًا رجيمًا ويستحق القتل والموت ولكن لا تخبر أحدًا بسرنا يا ولدي.

نظر الصغير ببراءة إلى عيون أمه و إلى جسد والده الممد على الفراش لا يتحرك أو يتنفس، يبدو بأنه مات حقًّا كما تقول أمه.. هو لا يفهم شيئًا، ولكن أمه لن تكذب عليه أبدًا ولقد كان والده

قاسي القلب معه يعامله بعنف وكان يخيفه دائمًا بنظراته وعيونه التي يراها أحيانًا حمراء دموية..فلماذا ستكذب عليه أمه ..

فرد الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره :

-أبي كان شيطانًا يا أمي وكما قال الشيخ عرفان لابد من محاربة الشياطين وقتلهم فهل ستتركينني أقتلهم مثلك يا أمي؟

نظرت له الأم وهزت رأسها بنعم ولم ترد

- أمي هل ستتزوجين برجل أخر غير أبي؟

- ألم أخبرك يا درويش أن أباك مات منذ زمن و أن هذا الرجل الذي كان يعيش معنا كان شيطانًا رجيمًا ويستحق القتل يا ولدي ثق في.

- نعم أعرف ولكن هل أنا كوالدي وسأصبح شيطانًا يا أمي؟

صرخت بلوعة في وجهه :

- لا يا درويش، إنك ولدي وكل شيء لي بالحياة

- ولماذا تتزوجين من ذلك الرجل الغريب.

- سأتزوج يا درويش لأنه لابد لكل امرأة أن تتزوج وتكن في حماية رجل ولا تعيش بمفردها هل تفهم يا درويش؟

- ولكني أكره هذا الرجل يا أمي، ويخيفني كثيرًا، فعيونه واسعة وسوداء وأحيانًا أرها كلها بيضاء مرعبة فلا أعرف هل هي بيضاء أم سوداء؟؟

- لا تقل هذا يا ولدى فالشيخ عرفان رجل صالح ويحبك يا درويش وهو يحارب الشياطين ويقتلهم وسيعلمك كيف تحاربهم يا ولدي وتقضي عليهم ؟

- هتف الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره فرحًا :

- صدقًا يا أمي سيدعني الشيخ عرفان أحارب الشياطين وأقاتلهم مثله؟

- نعم يا ولدي فهو من عالج والدك مما كان فيه فهو معالج روحاني وأحد جنود الله المختارين على الأرض.

هز الصبي رأسه فهو لا يفهم شيئًا من هذا الكلام العجيب ولكنه قال ببراءة:

- ولكنك قتلت أبي يا أمي هل تذكرين يومها

زفرت بضيق في وجهه قائلة:

- إياك أن تردد ذلك الكلام أمام أحد فلقد أخبرتك من قبل أن أباك قد مات من سنين طويلة أنا لم أقتل إلا الشيطان الرجيم يا ولدي هل تفهم ؟

نظر إلى أمه بفستان زفافها الأبيض وهو يشعر بالحزن والدهشة فهل ستتزوج أمه حقًّا من ذلك الرجل المخيف وهل سيعلمه حقًّا كيف يحارب الشياطين مثله ؟

ولكن ماذا إن كانت أمه أيضًا شيطانًا رجيمًا فهل سيقتلها كما قتلت والده ؟هز رأسه بحيرة ولم يرد ..

****

أخذت تصرخ وتولول وهم يحملون الطفل على تلك المحفة البيضاء .

- يا ويلي ماذا حدث لابني يا شيخ عرفان ؟ درويش ولدي

رد عـلي ...ولكـن الطفـل كان فاقـد الوعـي فلـم يـرد عليهـا أو يريـح قلبهـا ولكـن الشـيخ عرفـان صرخ في وجههـا :

– اصمتـي يـا امـرأة إن ابنـك قلبـه ضعيـف لم يتحمـل خـروج الجني مـن جسـد الرجـل فسـقط فاقـد الوعـي لابـد أن يجمـد قلبـه ليسـتطيع العيـش ومحاربتهـم ولكنـه كالخبـز الجـاف يسـهل تكسـيره .

صرخت بلوعة وهي تمسك يد ابنها وتقبلها :

– بـالله عليـك يـا شـيخ عرفـان اتـرك ابنـي ولا تجعلـه يعمـل معـك فسـيموت الصبـي إن لم تتركـه.

– اصمتـي يـا أم درويـش ولا تتفوهـي بنصـف كلمـة واهتمـي بابنتـك جليلـة فهـي تـصرخ واتركـي لي الصبـي فهـو ملكـي هـو ومـن يسـكنه سـأعلمه ليأخـذ مـكاني بالحيـاة فلابـد أن يكـون قويًّـا ويعـرف كيـف يتعامـل معهـم ويواجههـم، فابنـك دمـاؤه ملعونـة كابيـة وسـيموت إن لم تتركيـه وتجعلينـي أسـاعده، صرخـت بلوعـة .

– لا ولـدي درويـش ...بـالله عليـك سـاعده يـا عرفـان وخلصـه ممـا فيـه.

– إذًا اذهبـي لابنتـك جليلـة فهـي تـصرخ جوعًـا ودعـي لي الصبـي لأخلصـه فهـو ملكـي ومـا بداخلـه لي هـل تفهمـين نظـرت الأم بقلـق إلى ولدهـا الـذي بـدء يسـتفيق ورأت انعـكاس النـيران في عينيـه كـما كانـت تراهـا في عيـون والـده فشـهقت فزعًـا ...

****

حاولت جليلة بشتى الطرق أن تجعل أمها تتناول كوب الماء أو أي شيء أخر ولكنها لم توافق ولم تتحرك قيد أنملة من مكانها بل كانت تحملق في سقف الحجرة بعيون خاوية.

كانت في عالم أخر وزمان أخر فمنذ أن رأت ناردين وهي تحمل الصندوق بين يديها وتبتسم بمكر وأمها على تلك الحالة هزت جليلة رأسها بحيرة فهي لا تدري كيف تتصرف ؟

فكرت فى نيرمين فهل ترسل لها رسالة تخبرها بكل شيء وبحال أمها، خرجت من الغرفة وهي تمسك بالورقة التي سجلت فيها نيرمين أرقامها فلقد كانت تقف خلف الباب وسمعت ما قالته ..

وشعرت بالارتياح عندما رحلت الفتاة فنيرمين لا تستحق ما سيحدث لها فهي فتاة طيبة القلب وبعكس أختها التي تستحق كل شيء سيحدث لها فهي من نفس النسل وهو لن يتركها مهما فعلت.

لقد تركها هي يومها لأنها لا تحمل دماءهم القذرة كما أخبرها، ولكنه ابتلع لسانها حتى لا تتكلم وتخبر أحدًا بما حدث يومها هي لن تتكلم أو تقول شيئًا، فهي كانت تكره أخيها درويش وتتمنى موته منذ زمن فمن قال إنها ستحزن عليه أو إنها ستحاول مساعدته ...

إنهم أغبياء إن اعتقدوا ذلك فبعد ما عاشته من ذل و إهانة من ذلك المختل عقليًّا الذي يقولون عنه إنه أخيها والذي حرمها من الزواج و أخذ يرفض كل عريس يتقدم لطلب يدها حتى كبر سنها وأصبحت عانسًا فهو يعتقد نفسه المتحكم في مصيرها ويمنعها من الزواج والخروج من ذلك المنزل الملعون ومن تلك الحياة التي

تحياهـا معهـم كان يريدهـا أن تظـل كـما هـي عـذراء لم يمسسـها أحـد لتسـاعده في عملـه القـذر، لكـم تمنـت المـوت مـرات ومـرات وهـي تـرى قريناتهـا مـن نفـس السـن وأصبحـن أمهـات وعندهـن أطفـال.

ولكنـه درويـش فلابـد أن تكـون مسـاعدته لم يمسسـها أحـد مـن البـشر وعـذراء فمـن سـيثق في غـير أختـه التـي ربهـا وحبسـها بالمنـزل ولا تـرى الشـارع إلا مـن نافـذة حجرتهـا ليـلًا

همست بغل لنفسها:

كنـت تعتقـد نفسـك محاربًـا للشـياطين والجـن ومخلصًـا الأرض يـا أخـي .. فتسـتحق مـا حـدث لـك يومهـا يـا درويـش المجاذيـب صدقنـي..

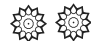

الفصل التاسع
موت العجوز

شعرت نيرمين بالضيق وعدم القدرة على التنفس الطبيعي كانت تشعر وكأن هناك من وضع شيئًا ثقيلًا على صدرها حاولت اختراق ظلام الحجرة بعينيها ولكنها لم ترَ شيئًا، وهنا أفزعها ذلك الصوت العالي وأضاء لها الغرفة قليلًا إنه هاتفها المحمول وهنا رأت الاسم وكان هو محمود فشعرت بالارتياح والسعادة لأنه اتصل في الوقت المناسب حقًّا ...فضغطت زر التشغيل وقالت بلهفة حقيقية :

– محمود الحمد لله أنك اتصلت الآن فأنا خائفة بشدة.

– ماذا حدث يا نيرمين ولماذا صوتك مذعور بتلك الطريقة الغريبة ؟؟

– محمود، إن الكهرباء معطلة ولا يوجد نور بالمنزل وأشعر أن هناك أحدًا معي بالمنزل وأنا خائفة ويكاد قلبي يتوقف من شدة الرعب والتوتر.

– استعيذي بالله من الشيطان الرجيم يا نيرمين وابحثي عن شيء لينير لك الغرفة شمعة أو كشاف أي شيء إنها تهيئات بسبب الظلام.

– لا يـا محمـود ليسـت تهيئـات صدقنـي فلقـد لمحـت شـيئًا أسـود يجـري إلى داخـل غرفـة أمـي يـا محمـود وأنـا مرعوبـة بـالله عليـك تعـال وانجـدني قبـل أن أصـاب بأزمـة قلبيـة.

– نيرمـين اسـتمعي لي اذهبـي إلى بـاب الشـقة الآن وأنـا معـك عـلى التليفـون لا تغلقـين الخـط ..هـل ذهبـت ..؟؟؟

– نعم يا محمود أنا أمام الباب الآن

– حسنًا افتحي الباب ..بهدوء

– فتحته الآن يا محمود

– اخرجـي مـن الشـقة واذهبـي لأحـد الجـيران وانتظرينـي حتـى أتي إليـك لـن أتأخـر لا تتحركـي مـن عنـدك هـل تفهمـين نيرمـين ؟؟؟

– ردت مـن بـين دموعهـا حـاضر يـا محمـود لـن أفعـل فلـم تعـد قدمـاي تتحمـلان حمـلي عـلى الأرض ..

وهنا سمعها وهي تدق باب الجارة المقابلة لها وسمع الجارة

وهي تقول لها :

– مـن نيرمـين كيـف حالـك يـا ابنتي....ومتـى عـدتي وأيـن هـي ناردين ؟؟

وهنـا أغلـق الخـط وأسرع إليهـا راكضًـا وهـو يفكـر فيـما يحـدث لحبيبتـه فلقـد سـمع نفـس الشـوشرة مـرة أخـرى وهـي تتحـدث بالتليفـون حتـى خرجـت مـن الشـقة ...ولكنـه لم يخبرهـا حتـى لا يزيـد مـن توترهـا وخوفهـا

فهو يشعر أن هناك شيئًا غير صحيح في كل ما يحدث..؟؟؟

****

« نيرمين البقاء لله لقد ماتت جدتك اليوم صباحًا عمتك جليلة»

أخذت تنظر إلى الرسالة على هاتفها المحمول غير مصدقة فلقد كانت من رقم غريب لا تسجله على هاتفها الجوال ولكن ما هذا فهل حقًّا ماتت جدتها وكيف ؟؟

تساقطت العبرات على خدها ببطء غير مصدقة وهنا رأتها هي تبكي إنها أم محمود فلقد كانت خائفة ومذعورة من البقاء بالمنزل بمفردها أمس فأصر محمود على أن تأتي لتقضي الليل مع أمه ونام هو عند أخاه بنفس البناية فهو منزل عائلة ولقد كانت أمه تحبها بشدة فرحبت بالفتاة نظرت لها الأم بدهشة قائلة:

– ماذا حدث يا حبيبتي لماذا تبكين نيرمين ؟؟

– لقد ماتت جدتي اليوم يا أمي كانت تناديها بأمي وتنادي كل امرأة كبيرة بالسن بأمي وأي رجل كبير بالسن بأبي

– لا حول ولا قوة إلا بالله البقاء لله يا نيرمين ومن أخبرك بالأمر يا ابنتي ؟؟؟

لم ترد عليها بل جعلتها ترى الرسالة على الهاتف ..فهزت الأم رأسها بحيرة وحزن على حال تلك الفتاة التي لم يمر أسبوع على موت أمها فتكتشف أن أبيها على قيد الحياة ولكن لا يعلم أحد طريقه هل هو من الأموات أم الأحياء وبعدها تموت الجدة ويختفي الأب للأبد فحال تلك الفتاة البائسة يصعب على الكافر فهمست لنفسها :

– مسكينة يا ابنتي وحظك بالدنيا قليل ربي يعوضك خير أعدك بأني سأكون أمك وعائلتك فأنا أعرف كم يحبك محمود

ويتمنـاك .

قالت نيرمين بحزن وهي تبكي:

– لا أعـرف يـا أمـي مـاذا أفعـل أعـود القاهـرة مـن جديـد أم مـاذا أفعـل والمفـروض أن أنهـي ورقـي وتدريبـي هنـا بالمستشـفى اليـوم وأقـدم الأوراق .

– اسـتمعي لي يـا نيرمـين إن ذهبـت باكـرًا أم متأخـرة أو حتـى لم تذهبـي لـن يغـير مـن الأمـر شـيئًا فلقـد نفـذ أمـر الله يـا حبيبتـي اذهبـي الآن إلى المستشـفى وخلـصي ورقـك وبعدهـا اسـتقلي القطـار وسـافري مسـاء وعـودي غـدًا صباحًـا وأنـا سـافر معـك فلـن أتـركك تسـافرين بمفـردك أبـدًا ونعـود معًـا غـدًا مسـاء وهنـا احتضنتهـا نيرمـين بقـوة وأخـذت تبكـي بعنـف فلقـد عوضتهـا تلـك المـرأة عـن والدتهـا ..

وفي تلـك اللحظـة دخـل هـو الغرفـة وشـاهد أمـه وهـي تحتضـن حبيبتـه بحـب وتبكيـان بقهـر فشـعر بالقلـق وقـال :

– مـاذا هنـاك يـا أمـي لمـاذا تبكـين أنـت ونيرمـين هكـذا فهـل حـدث شيء؟؟

فردت نيرمين من بين دموعها :

– لقد ماتت جدتي يا محمود اليوم.

– البقاء لله يا نيرمين هذه سنة الحياة وماذا ستفعلين؟

ردت الأم بدلًا عنها وهي تمسح دموعها قائلة :

– سـتذهب إلى المستشـفى الآن لتخلـص أوراقهـا وسنسـافر أنـا وهـي مسـاء ونعـود غـدًا مسـاء بـإذن الله يـا ولـدي فلقـد نفـذ أمـر الله ولـن يسـتطيع أحـد أن يوقفـه

– سأذهب معكما يا أمي فلن أترككما تسافران ليلًا بمفردكما ..

نظرت إليه نيرمين ولم ترد ..فماذا ستقول له ؟

– كان المعزين من أهل الحارة يملئون المنزل وتصرخ النساء وتولول في منزل الجدة العجوز و كانت جليلة تجلس على المقعد وتبكي بصمت وهنا دخلت ناردين عليهن وكانت تفرد شعرها وتغطيه بطرحة شفافة سوداء وتضع كحلًا أسود كثيفًا حول عينيها فجعل عيونها تظهر بصورة مخيفة مثيرة للفزع ..كانت ترتدي فستانًا أسود واسعًا طويلًا بأكمام طويلة و عقد طويل من الجماجم الصغيرة معلق حول رقبتها.

كانت هيئتها غريبة ومخيفة في نفس الوقت مما أثارت الفزع في نفوس الحاضرين اقتربت من إحداهن وكانت تجلس في زاوية الغرفة وهمست في أذنيها :

– لا تقلقي سترحل وتبتعد عنه ولكن نفذي لها ما تريد...

– نظرت المرأة إليها بدهشة قائلة :

– من هي ؟؟

– سااااااااااااااااااارة

وهنا نظرت لها المرأة برعب وشهقت بفزع وبعدها قامت مفزوعة تغادر المنزل وكأن شياطين الجحيم تطاردها بالداخل أمام عيون النساء الحائرات المستفسرة ..ماذا قالت لها ابنة الدرويش وجعلتها تفر هاربة من المنزل وقت العزاء.

وهنا نظرت إليها جليلة بحقد وغل فيبدو أن الفتاة لن تهدأ حتى تأخذ مكان والدها الدرويش ووقتها

ستصبح « الدرويشة»

همست جليلة لنفسها قائلة :

– يا ليتك تنالين نفس النهاية يا ناردين فأنت تستحقين .

وهنا دخلت نيرمين ومعها أم محمود ومحمود وبحثت في وجوه الحاضرين حتى وجدت عمتها فذهبت إليها واحتضنتها بقوة وهي تقول :

– البقاء لله يا عمتي جليلة ماذا حدث وكيف ماتت؟؟

لم ترد بل نظرت لها طويلًا وأخذت تبكي ..

وهنا تقدمت أم محمود فقالت نيرمين وهي تشير إليها :

– إنها أم محمود خطيبي يا عمتي وهذا محمود وكان يقف خلف الأم ..هزت رأسها ولم ترد فقالت نيرمين:

– إن عمتي خرساء يا أمي ولا تتكلم فاعذريها وأجلستها وأخذت تبحث عن أختها ناردين فلمحتها وهي تغادر الغرفة فأسرعت خلفها وأخذت تنادي عليها ولكنها لم تلتفت إليها وذهبت إلى أعلى إلى شقتهم صعدت نيرمين خلفها وكان باب الشقة مفتوحًا فدخلت وهي تنادي عليها:

– ناردين انتظري يا أختي من فضلك

دخلت ناردين حجرة نومها وجلست على الفراش وكانت تضع ذلك الصندوق الأسود الغريب بجوارها فقالت دون أن تنظر إليها :

– هل أخبرتك الخرساء بموت الجدة؟

– اتقي الله يا أختي فهي لن تحتمل فيكفي ما هي فيه

– ماذا تريدين مني ولماذا عدتي ؟؟

– عدت من أجلك يا أختي فلن أتركك وحيدة بذلك المنزل الغريب أبدًا وما هذا الذي تفعلينه بنفسك وما هذه الثياب الغريبة التي ترتدينها يا أختي وهذا العقد فهل فقدت عقلك يا ناردين ؟؟

أخذت تنظر إلى الصندوق بتأمل شديد وعيون متألقة براقة طويلًا ثم قالت :

– لبسي وثيابي وهيئتي لا تهمك في شيء فأنت لم تعودي من أجل أحد إلا من أجلك نفسك ...أيتها الفتاة فهل تسخرين مني عدت من أجلي ولذلك ستعودين غدًا مع حماتك وخطيبك إلى الإسكندرية وتتركينني هنا لأنك ستغادرين مصر قريبًا إلي غينيا

– ماذا تقولين يا ناردين ومن أخبرك بأنني سأعود غدًا..

هل كلامي خطأ أم صواب يا أختي العزيزة أجيبي؟

– نعم كلامك صحيح وأنا لا أكذبك ولكن حتى إن كنت سأعود من أجل العمل فكنت سآخذك معي أنتِ وعمتي ولن أتركك بذلك المنزل بمفردكما أبدًا فأنا أخاف عليك

لم ترد ناردين بل كانت تتأمل الصندوق بهيام شديد مما أثار دهشة أختها فرفعت الصندوق تتأمله بغضب وهي تقول:

– ما هذا الصندوق يا أختي الذي يشغلك عني كانت رائحته كريهة كجثة متعفنة نظرت بداخله فكان به دماء جافة فقالت بتأفف:

– ما هذا يا ناردين ومن أين حصلت على ذلك الصندوق فيبدو أنه كان مليء بالدماء وجفت فيه.

صرخت في وجهها بعنف وأبعدت الصندوق عنها قائلة :

– إنها دماؤه هو يا عزيزتي وليس من شأنك أنت دماء من هذه ؟؟

– دماء من ماذا تقولين فأنا لا أفهم منك شيئًا، فماذا حدث لكِ فربما جلب لك ذلك الصندوق وما فيه الأمراض يا ناردين أبعديه عنك أختي بالله عليك؟

– اخرسي يا فتاة ولا تتدخلي واهتمي لشئونك أفضل يا نيرمين

دمعت نيرمين وهي تنظر إلى أختها الوحيدة بتعجب وحزن فماذا حدث لها يا ترى؟

– هل ستأتين معي إلى الإسكندرية يا أختي أرجوك؟؟

– لا لن أرحل من هنا ولن ترحل الخرساء مهما فعلت، ولن تغادر المنزل فهي مساعدتي هل تفهمين ؟؟

– مساعدتك في أي شيء يا ناردين أنا لا أفهم ماذا حدث لك هنا ؟

– مساعدتي في ملء الصندوق وإرضائه يا ليعطيني ما أريد.

– ملئه بأي شيء وعن من تتحدثين أنا لا أفهم شيئًا يا ناردين من كلامك. فهل فقدت عقلك وصوابك تكلمي فلم أترك إلا يومًا واحدًا أيتها الغبية ليحدث لك كل هذا التغير؟

– ارحلي الآن وغدًا تعرفين يا نيرمين كل شيء وتعرفين من هي ناردين ومن ستكون في المستقبل ولكن فقط تذكري بأنني مخلصتك من العذاب أيتها الشقية الفانية ..فجسدك فاني وروحك باقية سيأكل الدود جسدك وتبقى الروح عالقة ..

وبعدهـا أطلقـت ضحكـة عاليـة كضحكـة سـاحرات الأفـلام ونظـرت لهـا نيرمـين بخـوف وتوتـر و عـدم فهـم فرجعـت بتوتـر وفـزع للخلـف وعـادت عـدة خطـوات إلى الخلـف حتـى كادت تصطـدم بذلـك المقعـد الهـزاز الـذي كان يعلـو يهبـط لأعـلى وأسـفل وهـي تنظـر إليهـا بدهشـة غـير مصدقـة ...

فـماذا تقـول تلـك المعتوهـة ومـا هـذا الـكلام الغريـب ومـا هـذه الضحكـة الغريبـة فهـل جنـت أختهـا وفقـدت عقلهـا ؟

ولكـن يبـدو بأنهـا ستستسـلم و سـتعود إلى الإسـكندرية وحيـدة وبـدون أختهـا وعمتهـا ولكنهـا عنـد عودتهـا مـن غينيـا ومـن تلـك القافلـة الطبيـة سـتذهب إلى صديقـة أمهـا أم نوفـل وتعـرف الحقيقـة كاملـة ووقتهـا سـتأخذها معهـا بالقـوة وتعـود أدراجهـا إلى منزلهـا وحياتهـا السـابقة .

فلـن تسـمح لهـا بالبقـاء بذلـك المنـزل الملعـون أبـدًا وربـما وقتهـا يكـون قـد عـاد الأب وفهمـت كل شيء منـه هـو ..

****

في منزل نيرمين :

وقـف هـو في الشـارع أسـفل المنـزل يحدثهـا في الهاتـف المحمـول بضيـق:

– هيـا يـا نيرمـين سـتتأخر عـن ميعـاد الطائـرة فلـم يبـقَ إلا ثـلاث سـاعات ومـازال المشـوار طويـلًا إلى المطـار.

– حـاضر يـا محمـود إني جاهـزة دقائـق و أنـزل لـك هـل أحـضرت سـيارة أجـرة؟

– نعم فالرجل ينتظر منذ زمن وبدء يشعر بالضجر

– ابتسمت بحزن وهي تقول لن أتأخر ثلاث دقائق وتجدني أمامك لا تقلق.

ذهبت نيرمين ومحمود بعد أن ودعت أم محمود التي كانت تجلس معها بشقتها فلقد أصرت الأم على مرافقتها إلى شقة أسرتها و البقاء معها حتى السفر بعد إن رفضت نيرمين البقاء بمنزل محمود خوفًا من كلام الناس الكثير الذي لا يرحم ولا يترك أحدًا في حالة أبدًا، نزلت الأم معها لتودع ابنها وتدعو لهما بالرجوع سالمين ..

وبعدها صعدت إلى شقة نيرمين لترتبها وتغلقها وتعود إلى شقتها وهنا دخلت الشقة فشعرت بعدم الارتياح، هي كانت لا تشعر بالارتياح منذ دخلت الشقة وتشعر بأن هناك شيئًا خاطئ وكانت تشغل القرآن الكريم باستمرار بالمنزل وتضع البخور ولكن دائمًا الكهرباء تفصل ويعم الظلام كما أنها تشم رائحة كريهة دائمًا بالمكان وكان هناك شيء متعفن ورائحة نتنه كالبيض الفاسد..

كانت تشعر أن هناك أشياء تتحرك بالشقة ليلًا وكانت لا تريد أن تخبر الفتاة حتى لا تثير فزعها واليوم رأته لقد جرى من أمامها عندما فتحت باب الشقة ودخل إلى غرفة الأم المغلقة وأغلق الباب خلفه بعنف .

أخذ قلبها يعلو يهبط وشعرت بالتوتر و الخوف أخذت تتلوى ما تحفظه من آيات الذكر الحكيم واقتربت ببطيء من الغرفة . وفتحت الباب وهي تبسمل وتحوقل وهنا رأته معلق في سقف الحجرة من رقبته ويخرج لسانه من فمه بطريقة بشعة فصرخت المرأة فزعًا وهي ترى هذا المنظر البشع ومن هذا الرجل المشنوق وسقطت فاقدة الوعي ....

ـــ استيقظي يا أم محمود ماذا حدث لك يا أختي استيقظي بالله عليك ؟

ـــ فتحت عينيها لترى أمامها الجارة التي تسكن بالشقة المجاورة لقد تعرفت عليها وكانت تأتي لزيارتها هي ونيرمين باستمرار وتسأل عنهما ويجلسان سويا الأيام الماضية.

ـــ حمدًا لله على سلامتك لقد أرعبتني يا أم محمود كثيرًا. ماذا حدث لقد كنت ذاهبة للتسوق وسمعتك تصرخين وباب الشقة مفتوح وأنت فاقدة الوعي على الأرض ؟

وهنا تذكرت فهزت رأسها ونظرت بخوف إلى باب الغرفة المغلق وقالت: إنه بالغرفة، إنه بالغرفة مشنوق

مشنوق من هو ..يبدو أنك كنت تحلمين يا حبيبتي لا تقلقي واهدئي.

لا لا لقد رأيته بعيني معلقًا في سقف الغرفة مشنوق بثعبان كبير شكله مخيف يا أم مجدي صدقيني.

وهنا دخلت المرأة الغرفة وفتحت الباب أمامها قائلة :

انظري يا أم محمود فليس هناك أحد بالغرفة فيبدو بأنك كنت تحلمين واعتقدت الأمر حقيقة.

لا أعرف ربما ولكني لابد أن أعود إلى شقتي فهل انتظرني معي حتى أجمع ثيابي من فضلك أم مجدي.

طبعًا تفضلي سأساعدك في جمع الأغراض فيبدو بأنك مرهقة و متعبة.

وهنا ذهبت المرأة إلى غرفة الفتاة لتجمع ثيابها ووقفت على

بـاب الشـقة وبعدهـا تذكـرت شـيئًا فقالـت للمـرأة انتظرينـي حتـى أدخـل غرفـة نيرمـين أتأكـد بأنهـا أغلقـت النافـذة مـن فضلـك ...

تفضـلي يـا أم محمـود وتأكـدي مـن غلـق الغـاز جيـدًا ونافـذة المطبخ فهـي تطـل عـلى منور

دخلـت المـرأة إلى غرفـة نيرمـين وكانـت النافـذة مغلقـة وهمـت بالخـروج مـن الغرفـة عندمـا شـهقت فزعًـا فلقـد رأت صورتـه معلقـة بالجـدار بجـوار البـاب وكان نفـس الرجـل الـذي رأتـه مشـنوقًا بالغرفـة فصرخـت المـرأة فزعًـا وأسرعـت تغـادر الشـقة وكأن شـياطين الجحيـم تطاردهـا بالداخـل...

وهـي تسـأل هـل هـذا الرجـل والـد الفتـاة و إن لم يكـن أباهـا فلـماذا تعلـق صورتـه بالغرفة؟؟؟

كانـت نظـرات الجـارة تطاردهـا لتسـألها مـاذا حـدث بالداخـل ولـما تهربـين مـن الغرفـة وكأنـك تهربـين مـن الجحيـم ؟

ولكنهـا لم تـرد ولم تنطـق بكلمـة فكانـت الصدمـة قويـة وكبـيرة عليهـا فأخـذت حقيبتهـا ورحلـت في صمـت دون أن تـودع الجـارة التـي كانـت تنظـر لهـا بفضـول شـديد وشـك..فماذا حـدث بداخـل الغرفـة فلقـد ألقـت نظـرة سريعـة فلـم تـرَ شـيئًا غريبًـا بالغرفـة يثـير الفـزع والتوتـر لتلـك الدرجـة .

الفصل العاشر

سارة

– أمـي لقـد أخـذت منـى سـارة الحقيبـة وألقتهـا بسـلة المهمـلات وبعدهـا ضربتنـي اقتليهـا يـا أمـي مـن أجـلي.

– أمي أريد أن أقتل سارة بالليزر و أحرقها بالنار

– أمي ستنفجر القنبلة في وجه سارة وتصبح فطيرة حمراء.

– لقـد أخـذت سـارة لعبتـي يـا أمـي اقتـلي سـارة وأغرقيهـا بالمركب في البحـر يـا أمي.

– يـا سـمكة القـرش اقتـلي سـارة ..يـا سـمكة الكهربـاء كهـربي سـارة و اقتليهـا مـن أجـلي

– سـارة مـوتي يـا سـارة مـن أجـلي ..وسـيأكلك الشـيطان الأسـود والأشـباح ..

لقـد تعبـت أعصـابي مـن سـماع اسـم سـارة يـتردد في المنـزل أكثـر مـن مائـة مـرة باليـوم الواحـد ..

يـا إلهـي إنـه ابنـي الصغـير الـذي لم يتجـاوز الخمسـة أعـوام «حسـام«..مازال يـردد ذلـك الاسـم البغيـض إلى قلبـي الكريـه مـن نفـسي اسـم» سـارة»

– نعم أكره ذلك الاسم منذ كنت صغيرة، أتمنى موت صاحبته ولكنني لم أجرؤ أن أنطق بذلك و أخبر أحد سري و أمنيتي بالحياة ولا حتى أمي التي كانت تحب الفتاة بشدة يا إلهي لماذا يا بني تذكرني بتلك الأيام السوداء التي عشتها منذ طفولتي و حتى مراهقتي وشبابي فلسوء حظي ظلت سارة ترافقني منذ الروضة وحتى أنهينا المرحلة الجامعية بنفس الجامعة يا إلهي لكم أكره تلك الحياة وأيام الدراسة حتى لا أقابلها فتسخر مني أمام الجميع وتعذبني وفي النهاية تضحك باستمتاع و هي تراني مذلولة لها يا إلهي لكم أكرهك يا سارة وحتى أموت سأظل أتذكر مواقفك البشعة معي وضعفي وذلي لك أيتها الحقيرة ..

– اقتلي سارة يا أمي من أجلي فهي شريرة..تستحق الحرق والموت اقتليها من أجلي.

أخذ الصغير يصرخ بهستريا أفقدتني عقلي وصوابي فصرخت في وجهه بغضب :

– اخرس أيها الصبي و أغلق فمك ولا تردد ذلك الاسم ثانية...

وهنا نظر لي ابني بحزن و أخذ يبكي بهستريا وألم وهو يردد :

– و لكن سارة تستحق الموت يا أمي فهي تؤذيني...

جعلتني كلماته أتذكر الماضي وأعود بذاكرتي لأيام طفولتي وعذابي مع سارة زميلتي بالصف كانت تؤذيني بشدة وتأخذ مصروفي وطعامي ..كانت تضربني وتهينني ولكني كنت جبانة ..فلم أخبر أمي يومًا عما تفعله معي؛ لأنني كنت أعرف بأنها لن تصدقني ولم تقتنع بما أقول وستقول أنني أغار من سارة لأنها فتاة

متفوقة دائمًا وجميلة..ولكني لا أراها جميلة بل هي قبيحة مغرورة تؤذي الآخرين...قطع صوته حبل ذكرياتي وهو يصرخ :

– هل ستقتلين سارة يا أمي؟؟

صرخت في وجهه بعنف:

– ارحل إلى غرفتك يا حسام وغدًا سأذهب معك إلى الحضانة لأعاقبها بنفسي .

– هل ستقتلينها وتجعليها تنزف حتى الموت...نظرت له بحيرة فهذا ما كنت أتمنى فعله بصديقتي السابقة سارة عندما كنت صغيرة ..هززت رأسي ولم أرد عليه ورحل هو إلى غرفته سعيدًا مسرورًا معتقدًا أنني سأقطع رقبة الطفلة غدًا و أنتقم له لما فعلته معه فحتى بعد أن تخرجت من الجامعة وابتعدت عن تلك البغيضة سارة التي عذبتني لسنين طويلة كنت أتجنب التعامل مع أي فتاة اسمها سارة واعتقد أنهن جميعًا أشرار ..

وها هو ابني الصغير الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره يشتكي لي من زميلته بالروضة وتدعى سارة تعذبه وتهينه أمام الأطفال وجعلته يكره حياته ويكره الحضانة ويذهب إليها مجبرًا كل يوم و الدموع تملئ عينيه .

– فماذا تفعل له تلك الطفلة الصغيرة؟ لتجعله يتمنى موتها بتلك الطرق البشعة ومن أين عرف ولدي تلك الطرق للقتل؟ كل هذا من أفلام الكرتون التي يشاهدها ؟ سوف أمنعه من مشاهدة التلفزيون.

ولكن مهلًا فأنا لا أجعله يشاهد التلفزيون منذ أكثر من سنة، فحسام ابني مريض ومتأخر في كل شيء لقد تأخر في المشي في

النطـق في الفهـم في الكتابـة وعرضتـه عـلى أخصائيـين أمـراض عصبيـة وأكـدوا لي أنـه سـليم ولكنـه يحتـاج معاملـة خاصـة ويمنـع مـن مشـاهدة الكرتـون ومـن يومهـا منـذ أكثـر مـن سـنة لم يشـاهد التلفزيـون فمـن أيـن عـرف تلـك الطـرق للمـوت؟

– غريبـة حقًّـا تلـك المسـألة سـوف أذهـب غـدًا لأرى تلـك الشـيطانة الصغـيرة التـي تعـذب ابنـي و أعـرف السـبب؟

فبعـد أن بـدء الطفـل يتحسـن تراجعـت حالتـه كثـيرًا في الأيـام الأخـيرة، كان يخـبرني بتلـك الطفلـة التـي تضايقـه بالحضانـة سـارة، و كنـت أخشـى مواجهتهـا يالسـخافتي أخشـى وأخـاف مـن مواجهـة طفلـة صغـيرة لم تكمـل عامهـا الخامـس لابـد أن أتغلـب عـلى مخـاوفي مـن الاسـم و أذهـب غـدًا أشـتكي لمدرسـة الفصـل بالحضانـة أو المديرة؛ لتـضرب تلـك الصغـيرة .

– ماذا بكي يا عفاف ولماذا تبكين بتلك الطريقة يا أختي ؟؟

– أخـاف عـلى حسـام يـا أختـي فلقـد سـاءت حالتـه اليـوم كثـيرًا كنـت في منـزل الدرويـش لأعـزي في أمـه فقالـت لي ابنتـه « الدرويشـة» بأنهـا لـن تـترك ابنـي ..وعندمـا سـألتها مـن ؟؟

قالـت لي : سـارة أنـا لا أفهـم شـيئًا يـا أختـي و أخـاف عـلى ولـدي الوحيـد، فـماذا فعلـت أنـا ليحـدث لي كل هـذا ولمـاذا تطـارده الطفلـة ؟

– هل ذهبت إلى الحضانة وعرفت من هي يا أختي؟؟

– نعـم يـا سـعاد ويـا ليتنـي مـا ذهبـت وعرفـت ؟ فمنـذ أن عـدت وأنـا أبكـي و أشـعر بالخـوف الشـديد والقهـر ولا أعـرف كيـف أتـصرف؟

– اهدئي و أخبريني ماذا حدث هناك بالحضانة.؟؟؟

– لقد ذهبت مع حسام ابني إلي الحضانة اليوم صباحًا وقابلت المعلمة وأخبرتها أن هناك طفلة تدعى سارة تعذب ابني وتكرهه بالحضانة وتأخذ طعامه وحلوياته ..وهنا نظرت لي المشرفة بحيرة يشوبها القلق قائلة:

– ولكن ليس هناك أي فتاة بالحضانة كلها اسمها سارة يا مدام.

– ماذا تقولين ومن سارة التي يتحدث عنها حسام؟

هزت رأسها بحيرة وقلق قائلة:

– لا أعرف يا مدام صدقيني...

نظرت إلى عيونها طويلًا فوجدتها تخفي شيئًا نعم فهي تحاول أن تداري عينيها عني أكثر من مرة وتهرش أنفها تلك المشرفة كاذبة وهناك من تدعى سارة وتعذب حسام ابني؟؟وهي تعرف؟

أنا أرى ذلك في عينيها الكاذبة لقد غاظني الأمر بشدة فتركتها وذهبت إلى المدير لأشكو له منها..فأكد لي نفس الكلام لا توجد فتاة تدعى سارة ..بل و أخرج لي كشوف الأسماء بالأطفال لأتأكد وتأكدت فلم تكن بينهم اسم سارة.

خرجت من مكتب المدير حائرة فهل انتكس ابني وزاد مرضه لا أدري ولكن من سارة تلك التي تعذبه ...ربما اختلط عليه الأمر واخطأ الاسم سأذهب إلى الفصل و أجعله يريني سارة التي تؤذيه ...لأعرف من هي بنفسي ذهبت إلى الفصل وكان حسام ابني يبكي بهستريا ويمسك يده وعندما رأني ارتمى في حضني وأخذ يبكي قائلًا :

– اقتلي سارة يا أمي من أجلي لقد آذتني

وهنا صرخت في المشرفة من الذي أذى ابني أيتها المشرفة ولكنها لم ترد علي بل أدارت وجهها إلى السبورة ولم تتكلم فأخذت ولدي وأنا أتوعدهم بالعقاب وسوف أقوم بتقديم بلاغ بأنهم عذبوا ابني واحرقوه بالنار وهنا قالت لي المشرفة:

- انتظري سيدتي سأخبرك كل شيء

وهنا توقفت واستمعت لها...فقالت بجدية :

- تعالي معي فذهبنا إلى غرفة مغلقة ففتحت بابها وكان التراب يغطي كل شيء فقالت لي بحزن:

- في هذه الغرفة ماتت فتاة منذ ثلاث سنوات لقد كانت فتاة شقية جدًّا ومؤذية تحب الأذية للآخرين فأرادت أن تجعل زميلها يقفز من النافذة ولكنه رفض فحاولت بالقوة إسقاطه فسقطت هي على وجهها وماتت ومن يومها أغلقت الغرفة ولم نستخدمها قط ولم يدخلها أحد منذ انتهاء التحقيقات ..فقمنا بغلقها إلى أن قام حسام ابنك بفتح باب الغرفة منذ أسبوع لقد سمح الصغير للشر أن يمر إلى عالمنا ..فهل تعرفين الفتاة ؟ أنا أعرف أنها تؤذية.... ولكنها لا تؤذي غيره وكأنها تنتقم منه ...

- ما هذا الهراء والكلام الكثير أيتها المربية الفاضلة ..أهذا ما تعلمونه للأطفاك هنا ..

- صدقيني ابنك في خطر حاولي أن تعرفي ماذا تريد الفتاة من ابنك حسام؟ ولماذا هو بالذات لترحل بسلام روحها وتغادر وتكف عن أذيته؟

- يبدو أنك مجنونة سآخذ ابني من تلك الحضانة السيئة...

- صدقيني لن تتركه سارة إلا بعد أن تنفذين ما تريد ...

وهنا سمعت صرخة حسام عالية ..فركضت بقوة باتجاهها وكان بداخل الغرفة فتحت الباب بالقوة فوجدت حسام ابني معلقًا في سقف الحجرة وهو يصرخ :

– اقتلي سارة يا أمي من أجلي اقتليها اقتليها ...

وهنا صرخت بفزع :

– حسام بني ..ماذا حدث يا ولدي؟؟؟

صرخت المشرفة بقوة:

– أنزليه برفق يا سارة الآن ...ولكنه لم ينزل بل سمعت صوت ضحكات عالية فصرخت المعلمة من جديد :

– أنزليه برفق يا سارة

وهنا سمعت صوت قوى لطفلة صغيرة:

– ولكنها ستغضب مني إن أنزلته برفق ..

صرخت المشرفة :

– أنزليه برفق أو عاقبتك يا سارة

– فنزل حسام إلى الأرض وهو يبكي قائلًا:

– أكرهك يا سارة أكرهك وستموتين قريبًا ..

وهنا نظرت إلى المشرفة وعرفت أنها تخبرني الصدق فلن تترك سارة ابني ولكن لمَ؟ ألأنني لا أحب الاسم ؟

ولكن ما المشكلة فكل البشر يكرهون أسماء ويحبون أسماء فصرخت بلوعة:

– فأنا لم أرتكب جرمًا بكرهي لاسمك يا بنيتي..قلت للمشرفة بحماس :

– أعطيني عنوانها وسوف أذهب لأعرف ماذا تريد الفتاة مني ..وهنا صمتت المشرفة ولم ترد...

– ماذا هناك أين أهلها؟

– لم يكن للفتاة أي أهل سوى أمها الأستاذة سارة الأبصيري المعلمة ولقد انتحرت بعد موت ابنتها مباشرة فلم تتحمل فراق الصغيرة ورحيلها وهنا صرخت بفزع :

– سارة الأبصيري وكانت تسكن هناك في...

وهنا قاطعت المشرفة فالآن عرفت الحقيقة وفهمت أنها هي ابنه صديقتي سارة أو بمعني أدق شبحها هو من يعذب ابني الصغير ...

فلم يكفيها ما كانت تفعله معي ونحن صغار فأرادت أن تكمل ما بدأت معي وتعذب ابني وتعذبني ...

فصرخت بغضب:

– إني أكرهك يا سارة وأتمنى موتك من جديد فبعد كل تلك السنوات مازلت تعذبينني. فلماذا لم ترحلي بسلام أنت وابنتك؟ وماذا فعلت أنا لك يا سارة؟ وبعدها أخذت ابني الذي كان يصرخ بهستريا:

– اقتلي سارة اقتلي سارة يا أمي

فماذا أفعل يا سعاد في تلك المصيبة ومع شبح تلك اللعينة التي تعذب حسام ..

– اهدئي يا عفاف بالله عليك من أجل الطفل. وليس أمامك اختيار عودي إلى بيت الدرويش و اطلبي المساعدة من ابنته ناردين،

فيبدو أنها تعرف في تلك الأمور ..فهي الوحيدة القادرة على مساعدة ابنك ؟

- هل تعتقدين ذلك أختي ؟

أنا أؤمن بذلك فلقد أخبرتك أن سارة لن تترك ولدك اذهبي الآن ولا تتأخري فحياة حسام في خطر يا أختي حفظه الله ورعاه..

****

في منزل الدرويش

وبالشقة السفلية جلست عفاف ترتعد خوفًا من ذلك المكان المرعب الذي تجلس فيه.

وأمامها منضدة صغيرة وضع بداخلها البخور كان المكان به إضاءة خافتة زرقاء لقد أدخلتها جليلة أخت الدرويش إلى الحجرة بالشقة السفلية بالدور الأرضي شقة الدرويش التي كان يمارس فيها عمله هي كانت تعرف وكل أهل الحارة يعرفون فلقد كانت ترى الأضواء تخرج من فتحات النافذة التي لا تفتح وتسمع أصوات غريبة ليلًا تصدر من الشقة وتشم رائحة البخور دائمًا فمنزلها بالمنزل المقابل للدرويش .

فلقد كانت تسمع عن الدرويش وعن قدراته منذ زمن ولكنها لم تجرؤ يومًا على الذهاب إلى بيته إلا يوم العزاء فكل أهالي الحارة التي تسكن فيها ذهبوا إلى العزاء خوفًا من الدرويش وليس لأداء الواجب ففعلت مثلهم خوفًا على حياتها وحياة ابنها، وكما أخبرتها حماتها قبل الموت ووصتها بألا تؤذي الدرويش أو تذكره بسوء؛ حتى لا يؤذيها فهو يسخر جني في كل منزل من منازل أهالي الحارة

لمراقبتهم ومعرفة هل يؤذونه بالكلام أم لا لم تصدق هذه التخاريف ولكنها اليوم آمنت بها .

دخلت ناردين وهي ترتدي ثوبًا أسود اللون فضفاض واسع وطرحة سوداء فوق شعرها المنكوش أسفلها وترسم عيونها بالكحل الأسود الكثيف فبدت غريبة الهيئة كالمشعوذين و السحرة التي تراهم على شاشات التلفاز وكانت ترتدي حلي كثيرة بها أسنان أو أنياب هي لا تعرف ولكن الحلي أشعرتها بالتوتر وخصوصًا ذلك العقد الطويل برقبتها الذي ينتهي بجمجمة صغيرة هل الجمجمة حقيقية يا ترى ؟؟

لا تعرف، نظرت لها ناردين بعيونها الواسعة والتي زادها الكحل وسعًا قائلة :

- هل تحدثت معها اليوم ؟؟

- مع من ؟؟

- مع سارة يا امرأة أنا لا أحب الكلام الكثير واللف والدوران أخبريني ماذا حدث ؟

نظرت لها المرأة برعب وكادت دموعها تتساقط فقالت :

- نعم بالله عليك...لم تكمل جملتها فلقد صرخت ناردين في وجهها بعنف:

- لا تذكري اسم الله هنا ثانية هل تفهمين؟؟

انكمشت في مقعدها بتوتر قائلة :

- كما تطلبين حاضر سأنفذ ما تريدين ولكن أنقذي حسام وأبعديها عنه ؟؟

****

– مـاذا حـدث يـا عفـاف في بيـت الدرويـش ولمـاذا لا تتكلمـي وتخبرينـي مـاذا قالـت لـك ابنتـه.

لم تـرد عليهـا بـل كانـت تفكـر فيـما طلبتـه منهـا « ناردين» ابنـة الدرويـش وهـل ستسـتطيع تنفيـذ مـا تقـول لقـد طالبتهـا بإحضـار طفلـين مـن نفـس عمـر حسـام لأخـذ منهـم القليـل مـن الدمـاء لإبعـاد شـبح الطفلـة وأمهـا عـن طفلهـا للأبـد لقـد أخبرتهـا أن الطفلـين لـن يشـعروا بـشيء ولـن يتـأذوا أبـدًا، ولكـن إن لم تفعـل فسـوف يمـوت ابنهـا خـلال أيـام فلـن تتركـه سـارة وابنتهـا يحيـا وقـد ماتـت هـي وابنتهـا، وحرمـا مـن متـاع الحيـاة..

– لا شيء يـا أختـي لقـد أعطتنـي حجـاب لحمايتـه مـن روح سـارة وشـبح ابنتهـا.

نظرت لها أختها بشك فهي تشعر أن أختها تكذب :

– هل تقولين الصدق يا عفاف

ابتسمت رغمًا عنها حتى لا تشك أختها بأمرها قائلة :

– نعـم يـا أختـي أقـول الصـدق. لمـاذا سـأكذب عليـك فأنـت مـن اقترحـتِ عـليَّ الذهـاب إلى ابنـة الدرويـش السـاحرة ؟

هزت أختها رأسها بنعم ولكنها لم ترد عليها .

– سـعاد لمـا لا تقضـين اليـوم عنـدي أنـتِ والطفلتـان وتذهبـي صباحًـا ؟

– لا يا عفاف فأنت تعرفين زوجي لن يوافقك أبدًا

– فلـماذا لا تتركـي الصغيرتـين يلعبـان مـع حسـام اليـوم وتقضـين ليلـة الخميـس مـع زوجـك بـدون إزعـاج الصغيرتـين وسـوف أحضرهم لـك غـدًا صباحًـا ونقـضي اليـوم معًـا مـا رأيـك ؟؟

وهنا أتت الصغيرتان وهما تلعبان مع حسام بسعادة .فقالت سعاد لأختها بتردد :

- لا أدري يا عفاف فربما عذبتاك فهما شقيتان ولا تريحان أحدًا

- لا تقلقي فهما كولدي يا سعاد لا تقلقي عليهما أبدًا فهما في بيت خالتهما ..وسوف أرعاهما كما أرعى حسام ..

وافقت سعاد على ترك بناتها في منزل أختها وقضاء ليلة حمراء مع زوجها بدون إزعاج الصغيرتين ..

ولكن قولي لي يا امرأة أنحن في زمن تتركين فيه أطفالك مع أحد غير نفسك وتكونين مطمئنة النفس مرتاحة البال؟

وكل هذا من أجل أن ترضين أحدًا

ألا تسمعين عن الحوادث البشعة التي تحدث كل يوم ومن سيهتم بأطفال غيره في هذا الزمن حتى و إن كانت جدتهم اتقوا الله في أولادكم ..

****

وبعد منتصف الليل وعندما نام الأطفال فلقد وضعت عفاف لهم المنوم في العصير حتى تناما ولا تشعران بشيء سمعت الطرق على باب شقتها وكانت هي ...

ومن غيرها ابنة الدرويش « ناردين» لقد طلبت منها عفاف أن تأتي هي إلى المنزل وتأخذ ما تريده من الطفلتين حتى لا تستيقظان وهي بمفردها بالمنزل فزوجها يعمل بأحد الدول العربية بالخليج .

فتحت عفاف الباب بتوتر وأدخلت ناردين التي كانت تحمل صندوقًا أسود بين يديها إلى غرفة الأطفال وهي تقول برجاء وتوتر:

ــ أرجوك لا تؤذيهما ولا تتركي أي أثر بأجسادهما ...

نظرت لها نظرة نارية جعلتها تبتلع الكلمات في فمها وتخرس فهل ستخبرها بما يجب عليها فعله؟

دخلت إلى الغرفة وكان الثلاثة أطفال نيام اقتربت ناردين من إحدى الطفلتان ورفعت ذراعها وربطتها برباط ضاغط وأدخلت سن رفيع في ذراعها ينتهي بأنبوب رفيع وسحبت الدماء بالسرنجة بنهاية الأنبوب الرفيع الذي يشبه الخرطوم ونهايته كانت بسرنجة أخذت تسحب الدماء بالسرنجة وتضعها بالصندوق وهنا بدء الصندوق ينير ويشع نورًا غريبًا مما أثار الرعب في نفس عفاف فصرخت رعبًا يكفي أرجوك ستموت الفتاة لقد أخذت الكثير من الدماء زمجرت ناردين في وجهها بعنف ولكنها سحبت السن من ذراع الفتاة ووضعت قطنه صغيرة وقالت لها وهي تنظر لها نظرة نارية :

- اضغطي بقوة يا امرأة ولا تقفين كالصنم .

أخذت تضغط بقوة وهي تدعو الله في سرها ألا تصاب الفتاة بسوء فهي لم تكن تقصد أبدًا ولم تكن تريد أذيتها، ولكنها لا تريد أن يموت ابنها الوحيد أيضًا فليغفر لها الله.

نظرت إلى ناردين وكانت تفعل ما فعلته مع الفتاة لأختها التوأم وبنفس الأنبوب والسن فصرخت فزعًا:

- غيري السن أرجوك حتى لا تصاب الفتاة بأي مرض ولكنها أخرستها بنظرة نارية جعلتها تبتلع الكلمات في حلقها ..

أنهت ناردين سحب الدماء من الفتاتين ونظرت إلى حسام الطفل الذي كان نائمًا بجوارهم واتجهت إليه وهنا صرخت عفاف:

– لا إلا ولـدي حسـام لا تقـتربي منـه ..خـذي منـي مـا تريديـن ولكـن لا تقـتربي مـن ابنـي.

– ليـس باختيـارك ولـن انتظـر منـك الإذن يـا امـرأة لقـد جئـت بإرادتـك لطـب مسـاعدتي وأنـا وافقـت فلتبتلعـي لسـانك أفضـل لـك .

نظـرت لهـا بخـوف ورعـب وهـي ترفـع ذراع الطفـل أمـام عينيهـا وتربطـه بالربـاط الضاغـط صرخـت بلوعـة:

– لاااااااااااااااااااااااااا حسـااااااااااااام انتظـري سـأحضر لـك سرنجـة نظيفـة وخرجـت مـن الغرفـة كالمجنونـة لتحـضر السرنجـة ولكنهـا عـادت لتجـد ناردين أنهـت عملهـا وازداد الصنـدوق بريقًـا واشـتعالًا وتركـت يـد الصبـي تنـزف دون أن تضغـط عـلى القطنـة لتكـون الجلطـة وتتوقـف الدمـاء عـن النـزف..

– ركضـت إلى ذراع ابنهـا وأخـذت تضغـط عليـه بقـوة وهـي تـصرخ :

– مـاذا فعلـت أيتهـا المجنونـة؟ إنـه ابنـي حسـام لمـاذا أذيتـه ؟ وهنـا لم تشـعر بنفسـها وهـي ترتفـع عاليًـا وتسـقط عـلى وجههـا وصـوت ناردين القـوي يقـول :

– إيـاك أن تغلطـي مـرة أخـري فيَّ أيتهـا المـرأة و اعـرفي مـع مـن تتحدثـين وإلا أذيتـك أنـت وابنـك فـكل هـذا مـن أجـل أن تتركـه سـارة لابـد أن تفهمـي ذلـك جيـدًا ومـري عـلي غـدًا مسـاء لأعطيـك شـيئًا تعلقيـه في رقبـة الصبـي فلـن يقـترب منـه شـبح الفتـاة مـن جديـد.

وخرجـت في هـدوء تاركـة عفـاف تنظـر إلى الأطفـال وتبكـي فـماذا فعلـت لهـم حاولـت إيقاظهـم بقـوة ولكنهـم لم يسـتيقظوا فأخـذت تـصرخ وهـي تهزهـم بعنـف اسـتيقظوا بـالله عليكـم أنـا آسـفة.

اقتربت من صدورهم وسمعت دقات قلوبهم فتنهدت بارتياح قائلة لنفسها:

- إنهم مازالوا أحياء لابد أن اهدأ فهذا تأثير المنوم الذي وضعته لهم بالعصير غدًا سيستفيقون ويكون كل شيء بخير إن شاء الله وذهبت وتوضأت لتصلي ركعتين قضاء الحاجة وتدعو الله أن ينقذ الأطفال وألا يصابوا بالأذى..

****

في الصباح استيقظ الأطفال وهم يشعرون بالصداع والألم في أذرعتهما فأعدت لهم عفاف فطورًا وحليبًا وبيضًا وجبنًا وعسلًا محاولة أن تعوض الدماء التي فقدوها أمس وهنا رن جرس الباب وفتحت عفاف لتجد أختها أمام وجهها ودخلت تجري إلى بناتها تحتضنهم بقوة قائلة:

- لم أستطع أن أتغيب عنهم يا عفاف لقد كنت كالمجنونة أمس وتراودني الكوابيس . وهنا قالت إحدى الفتاتان بألم:

- أمي أشعر بألم في يدي هنا وهنا رفعت الأم يد ابنتها لتجدها زرقاء تمامًا مكان سحب العينة وهنا قالت الفتاة الأخرى:

- وأنا أيضًا يا أمي فرفعت سعاد ذراع ابنتها الأخرى لتجد نفس الزرقان فيبدو بأن أحدهم شك الفتاة بإبرة في هذا المكان لسحب عينة دماء فلقد حدث معهم هذا من قبل عندما طلب منهم الطبيب بعض التحاليل و ازرقت أيديهم بتلك الطريقة منذ شهرين ..فنظرت سعاد بغضب إلى أختها قائلة:

- ماذا فعلت ببناتي يا عفاف

ردت بتوتر :

- لم أفعل شيئًا بهم يا سعاد

- لا أنتي تكذبين فلقد فعلت لهم شيئًا فأنا أرى الكذب في عينيك

- اهدئي يا سعاد فلم أفعل لهم شيئًا ربما أذوا بعضهم وهم يلعبون أمس وأنا أعد طعام العشاء نظرت لها أختها بغضب ورفعت ذراع حسام الذي كان أزرق مثلها تمامًا ولكنه يزيد عنهما بذلك الوشم المرسوم على ذراعة لذلك الكائن الغريب المرعب فقالت بغضب:

- حتى ابنك لم يسلم منك يا عفاف فماذا فعلت لهم أيتها المجنونة ...نظرت لها والدموع تتساقط من عينيها وأخذت تنظر إلى ذراع ابنها و إلى الوشم الغريب ولم ترد فماذا ستقول لها؟ ولماذا تركت أنت أطفالك من البداية عند أحد والآن تحاسبينها فمن المخطئ يا صغيرتي ؟

الفصل الحادي عشر

مجيدة

- هل هناك عريس قادم يا مجيدة..؟؟

- لماذا لم تخطب الفتاة إلى اليوم ...لقد كبر سنها ..يا أم مجيدة

- ربما كانت الفتاة ليست على ما يرام ... لماذا لم يتقدم أحد لطلب يد ابنتك وخطبتها.

- ربما كان عمل ...سحر أسود ...هو ما يمنع العرسان للتقدم لطلب يدها ..شيء غريب.

- لابد أن تتصرفي سريعًا يا كوثر وتساعدي ابنتك فلقد كبر سنها وأصبحت عانس ...

إنه شيخٌ واصل وسره كبير لن تندمي إن ذهبت إليه واستشرته صدقيني..

كانت كل تلك الكلمات تدور في رأسها وهي تجلس مع أمها عند ذلك الدجال ..

الذي يدعي بأنها ملبوسة من أحد العاشقين من الجان ويمنع أي عريس يتقدم لطلب يدها...

فهو جن من النوع النمرود الذي يعشق وتعجبه أنثى البشر عن الأنثى من نوعه وعشيرته.

فيحب مرافقتها ومسها والعيش بداخلها...ومنع أحد من الاقتراب منها ..

هزت مجيدة رأسها أكثر لتركز مع الرجل وتبعد عنها كل تلك الذكريات والكلمات التي كانت تسمعها منذ أن أكملت عامها السادس عشر وها هي في السادس والعشرين من عمرها اليوم.

عشر سنوات وهي تسمع تلك الكلمات السخيفة ..وهمست لنفسها :

- لأركز قليلًا لأعرف من هذا الذي بداخلي ...النمرود..يا له من اسم..

وهنا سمعت الرجل يقول بصوت غريب:

-ابنتك ملبوسة ...ولن يتركها النمرود بسهولة ولابد من فك العمل وطرد الجني..

وهنا صرخت الأم برعب وهي تضرب صدرها بيديها:

-يا ويلي ملبوسة من الجان و عمل؟ فماذا سنفعل يا شيخ لفك العمل؟

أرجوك ساعدني، و خذ ما تريد من أموال...يا شيخ...

وهنا ابتسم الشيخ وشاهدت هي كل أسنانه الصفراء ..رأت المكر والخداع بعينيه ...

كان كذئب سينقض على فريسته في أي لحظة نعم ترى هذا في عينيه الماكرة..

كانت نظراته جريئة إليها وكأنه سيأكلها بعينيه ...

أرادت أن تتكلم تقول شيئًا ولكنها كانت عاجزة ...لا تقوى على الكلام ...

وكان هناك من أمسك لسانها ليمنعها من قول شيء..

حاولت النهوض والهروب من ذلك الدجال ...نعم دجال ونصاب وترى هذا في عينيه..

تشبثت بثياب أمها وحاولت تحذيرها، و لكنها سقطت على مقعدها فلم تعد قدماها تقوى على حملها ..

وهنا أجلستها الأم بهدوء قائلة:

اجلسي يا مجيدة يا ابنتي و اهدئي إلى أن ينتهي الشيخ من عمله...نظر لها الشيخ وأشار إلى الباب

طلب منها أن ترحل فلا يجب أن يرى أحد ما سيفعله وهو يخرج الجني... فهذا سر وكأنه سر من الأسرار السبعة المقدسة.

رحلت الأم وهي تدعو الله أن يفك عمل ابنتها وألا تصبح عانسًا، ويخرج الجني النمرود ويبحث عن أنثى من عالمه ويترك ابنتها مجيدة.

حاولت هي التشبث بثياب أمها ولكنها لم تستطع فلقد خارت قوها، فلقد بدأ مفعول المخدر الذي وضعه بالبخور يعمل...

وبعد دقائق سمعوا جميعًا الصراخ العالي وصوت تحطم الأشياء...وخرج الشيخ غارقًا في دمائه وإحدى يديه مقطوعة ويمسكها باليد الأخرى ويصرخ برعب :

- إنه بداخلها ..إنه بداخلها ولن يتركها مهما حاولتم

وبعدها سقط الرجل على الأرض مغشيًا عليه...صرخ كل

الموجوديــن وفــروا هاربــين ..

إلا هي..

الأم أخذت تصرخ وتهز الشيخ متسائلة أين ابنتي أين مجيدة؟

وهنا فتح عينيه ليقول بذعر:

– لن يتركها الجني فلقد عشقها..

فصرخت في وجهه :

– من هو أيها الشيخ من ؟

– النمـرود ولـن يسـمح لأحـد بلمـس الفتـاة ...فلـن تتـزوج ابنتـك مهـما فعلـت وحاولـت يـا امـرأة ارحـلي مـن هنـا ولا تعـودي

و هنا خرجت الفتاة تسند على الجدار وهي تبكي برعب قائلة:

– لقـد حـاول هـذا الحقـير الاعتـداء عـلي يـا أمـي وهنـا سـقطت فاقـدة الوعـي اقتربـت الأم مسرعـة تـصرخ بلوعـة :

– ابنتـي مجيـدة مـاذا فعلـت بهـا أيهـا الحقـير ولكـن الفتـاة كانـت في عـالم أخـر منـذ ذلـك اليـوم ولم تسـتيقظ...

فماذا أفعل يا ابنة الدرويش وهل تستطيعين مساعدتي أرجوك؟

أنهـت المـرأة حديثهـا وقصـة ابنتهـا مجيـدة وهـي تبكـي بقهـر في منـزل الدرويـش بالشـقة السـفلية وأمـام ابنتـه.

« الدرويشـة» ناردين التـي قالـوا لهـا إنهـا ستسـاعدها وتعيـد لهـا ابنتهـا مجيـدة...

نظـرت لهـا ناردين طويـلًا ولم تتكلـم بـل أخـذت تتمتـم ببعـض الكلـمات في كتـاب مفتـوح أمامهـا ولم تـرد عـلى المـرأة بكلمـة واحـدة.

كانـت هيئتهـا مخيفـة ومرعبـة تثـير الرعـب والتوتـر في النفـوس،

ولقد اتسعت عيناها بطريقة غريبة ربما بسبب ما تضعه حولها من كحل أسود كثيف جعلها غريبة مخيفة مختلفة لا تدري ؟

قالت المرأة برجاء:

– هل ستساعديني بالله...ولم تكمل جملتها فلقد قاطعتها ناردين بغضب وثورة وقلبت الطاولة من أمامها بعنف وهي تقول بصوت مخيف قوي :

-لا تذكري هذا الاسم ثانية هنا هل تفهمين ؟

عادت المرأة للوراء بخوف وقلق وهي تهمس لنفسها :

– ماذا فعلت في نفسي فلقد أخبروني بأن الدرويش أباها يخرج الجن بالرقية الشرعية والقرآن الكريم فماذا فعلت وماذا قلت ؟

نظرت لها ناردين بغضب وكانت شفتاها العلوية تتحرك بطريقة غريبة للأعلى :

-لقد تزوجها الجني وحبسها في عالمه

– صرخت الأم بلوعة يا ويلي تزوجها وماذا سنفعل يا درويشة ساعديها أرجوك وأعيديها إليَّ

ـ لكي تساعدي ابنتك مجيدة ويخرج الجني ويطلقها ويتركها تعود لعالمها فلابد من تقديم القربان له ولتضحي بشيء من أجله.

– هل أذبح له ديكًا أسود

– ماذا تقولين أيتها الغبية ديك أسود، إن الجني الذي يلبس ابنتك يريد دماء بشرية نقية لأطفال صغار لم يبلغوا بعد الحلم هل تفهمين أضحية بشرية..

– مـاذا تقولـين هـل أذبـح طفـلًا لكـي تشـفى ابنتـي ويلتـف حبـل المشـنقة حـول رقبتـي و أعـدم بعدهـا

ـــ لا لن تذبحيه أو تؤذيه بل سنأخذ منه القليل من الدماء ..

ـــ ماذا تقولين أنا لا أفهم شيئًا؟

ـــ أحـضري صبيًـا صغـيرًا لا يتجـاوز عمـره التسـعة أعوام وسـوف آخـذ منـه القليـل مـن الدمـاء وسـأقدمها للجنـي كأضحيـة ليـترك ابنتك مجيـدة التـي حبسـها في عالمـه وتزوجهـا فلـن يتركهـا ..

نظـرت لهـا الأم بحـيرة، فكيـف تحـضر لهـا طفـلًا صغـيرًا فلـن تضحـي بابنـة ابنتهـا الصغـيرة التـي لم تتجـاوز الخمسـة أعـوام، فهـل تقـوم بخطـف طفـل مـن الشـارع ولكـن كيـف تحـضر طفـلًا صغـير لتخلـص ابنتهـا ممـا هـي فيـه؟؟

صرخت ناردين في وجهها قائلة :

ـــ ارحـلي و أحـضري الطفـل إلى هنـا أو أذهـب أنـا إليـه، ولكـن أحضريـه يـا امـرأة وإلا لـن تـري ابنتـك مـرة أخـرى سـتظل نائمـة في أوهامهـا وفي عـالم معشـقوها الـذي لـن يتركهـا حتـى تمـوت وتتعفـن جثتهـا هـل تفهمـين؟؟

خرجـت الأم وهـي تبكـي بحرقـة فـماذا سـتفعل في تلـك المصيبـة أتـترك ابنتهـا هكـذا إلى أن تمـوت لقـد لفـت عـلى الأطبـاء واحتـاروا في غيبوبتهـا وقالـوا: إنهـا غيبوبـة هسـتيريا بإرادتهـا هـي التـي لا تريـد الاسـتيقاظ.

ولفـت عـلى المشـايخ والسـحرة والدجالـين وجربـت كل شيء ولم ينفـع الأمـر إلى أن دلهـا أحدهـم عـلى ابنـة الدرويـش وقدراتهـا الخارقـة، ولكـن هـل سـتسـتطيع تنفيـذ مـا تقـول تلـك المخبولـة؟؟

أن تحضر لها طفلًا صغيرًا لتأخذ منه بعض الدماء ولكن كيف ستفعلها يا ترى؟

وهنا قابلتها جارتها في الشارع لتقطع حبل أفكارها وكانت تمسك ابنها الصغير الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره في يديها فنظرت لها الأم ونظرت إلى الصبي الصغير فقالت المرأة:

-إلى أين تذهبين يا أم مجيدة وكيف حال الفتاة الآن ؟؟

- بخير الحمد لله، وأنت كيف حالك يا أم رامي؟؟

- بخير يا حبيبتي فأنا ذاهبة لأودي رامي للدرس مع حبيبة ابنة ابنتك فلقد أخبرتني ابنتك أن هذه المدرسة ممتازة وتستطيع توصيل المعلومة بسهولة للطفل وسأجربها فجميلة تأخذ عندها.

وهنا أتت فكرة شيطانية للأم وهي تنظر إلى رامى وهو يأكل الحلوى ..فقالت :

- سأذهب معك فأنا كنت ذاهبة إليها ؟؟

فهتفت المرأة بحماس :

- حقًّا يا أم مجيدة

- نعم لقد كنت في طريقي إليها، وأنت إلى أين كنتِ ذاهبة غير الدرس ؟

ـ كنت سأذهب للسوق ..

- اذهبي أنت يا أم رامي و اتركي رامي سوف أخذه الدرس وبعدها سوف أحضره معي إلى منزلك.

- هل تقولين الصدق يا أم مجيدة بارك الله فيك يا أختي فأنا كنت أريد التسوق قبل أن تستيقظ ابنتي الصغيرة.

خذيه وهنا تركت الأم ابنها الصغير لجارتها ورحلت مسرعة قبل أن ترجع في رأيها ..

ولكن أتثقين في أحد تلك الأيام يا عزيزتي وفي هذا الزمن الذي أصبحت الأم تقتل أطفالها من أجل زوجها والأب يغتصب ابنته واستحل الجميع كل شيء فاتقوا الله في أطفالكم وأولادكم ولا تتركوهم لأحد.

فهم أمانه سوف تحاسبون عليها يوم القيامة عندما تقفون أمام رب العرش رب العالمين وتسألون ؟؟

فليس لهم ذنب في كونكم تريدون الاستمتاع بوقتكم وتسريبهم إلى أحد؟؟

أخذت أم مجيدة الصبي وذهبت لمحل لبيع الحلويات واشترت له الكثير من الحلويات قائلة:

- خذ يا رامي يا بني كل يا حبيبي، فرح الصبي كثيرًا بالحلوى والكيس الكبير الممتلئ بأنواع كثيرة من العصائر والحلويات وأخذه بفرح وهو يشكر المرأة بسعادة فكل هذه الأشياء له فقال بفرح:

- هل كل هذا من أجلي يا طنط أم مجيدة ؟

-نعم يا بني كله لك وسوف أشتري لك كيسًا آخر إذا فعلت ما أريد

- وماذا تريدين مني؟

-سوف تذهب معي إلى مشوار ولكن لا تخبر أحدًا فهو سر بيننا وسوف أعطيك كل يوم كيس مليء بالحلوى

ـ حقًّا يا طنط أم مجيدة ما تقولون.

– نعم يا رامي ولكن عدني بألا تخبر أحدًا عن مشوارنا اتفقنا.

– أعدك، أين سنذهب؟ وماذا تريدين مني ولن أخبر أحدًا بالأمر مهما حصل ؟

– عدني يا رامي وإلا سوف أحرقك بالنار إن تكلمت وهنا نظر لها الصبي بفزع و رعب وكاد أن يبكي ولكنه أمسك دموعه ولم يتكلم فلم يكن معه أحد ليحتمي به حتى أمه لا يدري أين ذهبت.؟؟

****

في منزل الدرويش

قالت ناردين بسخرية:

ــ لقد أحضرتي ما طلبته منك بسرعة ..

ــ نعم من أجل مجيدة ولكن لا تؤذي الصبي لقد وعدتني بأخذ القليل من الدماء ولن تؤذيه.

نظر الصبي بفزع إلى تلك المرأة التي تشبه الساحرات الشريرات في الكرتون كان خائفًا منها ويبكي بعنف لم تلتفت له ناردين وحاولت أم مجيدة أن تهدئه وهي ترفع له ملابسه ...

ووضعت ناردين الصندوق الأسود أمام الصبي ...

****

كانت جليلة تقف خارج باب الشقة وترى الأضواء الخضراء التي تنبعث من أسفل باب الشقة وصرخة الطفل تصم آذانها فوضعت أصابعها على أذنيها بعنف حتى لا تسمع صراخه الذي كان يعذبها.

هـي ترفـض كل مـا يحـدث أمامهـا ولكنهـا لا تسـتطيع منعـه أو التصـدي لناردين بعـد أن فتحـت الصنـدوق وأثـر عليهـا الجنـي وجعلهـا تسـاعده هـي تعـرف كل شيء، نعـم هـي خرسـاء ولكنهـا مازالـت تـرى وتسـمع، هـي خرسـاء بإرادتهـا ولكنهـم أغبيـاء ولا يعرفـون شـيئًا ولا مـا سـيحدث لهـم إن امتـلأ ذلـك الصنـدوق ونفـذت مـا يريـده الجنـي ؟

هـي لا تعـرف كيـف ستسـيل الدمـاء بحـارًا ...فلـن يكتفـي ولـن يمنعـه أحـد أو أن يتصـدى لـه ؟

فكـرت في إخبـار نيرمـين ولكـن بـماذا سـوف تخبرهـا ولكنهـا لابـد أن تأخـذ حذرهـا ..؟؟

فإن أكملت ناردين ما تفعل لن تكون نيرمين بخير أبدًا ؟

فهـل ترسـل لهـا رسـالتها في تلـك البلـد التـي سـافرت إليهـا أم تنتظـر ؟

ولكـن إلى متـى تنتظـر فناردين أوشـكت عـلى مـلء الصنـدوق فهـي زكيـة وتعـرف كيـف تتـصرف وتحـضر الدمـاء التـي يريدهـا ؟

الفصل الثاني عشر
هاشم وجنية البئر

ــ مدد يا أم هاشم مدد..

لقد أخذتك يا ولدي إلى مقام الطاهرة أم هاشم لعلها تشفيك وتزيح عنك ما أنت فيه ...

اجلس يا ولدي وخد البركة من المقام وستصبح بخير إن شاء الله ببركة المقام .

فجلس الشاب بلامبالاة على الأرض وهو في عالم آخر لا يدري ماذا تفعل أمه أو تقول؟

وهنا نظرت لها سيدة بدينة كانت تقف بجوارها في المقام قائلة:

ــ ماذا به يا أختي فيبدو بأنكم جئتم من مكان بعيد..

نظرت لها المرأة بقهر ثم بدأت تبكي وهي تقص قصتها قائلة:

ــ إنه هاشم ولدي ربي يشفيه ويجعل على يديها الشفاء ...مدد يا أم هاشم مدد

ــ وماذا به هل هو مريض؟؟

نظرت لها الأم البسيطة التي كانت ترتدي جلبابًا بسيطًا واسعًا،

وتلف الطرحة على رأسها فيبدو أنها أتت من الأرياف ومن مكان بعيد فهيئتها ولبسها وطريقة كلامها تدل على ذلك..

بدأت تقص قصتها قائلة :

ـــ لا أدري ماذا حدث لابني يا أختي فلقد كان زينة شباب القرية وأحسن شبابها ويعمل بمحل البقالة التي فتح له أسفل الدار فلقد رفض العمل بالأرض والزراعة مع أبيه .

كان كل شيء بخير وكان يحب ابنة خالته وخطبناها له وكنا نحضر للعرس وكان الجميع سعيدًا إلى أن نادته هي...

ـــ من هي يا أم هاشم ..؟؟

ـــ إنها النداهة يا أختي؟؟

ـــ النداهة ماذا تقولين يا امرأة وهل هي حقيقة كنا نعتقد بأنها خرافة قديمة ؟؟

ـــ لا ليست خرافة فهي موجودة عندنا بالقرية بجوار البئر القديم ..

يومها كان هاشم ذاهب لإحضار ملابس جديدة من المدينة للعرس ولقد حذرته بألا يمر بجوار البئر القديم.

فكل أم بالقرية تمنع أولادها المرور بجوار البئر ليلًا ولا حتى نهارًا ولكنها تخرج ليلًا لتنادي على الصبية والرجال.

لتقتلهم ولكن إن أعجباها رجل لبسته وغيرت حاله وجعلته يحيا في عالم آخر ولا يرى أي شيء بالكون سواها، إنها النداهة...

يومها تأخر الوقت بهاشم ومر بجوار البئر القديم ولم يجده أحد بالقرية لمدة يومين بحثنا عنه في كل مكان حتى وجدوه فاقد

الوعـي بجـوار البئـر فـلا أحـد يعـرف مـاذا حـدث لـه؟ وأيـن كان تلـك الفـترة التـي اختفـى فيهـا؟

وبعـد أن اسـتفاق هكـذا أصبحـت حالتـه لا يـدري شـيئًا عـن الدنيا يحيـا في عـالم آخـر ولا يتكلـم

– قاطعتها المرأة قائلة:

– ولماذا لم تذهبوا به إلى الطبيب أفضل وتعرفوا ما به ؟؟

– لقـد لفينـا عـلى الأطبـاء وقالـوا أنـه ليـس بـه شيء وجسـمه سـليم وصحتـه جيـدة وحتـى السـحرة والشـيوخ ذهبنـا إليهـم ولم يسـتطع أن يفعـل أحـد شـيئًا لولـدي فتركتـه خطيبتـه وتزوجـت وهكـذا هـو عـلى تلـك الحالـة مـن سـنين ولا أعـرف مـاذا بـه فيخـرج ليـلًا ليذهـب للبئـر ويجلـس هنـاك ولا يعـود إلا صباحًـا

– ولماذا لم تحبسيه بالبيت وتمنعيه

ـــ ابتسمت بقهر وهي تقول:

– لقـد فعلـت يـا أختـي ولكنـي كنـت أجـده عائـدًا صباحًـا ولا أدري كيـف خـرج وفـك الحبـال التـي كنـت ربطتهـا بـه وهـو نائـم ؟

–ربي يشفيه ويزيح عنه، يبدو بأنك عانيت كثيرًا يا أختي ..

– عانيـت حتـى المـوت يـا أختـي ولا يعلـم أحـد بحـالي غـير الله وحـده هـو القـادر عـلى كل شيء.

– هـل أدلـك عـلى درويشـة ستشـفي ابنـك فهـي قـادرة كأبيهـا الدرويـش فلقـد صعـب عـليَّ حالـك يـا أم هاشـم

– وهل ستستطيع مساعدتي ؟؟؟

– نعم ستساعدك فهي قادرة لقد جعلت ابنتي مجيدة تستفيق من غيبوبتها التي كانت فيها لسنين

ـ هل تقولين الصدق يا أم مجيدة؟؟

– نعم يا أختي أقول الصدق فلقد صعب على الفتى وحاله وهو في ريعان الشباب .

– وأين هي ومكانها وهل ستأخذ مني الكثير من الأموال فأنا لا أملك إلا منزلي ومحل البقالة التي أعمل فيه مكان هاشم بعد أن باع أبوه الأرض لنصرفها على علاجه ومات زوجي قهرًا ولم يشفَ ابني هاشم أو يتكلم.

فليس لنا غيره فهو وحيد على ثلاث فتيات تزوجن جميعًا

– لا تقلقي لن تأخذ منك قرشًا واحدًا.

– ربي يخليك يا أم مجيدة فلقد أرسلك الله لي نجدة من السماء ...

وكان هو يستمع إلى كلامهما فلقد أبعدته أمه عنها اليوم فعاد ليتذكرها هي وذلك اليوم الذي تزوجها فيه..

كان يمر يومها بجوار البئر القديم كان الظلام شديدًا، والليلة شديدة السواد فلم يكن بالسماء نجوم أو قمر لتنير تلك العتمة ولقد اتخذ الطريق المختصر ليصل للبيت سريعًا فلقد فصل شاحنه وكان يريد أن يتحدث مع خطيبته وحبيبته ...فكان يريد الوصول سريعًا إلى المنزل ...

فسمع من يهمس باسمه ..هاشم ...التفت يمينًا ويسارًا باحثًا عن مصدر الصوت فلم يجد شيئًا.

فأكمل طريقه عائدًا ولكن ضحكة أنثوية عالية جعلته يتوقف وتتسمر قدماه بالأرض فمن هي صاحبتها يا ترى؟

أخذ عقلة يتساءل وخرج السؤال إلي لسانه فقال بصوت متوتر مبحوح :

ـ من هناك من ينادي؟؟

ـ هاشمممممممممممممم

لم يسمع إلا صوتها وهي تردد اسمه بهيام ...أخذ يسأل ولكنها لم ترد عليه ..حاول إكمال طريقه دون جدوى فصدى صوتها ظل يتردد بأذنه فجعله يتوقف فقال بتردد:

ـ من هناك ومن أنتِ...؟؟

ـ أنا قدرك يا هاشم وأنت قدري؟؟

ـ ماذا تقصدين ؟؟

ـ إنك لي ما حييت وأنا لك ...تعالَ يا هاشم أنا هنا أنتظرك.

ـ كان صوتها عذبًا وساحرًا أخذ يسير كالمنوم مغناطيسيًا لا يدري إلى أين يذهب ولا أين يقوده صوتها ولكنه كان متأكدًا أنها ستأخذه إلى الجنة ...

كان صوتها يقوده إلى البئر القديم وهنا وجد نفسه أمامه وكان صوتها يخرج من داخل البئر نظر بحيرة قائلًا:

ـ هل أنت هنا بداخل البئر ؟؟؟

ـ نعم هنا تعالَ ...

لم يتردد أو يفكر لحظة واحدة بل قفز إلى داخل البئر إلى صاحبة أعذب صوت سمعه في حياته إليها هي...

وبعدها لا يتذكر شيئًا ولا ما حدث هناك ...ولكنه كان يعلم بأنه كان بالجنة والنعيم

****

في الشقة السفلية

كان هو يجلس في عالم آخر لا يفهم ماذا يفعلون به وكانت الأم تبكي بلوعة وجلست ناردين تقرأ في كتاب أمامها بصوت عالٍ ولغة غريبة غير مفهومة للجالسين ..

وبعدها قالت للأم :

ــ لقد تزوجها ابنك يومها ولن تتركه.

ــ ماذا تقولين يا درويشه؟؟

ــ ألا تسمعين ما أقوله لك لقد تزوجها ابنك يومها بالبئر فلقد أعجابها الشاب ولن تتركه يحيا بسلام بعيدًا عنها مهما فعلت وحاولت .

ــ ومن هي تلك التي تزوجها هاشم بدون علمي؟؟

ــ إنها « سامنيجيتا» الجنية التي تعيش بالبئر ...وهي من أقوى عشائر الجن من الجن الأحمر.

وهنا صرخت الأم بلوعة قائلة:

ــ تزوج ابني جنية يا مصيبتي، إنه يحب ابنة خالته وكان سيتزوج قريبًا فماذا فعلت ليحدث لي ذلك ؟

ــ لقد أعجبها الفتى ولن تتركه مهما فعلتم فهو لها ...إما أن تأخذيه إليها وتلقيه بالبئر أو تقدمين لها الأضحية للترك ابنك وحاله فماذا تختارين ؟؟

– يـا مصيبتـي أتركـه لهـا مـاذا تقولـين؟ سـأفعل مـا تريديـن حتـى و إن ذبحـت نفـسي مـن أجـل هاشـم ولـدي الوحيـد..

– لا لـن يعجبهـا دمـك ...فالتفتـت المـرأة إلى ابنهـا ثـم إلى ناردين ثـم قالـت:

– اطلبـي مـا تشـاءين فلـن أرفـض مـن أجـل هاشـم...ومن أجـل أن يشـفى..

****

وقفـت جليلـة خـارج الغرفـة تشـعر بالفـزع والتوتـر فلقـد أوشـك الصنـدوق عـلى الامتـلاء ومـاذا بعـد أن يحقـق مـا يريـده؟؟

هـل سـيكون مصيرهـا كمصـير أخيهـا درويـش هـي لا تنسـى ذلـك اليـوم أبـدًا ولا يمحـا مـن ذاكراتهـا مهـما حاولـت .

لا تنكـر بأنهـا سـعيدة بـما حـدث لدرويـش أخيهـا فهـو يسـتحق ولكنهـا لا تتمنـى نفـس المصـير الأسـود أن تشـنق حيـة وتصفـى دمائهـا حتـى المـوت.

نعم لقد رأت ما حدث يومها وتعرف الحقيقة ..

تعـرف أن درويـش رفـض تنفيـذ مـا يريـده ورفـض أن يحـضر لـه الدمـاء فلـم يعجبـه الأمـر فقـام بقتـل أخيهـا وصفـى دمـاءه، لقـد امتـلأ الصنـدوق أمامهـا ولكنـه كان غاضبًـا فلـم تعجبـه الدمـاء فلقـد كانـت دمـاء أخيهـا قـذرة هـي تعـرف ذلـك .

وقتهـا أمرهـا أن تفعلهـا لم تسـتطع ولكنهـا كانـت مجـبرة لقـد دفنتـه ووارت جسـده كـما أمرهـا.

فـماذا كانـت سـتفعل غـير طاعتـه ولكنهـا لا تتذكـر شـيئًا بعدهـا مـاذا حـدث ومـاذا فعـل بهـا فلقـد سـقطت

فاقدة الوعي.

همست لنفسها :

ـــ ولكـن لا يهـم مـا حـدث الأهـم الآن مـا سـيحدث فماذا سـيفعل بهـا بعـد أن تنفـذ لـه ناردين مـا يريـد ومـاذا عـن نيرمين هـل سـيتركها أم سـيتخلص منهـا كـما فعـل مـع والدهـا ؟

لا تهمني ناردين فهي تستحق الحرق، ولكن نيرمين لا تستحق مـا سـيحدث لهـا أبـدًا فكيـف أحذرهـا فلابـد مـن أن تمنـع ناردين مـن إكـمال مـا بـدأت فلقـد أوشـكت عـلى الانتهـاء وإمـلاء الصنـدوق فلقـد أصبحـت مشـهورة بالمنطقـة ولقبهـا أهـل الحـارة بالدرويشـه لأنهـا تسـتطع علاجهـم ومسـاعدتهم عـلى التغلـب عـلى مـا هـم فيـه ..

فهـي تسـتطيع فـك السـحر وعـلاج المسـحور والمحسـود والمربـوط وحتـى العانـس تسـتطيع أن تجلـب لهـا عريسًـا وتفـك نحسـها والتـي تريـد الإنجـاب اسـتطاعت أن تجعلهـا تحمـل ...

فلقـد اشـتهرت بالحـارة والحـارات المجـاورة وربـما بالمنطقـة كلهـا بقدرتهـا الفائقـة والسـحرية فهـي تسـتطيع التحكـم في النـار والمـاء وحتى الـتراب والمعـدن فلـم يعـد شيء يقـف في وجههـا أبـدًا أو يعوقهـا..

لقـد أعطاهـا الكثـير مـن القـوة والسـلطة لتنفـذ مـا يريـده ..فلقـد أصبـح أهـل الحـارة يخافـون منهـا ويهابونهـا بشـدة ويخافـون مـن ذكـر اسـمها في بيوتهـم فـلا أحـد يجـرؤ أن يرفـض لهـا طلبًـا ...وهنـا قطـع حبـل أفكارهـا صوتهـا البغيـض وهـي تقـول لهـا بقسـوة:

- أعـرف فيـما تفكريـن أيتهـا الخرسـاء ولكنـي أحـذرك مـن فعلهـا و إلا كان أخـر يـوم لـك في الحيـاة هـل تفهمـين؟

لم ترد جليلة وكيف ترد وهي خرساء لا تتكلم؟

ولكنهـا شـعرت بتوتـر فلقـد تغـير صـوت نارديـن بطريقـة مخيفـة وأصبـح خشـن وكأن رجـلًا يتكلـم وليسـت هـي أبـدًا فهـل احتـل جسـدها ؟

الفصل الثالث عشر

الجن

كانت تجلس في غرفتها ممدة على الفراش تقرأ في أحد الكتب باهتمام فلم تنتبه إليها وهي تفتح باب الغرفة ببطء وتتوارى خلف ذلك المقعد الضخم ...

فلقد كان الكتاب يشغل تفكيرها هي لا تدري لماذا اشترته من ذلك البائع بالقاهرة بمحطة رمسيس ولكن جذبها العنوان فاشترته فلم يكن ثمنه غاليًا بل كان بعشرة جنيهات.

اشترته وهي تعتقد أنه ربما أفادها وقتل وقت الفراغ الذي ستلاقيه في غنيا بتلك البعثة الوقائية فلقد كان الكتاب يتحدث عن الجن وحياتهم وأنواعهم فلقد كان كلام جدتها عن عمار المنزل والجن الذين يحاربهم والدها جعلها تشعر بالفضول لمعرفة المزيد عن هذا العالم الغامض وأسراره فهل حقًا يحاربهم والدها وجدها وهل يستطيع إنسان أن يفعل أم أن الجدة كانت تخرف ولكنه الفضول وبالرغم أنها لا تحب تلك النوعية من الكتب ولكن الكتاب أغراها بعنوانه « تعرف على عالم الجن وأسراره» فكان الكتاب عبارة عن سؤال وجواب كانت كل الأسئلة التي تدور بعقلها تقريبًا عن تلك المخلوقات التي خلقها الله من السنة النبوية والقرآن الكريم

ففتحت الكتاب وهي ممدة على الفراش وأخذت تقرأ بفضول فقرأت السؤال الأول :

ــ من الجن وما أصنافهم ؟

« هي مخلوقات خارقة للطبيعة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وفهم وقدرة على الأعمال الشاقة «

وهنا تغير كل شيء من حولها مرة واحدة عندما انتهت من السؤال الأول وأول ثلاثة أسطر من الكتاب وشعرت بالبرودة الشديدة تسري بأوصالها شعرت بالاختناق وكان هناك من يجسم على أنفاسها فيحاول قتلها وهبت رياح مكتومة معبئة برائحة نفاذة كرائحة النشادر.

وهنا وضعت يدها على أنفها وحاولت أن تمنع عطسة قوية ولكنها لم تستطع فخرجت منها مصدرة صوتًا قويًا عاليًا وأغمضت عينيها وحاولت الاستنشاق بهدوء ولكن العطسات أخذت في التوالي واحدة تلو الأخرى بدون توقف وبعد الانتهاء وضعت الكتاب على بطنها واستلقت على الفراش وأغمضت عينيها دقيقة وهنا شعرت بمن يجذبها من أقدامها بقوة وتلك الخربشة الخفيفة التي تسمعها، أ تأتي من أسفل الفراش أم من داخله؟ هبت مفزوعة وهي تنظر إلى فراشها بتوتر وهنا لم تجد شيئًا فاقتربت ببطء شديد من الفراش ورفعت الغطاء لمحاولة رؤية من أسفله وهنا شاهدت تلك العيون الحمراء تنظر لها بتحفز وفي تلك اللحظة أطلقت الفتاة صرخة عالية وسقطت فاقدة الوعي ..

استيقظت على صوته الهادئ الوقور وهو يقول برصانة :

ــ هيا يا نيرمين افتحي عينيك فأنت بأمان الآن يا ابنتي فلا

تخـافي شـيئًا إلا الله الواحـد القهـار خالـق الإنـس والجـان وكل شيء يحـدث بالكـون بأمـره وعظمتـه وحـده لا إلـه إلا هـو سـبحانه رب العـرش ورب الأرض وخالقهـا ورب كل شيء بالكـون.

فتحـت عينيهـا لتجـده هـو أمامهـا بوجهـه المنـير ولحيتـه الطويلـة البيضـاء وكان يبتسـم لها ففتحـت فمهـا لتتكلـم ولكنهـا التفتـت حولها يمينًـا ويسـارًا فوجدتهـم يحيطـون بهـا مـن كل جانـب بعيونهـم الحمـراء الدمويـة ووجوههـم السـوداء الغريبـة المسـتطيلة طوليًـا وآذانهـم الطويلة وتلـك القـرون الطويلـة المنحنيـة كالقـوس عـلى رؤوسـهم شـعرت بالتوتـر والفـزع حاولـت الـصراخ ثـم الفـرار مـن هـذا المكان الغريـب مـن حولها ولكنـه وضـع يـده عـلى فمهـا ليمنعهـا مـن الـصراخ مهدئًـا :

ـــ اهدئـي لـن يـؤذوك مادمـت لم تـؤذي أحـدًا منهـم وتتدخـلي في شـئونهم يـا ابنتـي اهدئـي واسـتعيني بـالله عـلى القضـاء عليهـم فهـم يعيشـون حولنـا ولا يضرونـا ولا نضرهـم في شيء.

ـــ قالـت بتوتـر ومـن بـين دموعهـا ولمـاذا أتدخـل في أمورهـم أيهـا الشـيخ ومـالي أنـا ومالهـم هـم وعالمهـم فلهـم عالمهـم ولي عالمـي ولكنهـم يضايقـوني و أراهـم باسـتمرار في أحلامـي فأشـعر بالخـوف ولا أدري مـاذا يريـدون منـي ؟؟

ـ ابتسم الشيخ بغضب :

ـــ إن كان كلامـك صحيحًـا فلـما تقرأيـن في ذلـك الكتـاب عنهـم وتتدخلـين فيـما لا يعنيـك يـا فتـاة ؟؟

ـــ قالـت بتوتـر لا أيهـا الشـيخ ولكنـي أريـد أن أعـرف عنهـم كل شيء فهـل هـم حقيقـة أم وهـم؟ وهـل حقًّـا موجـودون حولنـا أم أنهـم مجـرد أوهـام في رؤوسـنا ؟

رد بصوت قوي فشعرت بأن المكان من حولها يهتز بقوة قائلًا:

- إن الجن ليسوا وهمًا يا فتاة فهم مخلوقات خلقها الله، مخلوقات خارقة للطبيعة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة وعديدة لها عقول وفهم وقدرة على الأعمال الشاقة التي لا يستطيع الإنسي عملها لضعفه وهم خلاف الإنس فالواحد يقال له «جني» وسميت بذلك لأنها تتخفى ولا ترى..وهذا رحمة من الله بنا لمناظرهم وهيئتهم المرعبة نظرت له بعيون واسعة متوترة وهي تسمع ما يقول فأكمل هو وهو ينظر إلى عيونها البنية الواسعة المذعورة :

ـــ والجن ثلاث أصناف يا ابنتي فمنهم من لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف آخر حيات، وصنف ثالث يحلون ويظعنون كما أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس يا فتاة لابد أن تعرفي ذلك جيدًا فهم كيانات ومخلوقات ستحاسب كما سيحاسب البشر يوم القيامة.

نظرت له نيرمين بتعجب شديد وهزت رأسها بقوة وهي تقول :

- وهل لتلك المخلوقات قوة خارقة حقًّا ويستطيعون فعل أي شيء أيها الشيخ الجليل ؟؟

ابتسم الشيخ قائلًا بصوت قوي :

- يعتقد الناس أن للجن قوى خارقة يا نيرمين و أن الجن باستطاعتها رؤية الناس وإلحاق الأذى بهم، وأن أجسام الجن غير مادية وقادرة على التشكل بالشكل الذي تريده والعالم الذي نراه ونعيشه فيه ونحيا فيه الغريب والعجيب فكيف بالعالم الخفي عن

العيـون يـا فتـاة والـذي لا يسـتطيعون رؤيتـه فلابـد أن تكـن هنـاك الكثـير مـن القصـص المرعبـة التـي تختلقهـا العقـول لتفسـير أي شيء غريـب ويقولـون إنـه مـن عمـل الجـن .

نظـرت لـه بتوتـر فكلامـه غريـب فهـل الجـن وهـمٌ و تخيـل في عقـول البـشر؟ وهنـا نظـرت إليهـم وكانـوا يحومـون ويطوفـون مـن حولهـا فـإن كانـوا وهمًـا فمـن هـؤلاء؟ وكيـف تراهـم ويثـيرون الفـزع في نفسـها؟ فقالـت بخـوف:

– ولكـن هـل يسـتطع الجـن أذيـة الإنسـان أيهـا الشـيخ؟ قـل لي مـن فضلـك هـل هـم مـن اخـذوا أبي إلي عالمهـم ؟؟

– اسـتمعي لي يـا نيرمـين جيـدًا وافهمـي كلامـي، إن الإنسـان عرضـة للأخطـار والأمـراض الكثـيرة والغريبـة التـي ليـس لهـا عـلاج مثـل الأمـراض النفسـية وأمـراض الـصرع الغريبـة التـي تصيـب بعـض النـاس و كلهـا مـن فعـل عـالم الجـن والشـياطين فبعـد النـاس عـن طاعـة ربهـم ومـا أمرهـم بـه جعـل الجـن يؤثـرون فيهـم ويجعلونهـم يعيشـون في الوهـم

– أنـا لا افهـم مـا تقـول أيهـا الشـيخ فكلامـك معنـاه بـأن الجـن لا يسـتطيعون إذاء الإنسـان إن كان يعبـد الله ويتقـرب منـه بالصـلاة والعبـادة. فهـل الأرواح والشـياطين هـى التـي تـؤذي الإنسـان وتجعلـه يفعـل مـا لا يريـد ؟

– الشـياطين عـالم آخـر ومختلـف تمامًـا عـن عـالم الجـن. فالشـياطين هـي الأرواح المحتجبـة عـن عيـون البـشر وهـو عـالم مختلـف عـن الجـن يـا فتـاة

نظرت لـه بفـزع وهـي تسـأله بتوتـر وهـل هنـاك فـرق بـين الجـن والشـيطان أيهـا الشـيخ كنـت اعتقـد بأنهـم شـيئًا واحـدا!

ـــ لا لا يـا نيرمـين يـا ابنتـي فالجـن ليسـت شـياطين لكـن الشـياطين فئـة خاصـة مـن الجـن تعـصي الله وتوسـوس للنـاس لفعـل المعـاصي والذنـوب فهـم قـوم مكلفـون مثـل البـشر تمامًـا ومتشـابهون يـا نيرمـين.

ـــ رددت نيرمـين متشـابهون ومـا هـو التشـابه بـين الجـن والإنـس أيهـا الشـيخ ؟؟

- ابتسـم الشـيخ لـذكاء الفتـاة قائـلًا الجـن خلـق آخـر غـير الإنـس يـا نيرمـين وغـير الملائكـة والأرواح و الشـياطين وبـين الجـن والإنـس قـدر مشـترك مـن حيـث الاتصـاف بصفـة العقـل والإرادة ومـن حيـث القـدرة عـلى اختيـار طريـق الـشر والخـير، ومـن حيـث التكليـف بالعبـادة والعقـاب مـن الله يـوم الحسـاب

ـــ وهنـا تذكـرت كلام جدتهـا عـن أبيهـا ومهنتـه الغريبـة التـي توارثهـا كـما قالـت مـن دراويـش العائلـة فقالـت قـل لي أيهـا الشـيخ وهـل يسـتطع البـشر رؤيـة الجـن وتسـخيرهم حقًّـا لفعـل مـا يريـدون؟

ـــ ابتسـم قائـلًا: إن كثـير مـن البـشر ممـن يراهـم ويسـمعهم لا يعلمـون أنهـم جـن في الأسـاس بـل يزعمـون أنهـم رجـال آخـرون مـن عـوالم مختلفـة أو أماكـن بعيـدة وربـما اتخـذوا هيئـة حيوانـات كالقطـط والـكلاب السـوداء والحـشرات وعـدم رؤيتهـم ليـس غريبًـا فـلا يـرى الإنسـان كل شيء بالكـون مـن حولـه، فعينـاه لـن تتحمـل رؤيتهـم فربـما أصابـه العمـى إن رأهـم مـن يـدري فلـن يتحمـل؟

ـــ ولكـن قـل لي ممـا خُلِـق الجـن؟ و أيـن منشـأهم؟ أنـا لا أعـرف، فهـل لهـم مـكان أصـلي نشـئوا فيـه أيهـا الشـيخ أخـبرني بـالله عليـك ؟؟

ـــ لا أدري يـا نيرمـين ولكـن يقـال إن الله خلـق الجـن مـن النـار وأول الجـان هـو أبوهـم سـوميا « الـذي دعـا للجـن أن يكونـوا مرئيـين في الأرض وأسـكنهم الله الأرض قبـل خلـق آدم وحينـما أسـكنهم الله الأرض أفسـدوا فيهـا وسـفكوا دمـاء بعضهـم فأرسـل الله لهـم الملائكـة، وقـضى عليهـم، وأخـذوا معهـم إبليـس إلى السـماوات العـلا فصـار مثـل الملائكـة يعبـد الله ويطيـع أوامـره ويبتعـد عـن نواهيـه، ولكـن بقـى عـلى الأرض قسـمًا مـن الجـن، هربـوا إلى المغـارات وأعـالي الجبـال و في أسـفل البحـار والمحيطـات واتخـذوا بعـض المواقـع التـي يتكاثـرون فيهـا ويعيشـون، ولمـا هبـط الإنسـان عـلى الأرض تطـور وصنـع الغواصـات والطائـرات والسـفن، وجـاب الأرض وانتقـل مـن مشـارقها إلى مغاربهـا، وبـدأ يشـكل خطـرًا عـلى وجـود الجـن لمـا انتقـل إلى مواقعهـم، فأهابـوه وأفزعـوه وتسـببوا في مرضـه بأمـراض غريبـة لم يسـمع أحـد مـن قبـل عنهـا و أصـل خلقهـم مـن النـار ..لقـد خلقـوا مـن النـار ولهـم أنـواع عديـدة.

ـــ هـل معنـى كلامـك أنهـم سـبب تلـك الأمـراض الكثـيرة التـي انتـشرت في عالمنـا وليـس لهـا عـلاج أيهـا الشـيخ؟

ـــ الله ورسـوله أعلـم يـا فتـاة فلـكل شيء حكمـه وسـببه بالكـون ولا يعرفـه إلا خالـق الكـون .

ـــ وهل لهم أنواع؟ وما أنواعهم؟ فهل هي مفزعة أيها الشيخ؟

ـــ أنواعهـم كثـيرة يـا فتـاة فمنهـم الجـن ومفردهـا جني....عامـر وجمعهـا عمّار....شـيطان وجمعهـا شـياطين....مارد وجمعهـا مـردة... عفريـت والجمـع عفاريـت والقريـن.

ـــ ولكـن هـل يأكلـون ويشربـون أيهـا الشـيخ مثلنـا نحـن البـشر؟

و إن كانـوا يأكلـون، فهـل طعامهـم نحـن هـل يأكلـون البـشر ليعيشـوا كـما أراهـم في التلفـاز ؟

ضحـك الشـيخ كثـيرا واهتـز كل شيء بعنـف مـن أثـر ضحكتـه وقـال لهـا :

ـــ ليـس كل مـا ترينـه عـلى شاشـة التلفـاز حقيقـة يـا فتـاة إنهـم يبالغـون، فكيـف سـيأكل الجنـي البـشر يـأكل الجـن الـروث والعظـام كـما أن في جلسـات تحضـير الجـن يكـون البخـور الغـذاء الأسـاسي وأنـواع معينـة مـن البخـور يتغـذى عليهـا الجـن .

ـــ وهـل يسـتطيعون التـزاوج مـن البـشر أيهـا الشـيخ الجليـل وإنجـاب ذريـة وأطفـال ؟

ـــ للأسـف يسـتطيعون يـا نيرمـين حفظـك الله فـإن بعـض الجـن يتصـور للإنـسي في صـورة امـرأة ثـم يجامعهـا الإنـسي، وكـذا يتصـور الجني بصـورة رجـل ويجامـع المـرأة مـن الإنـس كجـماع الرجل للمـرأة.

نظـرت لـه نيرمـين بفـزع شـديد، فـما قالـه لهـا الرجـل كان غريبًـا ولم تسـمع بـه مـن قبـل، فهـل كل هـذا الـكلام حقيقـة أم وهـم وخـداع؟ لا تـدري أخـذت تنظـر للرجـل بعيـون مذعـورة خائفـة وهـي تفكـر، فـماذا إن كان هـذا الشـيخ واحـدًا منهـم وجنـي مـن عـمار المنـزل كـما أخبرتهـا جدتهـا، ومـاذا إن كان محمـود خطيبهـا جنـي ومتخـذ هيئـة البـشر؟ فكيـف تعـرف الحقيقـة؟ وهنـا شـعرت بالتوتـر وهـي تفكـر بالأمـر فحاولـت الفـرار والركـض مـن مكانهـا ومـن أمـام هـذا الشـيخ أو الجنـي لا يهـم الآن المهـم أن تهـرب مـن أمامـه فهـي خائفـة بشـدة وهنـا شـعرت أنهـا تهـوى في تلـك الحفـرة العميقـة وشـعرت باصطدامهـا بـالأرض وشـعرت بـالآم الشـديد في ظهرهـا وهنـا فتحـت عينيهـا

بقـوة فوجـدت نفسـها عـلى الأرض بجـوار الفـراش وفي حجرتهـا بالفنـدق فيبـدو أنهـا كانـت تحلـم فسـقطت عـلى الأرض مـن فـوق السريـر، وكان مـازال الكتـاب بـين يديهـا، ولكنـه عـلى آخـر صفحـة مـن الكتـاب فنظـرت بتعجـب ونهضـت مـن عـلى الأرض لتجلـس عـلى الفـراش وتقـرأ آخـر صفحـة بالكتـاب التـي لا تـدري كيـف وصلـت لهـا فربـما بسـبب وقوعهـا وسـقوطها عـلى الأرض هـم السـبب فغـيرت صفحـة الكتـاب وقـرأت بتمعـن :

وفي نهايـة الكتـاب تعلمنـا الكثـير عـن عـالم الجـن الغامـض وأسرارهـم فهـم مخلوقـات مثلنـا ولهـم حياتهـم الخاصـة كـما لنـا حياتنـا الخاصـة، فـلا تتدخلـوا في عالمهـم حتـى لا يتدخلـوا في عالمكـم، واتركوهـم يعيشـون ويعبـدون الله فمنهـم العابـد التقـي ومنهـم الكافـر المشرك، فـما لنـا نحـن ومالهـم، ولمـا نحـاول التطفـل عليهـم وإجبارهـم عـلى فعـل مـا لا يريـدون، ونسـخرهم ببعـض الكلـمات، فلنتركهـم ليتركونـا ولا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تنـدم ...

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا ولا أنـت لا تفهـم معنهـا»

أغلقـت نيرمـين الكتـاب وكانـت تشـعر بالتوتـر وصدرهـا يعلـو ويهبـط بفـزع فلقـد عرفـت الكثـير عـن ذلـك العـالم الغامـض مـن الشـيخ، ولكـن مـا معنـى تلـك الجملـة الأخـيرة؟ لقـد قرأتهـا مـن قبـل عـلى بـاب مدخـل منـزل والدهـا بشـبرا.

فماذا تعني تلك الجملة يا ترى ؟

وهنـا سـمعت ذلـك الـصراخ المريـع مـن خلفهـا وعـم الظـلام الغرفـة، فهـل تقطـع الكهربـاء في غينيـا أيضًـا كـما ببلدهـا مـصر ؟

وهنا لم تستطع المقاومة فأطلقت صرخة عالية وبعدها سقطت فاقدة الوعي..وهنا ظهر ذلك الظل الأسود يجري مسرعًا من أمامها وظهرت تلك الظلال الثلاثة تتسحب من خلف الفتاة لتقف فوق رأسها وهي تصدر أصواتًا غريبة وهمهمات عالية ؟

ونحمد الله أن الفتاة فاقدة الوعي ولم ترَ شيئًا مما يحدث فوق رأسها.

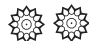

الفصل الرابع عشر
الغرفة المظلمة وشبح المصعد

– اللعنة على تلك الغرفة المظلمة مغلقة الباب دائمًا، هل أخبرتك عنها من قبل ؟ فربما كانت رؤيتهم يومها هي سبب ما أنا فيه ؟ قل لي لماذا يحدث لي ذلك؟ ألانني دخلت الغرفة يومها... أخبرني أيها الطبيب..

نظر لها طويلًا ثم عدل من وضع منظاره الطبي على عينيه وقال بهدوء:

– اهدئي يا منال و أخبريني عن تلك الغرفة المظلمة ماذا وجدت بداخلها؟

صرخت بهستريا في وجهه:

– الغرفة المظلمة ومن أخبرك عنها؟ قل لي من غيرك عرف أنني دخلتها وكيف عرفت أيها الوغد بالأمر

–اهدئي يا منال و اشربي كوب الماء فلم يخبرني أحد بالأمر ولكني أخمن أنه ربما دخلت تلك الغرفة هناك..

– أي غرفة أيها الطبيب أنا لا أعرف عما تتحدث؟

– الغرفة المظلمة ..

– وهنا صرخت بهستريا من جديد وقذفته بكوب الماء بين يديها في وجهه وهي تردد :

– هل تقول الغرفة المظلمة فمن أخبرك بالأمر أخبرني فلم يكن أحد هناك بالغرفة سوى أنا وهم .

هز رأسه بحيرة قائلًا:

– لقد أخبروني هم عن الأمر يا منال اهدئي

– هم ؟!

– نعم هم من كانوا بالغرفة يومها ؟ هيا لا تخافي شيئًا و أخبريني ماذا حدث يومها؟؟

– رددت بحيرة هل رأيتهم أنت الأخر ..؟؟

– نعم رأيتهم اهدئي و أخبريني القصة من البداية..ولا تخافي شيئًا فهم يعرفون أنني أعرف ...كان الطبيب يحاول أن يستدرجها لتتكلم ويفهم سبب حالة الخوف الشديدة التي تعانيها ومحاولتها للانتحار ثلاث مرات .

نظرت إليه بفزع ولم تتكلم نظر إليها بحيرة قائلًا يحثها على الحديث:

ـــ هيا يا منال أكملي ماذا رأيت هناك يومها..بالغرفة المظلمة؟

صرخت من جديد بهستريا :

ـــ هل تقول الغرفة المظلمة أيها الغبي ثانية، فمن أخبرك بالأمر أخبرني؟ وقذفته بما أمامها على المكتب في رأسه وهي تصرخ قل من أخبرك عنها؟

تنهد الطبيب بضيق وهو يمسك رأسه بألم :

-اهدئي يامنال لم أقصد صدقيني، ولكن ماذا حدث يومها ماذا حدث هناك ...بتلك الغرفة....

نظرت إلى الفراغ خلفه قائلة:

- لقد التحقت بالعمل بتلك الشركة، وكنت أعمل بقسم الحسابات، وكانت تلك الغرفة تواجه غرفة المكتب الذي أعمل فيه، كانت دائمًا مظلمة كئيبة مغلقة ..كنت أشعر بالاختناق ورائحة كريهة كلما مررت بجوار تلك الغرفة التي لم يدخلها أحد قط منذ أن عملت بالشركة لمدة ثلاثة أشهر..وعندما سألت زميلي بالعمل عن تلك الحجرة أخبرني أنها مخزن مهجور يضعون فيه الأشياء التي لا يريدونها بالشركة من أوراق و مقاعد و مكاتب كل ما هو تالف بالشركة يضعونه بتلك الغرفة ..وفي ذلك اليوم المشئوم كان هناك عمل كثير وأوراق كثيرة لابد من مراجعتها فتأخرت عن موعدي ورحل كل موظفي الشركة في ميعادهم المعتاد إلا أنا وعامل البوفيه ورجل الأمن بالخارج وهنا سمعت من يهمس باسمي فالتفت أبحث عن الذي ينادي، ولكني لم أجد أحدًا وهنا شاهدت باب الغرفة يفتح أمامي ببطء لم أصدق عيني تركت ما في يدي وذهبت إلى الغرفة لأرى ما بداخلها بفضول، فهل يضعون حقًّا بداخلها الأشياء القديمة؟ وقبل أن أخطو إلى داخل الغرفة ظهر عامل البوفيه العجوز وأغلق الباب في وجهي قائلًا :

-إياك أن تفتحي الباب ثانية ..

وبعدها صمتت لخمس دقائق وهي تنظر إلى عيون الطبيب وهنا قال الطبيب :

-هيا يا منال ماذا حدث؟ هل دخلت الغرفة المظلمة؟

وهنا صرخت من جديد بهستريا ولم تجد أمامها شيئًا تقذفه به إلا المقعد الذي تجلس عليه وهي تصرخ بغضب:

ـــ هل تقول الغرفة المظلمة؟ ومن أخبرك بالأمر؟ كنت أعرف أنهم لن يتركوني.

وجد الطبيب نفسه ملقى على الأرض وفوقه ذلك المقعد الثقيل وكانت منال تصرخ بهستريا :

ـــ قل لي من أخبرك بالأمر الآن أيها الرجل وإلا قتلتك ..حاول أن يتكلم ويجعلها تهدأ فلم يستطع فلقد كانت رأسه تنزف بغزارة ويشعر بالدوار فلقد ضربته تلك الفتاة الغبية بكل قوتها وقذفته بالمقعد في وجهه وشعر أنه سيفقد الوعي في أي لحظة فأمسك ذلك الزر وضغط عليه ليستدعي الممرضة بالخارج وكان هذا آخر شيء يتذكره ..

دخلت الممرضة فوجدت الطبيب فاقد الوعي وينزف بغزارة وتقف منال في ركن الحجرة تبكي بهستريا ..

صرخت الممرضة في وجهها وهي تقترب من الطبيب:

- ماذا فعلت أيتها المجنونة ..صرخت منال وهي ترتعد :

-لم أفعل له شيئًا ..هم من فعلوا

رددت الممرضة بغيظ :

- هم وبعدها استدعت عامل النظافة وحارس العيادة واتصلت بالإسعاف والشرطة وتم نقل الطبيب إلى أقرب مستشفى وذهبت منال إلى قسم الشرطة...وبعدها تم تحويلها إلى مستشفى العباسية لعلاج الأمراض العصبية والنفسية..

أخـذ الأب يبكـي بحرقـة أمـام الدرويشـة ناردين فلقـد أطلـق عليهـا أهـل الحـارة اسـم الدرويشـة ..

وهـو يقـص قصـة ابنتـه الغريبـة التـي لا أحـد يعـرف مـاذا رأت بداخـل الغرفـة ولمـاذا حـدث لهـا ذلـك وتلـك الحالـة المفزعـة التـي وصلـت لهـا فقـال مـن بـين دموعـه :

– أرجـوك سـاعدي ابنتـي أيتهـا الدرويشـة لقـد دلنـي النـاس عليـك و أخـبروني عـن قدراتـك الخارقـة فـماذا أفعـل فهـي ابنتـي الوحيـدة وليـس لي غيرهـا بالحيـاة .

نظرت له ناردين طويلًا ثم قالت :

– أعطني شيئًا من ثياب الفتاة .

ناولهـا الرجـل قطعـة ملابـس ابنتـه وأخـذت هـي تقربهـا مـن فمهـا وتتلـو بعـض الكلـمات الغريبـة ويعلـو صوتهـا ويهبـط بلغـة غريبـة لم يفهمهـا الرجـل الجالـس أمامهـا وبعدهـا ابيضـت عينيهـا تمامًـا فلـم يبقـى بهـا أي لـون أخـر غـير البيـاض، وشـهق الرجـل فزعًـا وهـو يشـاهد هـذا المنظـر الغريـب أمامـه فأغمـض عينيـه و أخـذ يـردد مـا يحفظـه مـن آيـات الذكـر الحكيـم والقـرآن الكريـم في سره ..وهنـا شـعر بذلـك القلـم القـوي الـذي هبـط عـلى وجهـه بقـوة ليجعلـه يـصرخ بـألم ويفتـح عينيـه ليجـد ناردين تقـف أمامـه بغضـب وعيونهـا حمـراء دمويـة لا يـدري كيـف تغـيرت هكـذا وهـي تقـول يغضـب شـديد :

– اخـرس ولا تـردد مـا تـردد حتـى لـو في سرك هنـا ..نظـر لهـا الرجـل بفـزع وغضـب وهـو لا يفهـم فهـو لم يفعـل شـيئًا، فلـماذا فعلـت ذلـك ولكنـه لم يتكلـم مـن أجـل منـال ابنتـه الوحيـدة، فقالـت ناردين بصـوت قـوي:

– لقد رأتهم ابنتك يومها ولقد حزروها من إخبار أحد عن الأمر.

ردد الرجل ببلاهة :

ـــ رأتهم ومن هم أنا لا أفهم شيئًا يا درويشة؟؟

ـــ رأت الشياطين في تلك الغرفة ...كانوا كثيرين ويمارسون حياتهم، ولكنها تدخلت في الأمر وقاطعتهم بدخولها وتدخلها، فكان لا ينبغي عليها الدخول وسماع نصيحة الرجل العجوز فهو خادمهم، ولكنها غبية وتصرفت بغباء وذهبت إلى عالمهم وضايقتهم

ـــ وماذا سأفعل؟ ولماذا تدخل منال الغرفة وترى الشياطين ؟

ـــ لأنها فتاة حمقاء وفضولية فتلك الغرفة التي دخلتها كانت بوابة دخول لعالمهم الغامض، وكان العجوز يعرف فمنع أى أحد من دخولها، ولكن ابنتك استغلت انشغال الرجل وعبرت إلى الجحيم بإرادتها، فعاقبوها إن تكلمت ولم تستطع الفتاة تحمل ما رأت هناك ففقدت عقلها

ـــ وماذا سأفعل؟ وكيف يعود لابنتي عقلها؟

نظرت له طويلًا ثم قالت :

ـــ هل تريد أن تعيش ابنتك وتخرج من تلك المستشفى وتصبح فتاة عادية ويعود لها عقلها فلن يتركوها لأنها تعرف الكثير سيظلون يراقبونها ويمنعونها من الكلام ويخيفونها إلى أن تموت أو يأخذونها معهم إلى عالمهم.

صرخ الأب بفزع ولوعة قائلًا :

– لا ابنتي لن يأخذها أحد مني ساعديني أرجوك وسأفعل أي شيء من أجل أن تعود نظرت له مرددة:

ـــ هـل سـتفعل أي شيء لإنقـاذ ابنتـك يـا رجـل وتنفـذ كلامـي مهما كان غريبًـا ولكنـه السـبيل الوحيـد لإنقـاذ الفتاة؟

ـــ نعـم اطلبـي منـى أي شيء وسـأفعله حتـى لـو ذبحـت نفـسي في سـبيل ابنتـي منـال ..

وهنا نظرت له قائلة :

ـــ لا لـن تذبـح نفسـك ولـن تذبـح أحـدًا بـل أريـد منـك شـيئًا أخر احـضره لي وسأسـاعد ابنتـك ونخلصهـا ممـا هـي فيـه فلـن يتركوهـا بسـهوله لمعرفتهـا بأمرهـم ...

ـــ اطلبـي أيتهـا الدرويشـة سـأفعل أي شيء مـن أجـل منـال ابنتي.. نظـرت لـه ناردين طويـلًا وابتسـمت بسـخرية فلقـد اقتربـت عـلى مـلء الصنـدوق وتحقـق مـا تريـد .

****

- مـاذا هنـاك يـا نيرمـين لمـاذا أنـتِ خائفـة مذعـورة يـا ابنتـي هكـذا فلقـد عرفـت مـا كنـت تريديـن معرفتـه يـا حبيبتـي فـلا تخـافي شـيئًا أبـدًا بالحيـاة.؟؟

أخـذت تلتفـت حولهـا باحثـة عـن مصـدر الصـوت ولكنهـا لم تجـد أحـدًا وكان المـكان مـن حولهـا مظلـمًا لا تـرى فيـه شـيئًا، ولكـن الصـوت ظـل يـتردد حولهـا مـن العـدم كانـت تعـرف هـذا الصـوت جيـدًا وتحفظـه عـن ظهـر قلـب وكيـف تنـس صـوت أمهـا التـي كانـت تحبهـا بشـدة صرخـت نيرمـين مـن بـين دموعهـا بحـسرة :

ـــ أمي أين أنت ؟؟

ـــ أنـا هنـا يـا نيرمـين بجانـب يـا حبيبتـي لا تخـافي شـيئًا أبـدًا أعلـم أنـك تخافـين الظـلام منـذ كنـت صغـيرة ...

ـــ ولكـن لمـاذا رحلـت وتركتنـي؟ ولمـاذا فعلـت بنـا ذلـك؟ أنـا تائهـة يـا أمـي لا أعـرف مـاذا أفعـل؟ ونارديـن أختـي تغـيرت كثـيرًا.

ـــ أرجـوك نيرمـين سـاعدي أختـك وحـرري روحها يـا ابنتـي فهي تحتاجـكِ الآن أكثـر مـن أي وقـت مـضى فـلا تتركيهـا فأنـا أعـرف أننـي السـبب أنـا مـن سـمحت للـشر بالعبـور لعالمكـم الصغـير سـامحيني أرجـوك ولكنـه خدعنـي.

ـــ سـمحتِ للـشر بالعبـور لعالمنـا أنـا لا أفهـم شـيئًا يـا أمـي مـاذا تقصديـن؟ أخـذت تـصرخ وهـي تنـادي عـلى أمهـا وسـط ذلـك الظـلام الكثيـف وشـعرت أن الأرض تهتـز تحـت أقدامهـا فحاولـت التشـبث بـشيء ليمنعهـا مـن السـقوط وحاولـت ومـدت ذراعهـا عاليًـا...

****

جلسـت ناردیـن بالشـقة السـفلية وهـي تنظـر أمامهـا باهتـمام وتسـتمع لهـم فقالـت الأولى بتوتـر :

- لكـم أكـره تلـك السـيدة و أكـره الدقائـق التـي تجمعنـا سـويًا بالمصعـد لا أدري لمـاذا ؟؟

فأنـا أكـره نظراتهـا الثابتـة إلى جـدار المصعـد مـن خلفي..وكأنهـا تـرى شـيئًا خلفـي لا أسـتطع رؤيتـه .. فأشـعر بالاختنـاق كلـما تقابلنـا بالمصعـد ونظرتهـا الثابتـة لا تتغـير وتمـر الدقائـق طويلـة بطيئـة وكأنهـا لـن تنتهـي ..

أحـاول ألا أركـز معهـا وأتجاهلهـا قـدر اسـتطاعتي، يـا إلهـي لا أدري لمـاذا تطـول الدقائـق معهـا بتلـك الطريقـة البشـعة.

واليـوم حمـدت الله فلقـد لمحتهـا تسـتقل المصعـد قبـلي وتغلـق البـاب يـا إلهـي أخـيرًا سـأصعد بأمـان بمفـردي وضغطـت زر المصعـد بسـعادة

و ارتسمت ابتسامة الارتياح على وجهي عندما عاد لي وفتحت الباب لأجدها أمامي مازالت بداخله لم تغادره ولكن لماذا؟

تسمرت قدامي ووقفت أنظر لها بذهول، فلم تتكلم بل خرجت من المصعد والتقطت حقيبة سوداء أمام بابه يبدو أنها نسيتها هناك ؟ نظرت لي مشيرة بيديها أن أدخل لم أتردد كثيرًا قررت أن أسألها لماذا تنظر لي بتلك الطريقة الغريبة ؟

لم ترد علي بل أعطتني تلك المرآة الكبيرة لأرى إلى ماذا تنظر ؟

لقد كانت تنظر إلى صورتي أنا والدماء تغرق وجهي المشوه وثيابي الممزقة وكأن الصورة معلقة على جدار المصعد من خلفي، ما هذا الهراء ولما يعلقون صورتي المشوهة هذه بالمصعد اللعين لا أفهم شيئًا..؟؟

وهنا شاهدت ناردين الأخرى ترد عليها برجاء متوسلة فقالت :

– بالله عليك ارحلي واتركي المصعد فلقد تعب السكان من صعود الدرج فلقد رحلت منذ سنوات يوم سقط بك المصعد يومها لم تكن الغلطة غلطة أحد ...فارحلي بسلام ...

– صرخت الأخرى بفزع :

– ماذا تقولين أيتها المجنونة؟ فأنا هنا لم أرحل ماذا تقولين؟ ولماذا تضعون صورتي المشوهة بالمصعد، أنا سأريكم ماذا سأفعل بكم أيها الأوغاد لتحترموني وتعاملونني باحترام؟ فمنذ وفاة زوجي وأنتم لا تحترمونني وتعملونني بطريقة بشعة وتخافون على أزواجكم مني وتريدونني أن أرحل من البناية ولكني سأريكم من أكون الآن.

– أخـذت المـرأة تتوسـل لهـا أنهـم لم يقصـدوا شـيئًا وتدعوهـا أن ترحـل بسـلام ولكنهـا كانـت تـصرخ بغضـب ولم تسـتمع إليهـا....

عدلـت ناردين مـن جلسـتها أمـام تلـك الطاولـة المنخفضـة عليهـا تلـك الكـرة الكبـيرة الشـفافة التـي تـرى فيـه مـا يحـدث بالمصعـد وتلـك السـيدتان تتحدثـان وتبكـي الأخـيرة بحرقـة متوسـلة للأخـرى إن تـترك المصعـد ..

كانـت الكـرة كبـيرة تشـبه كـرة القـدم ولكنهـا شـفافة وكأنهـا فقاعـة كبـيرة مصنوعـة مـن المـاء وكانـوا هـم يجلسـون حولهـا ينظـرون بتعجـب إلى تلـك الكـرة أمامهـا لم يكونـوا يـرون شـيئًا بالكـرة كـما كانـت ناردين تـرى وتشـاهد وكأنـه فيلـم سـينمائي تشـاهده عـلى شاشـة العـرض أمامهـا وتـوارت جليلـة في تلـك البقعـة والزاويـة البعيـدة بالغرفـة تنظـر إلى تلـك الفقاعـة الكبـيرة مـن المـاء وهـي تهـز رأسـها بغضـب وتهمـس لنفسـها :

– لقـد أوشـكت عـلى فعـل مـا يريـده فلقـد أعطاهـا القـوة لتتحكـم حتـى بالمـاء ويسـاعدها عـلى تحقيـق مـا تريـد فهمسـت بحـسرة أيـن أنـت يـا نيرمـين يـا بنيتـي لتمنعـي تلـك اللعينـة مـن الاسـتمرار؟ فلقـد زاد صيتهـا وازداد النـاس إيمانًـا بقدراتهـا الخارقـة وينفـذون لهـا مـا تريـد بـدون تـردد وهنـا سـمعت ناردين تقـول بصـوت قـوي عميـق :

إنهـا لم تكـن تعـرف أنها ماتـت بالمصعـد يومهـا وظلت روحهـا عالقة ولكنكـم بغبـاء أخبرتموهـا بالأمـر فصدمتموهـا فهـي كانـت شـابة جميلـة وتريـد الحيـاة والعيـش مثـل أي فتـاة و أنتـم كنتـم تعملونهـا بقسـوة بعـد مـوت زوجهـا في تلـك الحادثـة فلـم تدعوهـا وشـأنها وكنتـم تريـدون رحيلهـا مـن البنايـة كانـت المسـكينة تحيـا بالمصعـد لا تعـرف شـيئًا

وتخاف منكم لأنكم تنظرون لها بطريقة غريبة وكانت بدأت تمل معاملتكم القاسية لها وكانت سترحل قريبًا من تلقاء نفسها وهي لا تعرف شيئًا ولكنكم اخبرتموها بخبر موتها فصدمتموها فحقدت عليكم وتمنت موتكم فلماذا تموت هي وتظلون أنتم أحياء .بعد أن عذبتموها كثيرًا بنظراتكم وحركاتكم فقررت أن ترحلوا أنتم، ولن تترك لكم البناية مهما حاولتم، تلفتت إلى وجوههم الخائفة وعيونهم المرعبوبة ثم قالت ناردين مكملة حديثها وهي تنظر إلى تلك الوجه المذعورة الجالسة أمامها تستمع باهتمام:

– لقد بدأت تؤذيكم أليس كذلك

هزوا رؤوسهم بنعم وقالت واحدة منهن وهي تبكي:

– لقد كادت تقتل ابني منذ يومين فلم تكن تؤذي أحدًا من قبل ولكنها كانت دائمًا موجودة بالمصعد ولكن بعد أن أخبرتها بالأمر ولقد تغيرت وأصبحت شريرة كثيرًا معنا وتخيفنا بطريقة بشعة فماذا سنفعل أيتها الدرويشة لقد دلنا عليك الناس ..نحن نريدها أن ترحل بسلام وتترك البناية ؟

– ولماذا لا تتركون أنتم البناية وترتاحون من شرها فلن تترككم يا امرأة على ما فعلتم لها فكيف تخبرونها بأنها شبح هل فقدتم عقولكم لتفعلوا ذلك ؟

– لم أكن أقصد أيتها الدرويشة كنت أريد أن ترحل بسلام وتتركنا نحن نحيا بسلام.

– وهل كانت تؤذيكم من قبل أيتها الغبية بل كانت خائفة منكم ومن بطشكم وأذيتكم بعد أن كنتم تؤذونها بعد موت زوجها لترحل أغبياء..

وردت أخرى بخوف :

– لقد كانت جميلة و أرملة وصغيرة بالسن وعندها شقة ومطمع لكل أزواجنا فكنا نكرهها رحمها الله بالرغم أنها لم تفعل لنا شيئًا وارتحنا عندما ماتت، ولكنها تركت شبحها بالمصعد ليعذبنا كما كنا نعذبها أرجوك ساعدينا وخلصينا منها أيتها الدرويشة فنحن نعرف أنك تستطيعين لقد أخبرونا عن قدراتك الخارقة في التعامل مع الأرواح والأشباح و الجن والشياطين .

نظرت إلى عيونهم كثيرًا ثم قالت ولما لا ترحلون من البناية وتتركونها لها؟!

– لا نستطيع فالحياة أصبحت صعبة وضيق الحال، فلن نجد شققًا أخرى بهذا السعر في تلك الأيام، ولن تسمح لأحد بدخول البناية فلقد حاول أحد السكان بيع شقته والفرار ولكنها أفزعت السكان الجدد وفروا هاربين وأخبرتنا أنها لن ترحل ولن تسمح لجدد أن يحضروا لقد كتبت يومها بالدماء على مرآة المصعد ..ومن يومها لم يفكر أحد في بيع شقته بل فكرنا في كيفية رحيلها وأنت الوحيدة القادرة عليها.

– سأساعدكم ولكن هل أنتم مستعدون لدفع الثمن ...

– نعم سنفعل أي شيء من أجل أن ترحل بسلام وتتركنا ..

– إذن احضروا لي الدماء فأنا أريد دماء نقية لأطفال لم يبلغوا الحلم..أريد بعض دمائهم لأقدمها قربانا لها لترحل بسلام وتترككم تعيشون بسلام ..

نظر كل منهم إلى عين الأخر ولم ينطقوا، فماذا تريد تلك المجنونة

منهـم؟ أن يحـضروا فهـل تريدهـم أن يصبحـوا قتلـة لكـي يخرجـوا شـبح المصعد ..

نظـرت لهـم وعرفـت أنهـم لـن يحـضروا الدمـاء ..فقامـت لتقـف وبعدهـا صرخـت في وجوههـم بعنـف وبصـوت قـوي:

- ارحلـوا ولا تعـودوا إلا بالدمـاء أو لا تعـودون ..وقفـوا جميعًـا وبعدهـا رحلـوا مـن أمامهـا وقلوبهـم تـكاد تتوقـف مـن شـدة الفـزع والتوتـر ..فهـل سـتتركهم تلـك السـاحرة حقًّـا يرحلـون ؟

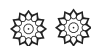

الفصل الخامس عشر

القناع المخيف

توقف الاهتزاز من حولها وشعرت بالضوء يتسلل إلى عينيها بهدوء شديد وفتحت عينيها ببطء فوجدتهم يلتفون حول فراشها وجوههم سوداء مشعرة، وعيونهم حمراء منفرة صرخت برعب و أغمضت عينيها حتى كاد قلبها يتوقف من شدة فزعها وهنا سمعت ضحكاتهم الساخرة وسمعت صوتهم العالي في أذنيها كانت تعرف تلك الأصوات التي تتحدث جيدًا سمعتهن يقلن لها :

ـــ مادمت رقيقة المشاعر أيتها الطفلة الصغيرة فلماذا تقرأين تلك الكتب المخيفة ليلًا، ربما أصابتك بأزمة قلبية في غينيا وبعدها أخذن يضحكن عليها.

نظرت نيرمين إلى زميلاتها في العمل بغضب وأخذت تنظر لهن بغضب لما فعلنه معها وهي تخشي الظلام فأزالت كلا منهن ذلك القناع المخيف من على وجهها وهن يضحكن باستمتاع ..فقالت إحداهن:

ـــ لقد اشترينا تلك الأقنعة من أحد الأسواق القريبة من أحد الزنوج وقررنا أن نقم بإفزاعك يا نيرمين فما رأيك؟ هل أفزعك

القنـاع؟ إنـه يبـدو كالحقيقـي تمامًـا فكيـف يصنعونـه؟ إن هـؤلاء الأفارقـة لعباقـرة ويسـتطيعون إفـزاع الجميـع

ـــ كانـت تنظـر لهـن جميعًـا ولاحظـت أنهـن أزلـن جميعهـن الأقنعـة ماعـدا هـي..

تلـك الفتـاة التـي لم تـزل قناعهـا فمـن هـي يـا تـرى فهـا هـن صديقتهـا جميعهـن عـلا ونهلـة وعفـاف ورقية فمـن تلـك الفتاة الخامسـة فلـم ترهـا مـن قبـل ولمـا لم تـزل قناعهـا المخيـف لتريهـن وجههـا؟

كانـت الفتـاة تنظـر لهـا بطريقـة مخيفـة وبذلـك الوجـه المرعـب المخيـف والعيـون الحمـراء صرخـت نيرمـين وهـي تشـير إليهـا بإصبعهـا قائلـة :

ـــ مـن أنـت أيتهـا الفتـاة ...نظـرت لهـا صديقاتهـا بدهشـة و إلى مـا تشـير فلـم يجـدن شـيئًا فكانـت تشـير بإصبعهـا إلى الفـراغ خلفهـن .

فقالت رقية :

ـــ نيرمين هل تحاولين إرعابنا ورد المقلب فلن نخف يا غبية ؟

فصرخت نيرمين :

ـــ لا، أقسـم لكـن إنهـا خلفكـن وترتـدي نفـس القنـاع وتبتسـم بسـخرية، فمـن هـي هـل تحاولـن إخافتـي يـا فتيـات اتقـين الله فأنـا لـن أتحمـل تلـك المزحـة السـخيفة فربـما أصبـت بأزمـة قلبيـة أيتهـا الغبيات.

فردت نهلة :

ـــ لا يـا نيرمـين لا نحـاول إخافتـك يـا صديقتـي ولا يوجـد احـد فعـلًا غيرنـا نحـن الأربعـة.

صرخت في وجههن برعب:

ـــ اخرجـن مـن غرفتـي الآن أيتهـا الغبيـات وكفـين عـن المـزاح معـي هـل تفهمـن؟ فأنـا لـن أتحمـل سـخافتكن هـذه وثقـل ظلكـن .

غـادرت الأربـع فتيـات الغرفـة وهـن غاضبـات وحاولـن الاعتـذار لنيرمـين ولكنهـا أشـاحت بوجههـا عنهـن ..

ولكنهـا لم ترحـل فظلـت الفتـاة الخامسـة لم تغـادر الغرفـة أو تتحـرك مـن مكانهـا، لمـاذا تبتسـم تلـك البغيضـة بسـخرية وتظهـر أسـنانها الحمـراء الدمويـة فصرخـت نيرمـين بغضـب:

ـــ اخرجـي أنـت الأخـرى أيتهـا الغبيـة فلـماذا تقفـين كالصنـم هكـذا ؟

وهنا تحدثت المرأة بلغة غريبة لم تفهمها قائلة:

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

رددت نيرمين بغضب :

– مـاذا تقولـين أيتهـا الغبيـة ؟ مـاذا تقولـين أنـا لا أفهـم أي لغـة تتحدثـين اخرجـي اخرجـي مـن غرفتـي الآن ؟

خرجت المرأة وهي مازالت تردد جملتها بصوت غريب :

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

وهنـا دخلـت صديقتهـا وشريكتهـا بالغرفـة وهـي تسـمع صـوت نيرمـين تـصرخ بغضـب قائلـة :

ـــ مـاذا تعنـي بجملتـك أخبرينـي ورددت نفـس الكلـمات وهـي لا تفهـم معناهـا فقالـت ربـاب:

– اهدئي نيرمين ماذا هناك؟ ولماذا أنتِ غاضبة لتلك الدرجة؟ فماذا حدث يا صديقتي أخبريني؟

– لا أعرف يا رباب من تلك اللعينة التي قابلتيها عند دخولك الغرفة فلقد قالت لي كلمات غريبة بلغة لا أفهمها وأفزعتني هي والأخريات وأنا لا أتحمل شيئًا ومتعبة الآن وأخذت تبكي بقهر.

– اهدئي نيرمين بالله عليك ومن هي التي خرجت من غرفتك فأنا لم أرَ أحدًا يا صديقتي ؟؟

– هل تمزحين أنتِ الأخرى يا رباب مثلهن وتريدين إفزاعي ؟

نظرت لها صديقتها بقلق قائلة:

– نيرمين اهدئي ولماذا سأضحك عليك يا صديقتي فلقد أخبرتني رقية بما حدث ولقد وبختهن أقسم لكِ ولكنهن لم يكن يقصدن شيئًا سوى المزاح يا نيرمين فأنتِ تعرفين حركات رقية.

نظرت نيرمين إلى عيني صديقتها ورأت الصدق فيهما فهي تعرف رباب لن تمزح أبدًا ..فقالت بقلق:

– رباب أقسمي لي أنك لم تري المرأة عند دخولك الغرفة فلقد نظرت إليك و أنت تدخلين وهي تخرج لقد رأيتها أقسم لكِ يا رباب

ـــ أقسم لكِ لم أرَ شيئًا يا صديقتي وعيب عليك فلن أكذب أبدًا عليكِ فنحن أصدقاء وعشرة سنين طويلة يا نيرمين وليس اليوم.

–لا أفهم شيئا يا رباب ولكن أخبريني فما معنى تلك الجملة فأنا أعرف أنك تحبين الإنجليزية والفرنسية:

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

– ولكنها ليست إنجليزية أو فرنسية يا صديقتي فهي برتغالية

– برتغالية

– نعم فهي اللغة الرسمية هنا بغينيا

ــ وهل تعرفين تلك اللغة يا رباب

– نعم القليل فأنت تعرفين أنني أحب تعلم اللغات ومعي كتاب لترجمة باقي الجمل انتظري ...وذهبت إلى حقيبتها وأخرجت الكتاب وأخذت تترجم بعض الكلمات التي لا تفهمها وتكتب في الورقة وبعد ربع ساعة هتفت بقلق :

– لقد ترجمتها يا نيرمين فهل أنت متأكدة بأنك تودين سماع معنى الجملة؟

– نعم أريد فهل تمزحين بعد كل هذا وتسألين هذا السؤال الغبي؟؟

– إن الجملة غريبة يا نيرمين فهي تقول:

« احذري فلن يدعك وشأنك فهو يراقبك باستمرار ولن يدعك تعيشين بسلام»

رددت نيرمين الجملة بتعجب :

– احذري فلن يدعك وشأنك فهو يراقبك باستمرار ولن يدعك تعيشين بسلام.

ما معنى هذا الكلام الغريب يا رباب لا أفهم شيئًا

– وهل أنا الذي سأفهم يا صديقتي وفي تلك اللحظة دخلت صديقتها رقية الغرفة وهي تقول :

ـــ سامحيني يا نيرمين فلم أكن أقصد فتقبلي اعتذاري يا صديقتي ؟

ردت نيرمين بحيرة :

رقية من أين أحضرتن تلك الأقنعة المفزعة ؟

ـــ من أحد الأسواق القريبة من الفندق من إحدى الساحرات يقولون عنها أنها ساحرة فودو

ـــ ساحرة فودو؟!

ـــ نعم ساحرة فودو أي تمارس السحر الأسود فهي امرأة غريبة شعرها منكوش خلف ظهرها ترتدي ثياب غريبة وحلي كثيرة وتعلق جمجمة صغيرة وبعض العظام برقبتها وشكلها مخيف ولكن أشياءها مرعبة حقًّا فقررنا شرائها كتذكار من غينيا ولكن المترجم حذرنا منها وقال لنا أنها ساحرة فودو أي شريرة وتقتل الناس وتؤذيهم بشدة ولابد الابتعاد عنها فأخافنا ورحلنا مسرعين دون حتى أن ندفع ثمن الأقنعة.

ـــ هل تستطيعين أخذي إلى تلك المرأة من فضلك ؟

ـــ نعم ولما لا حتى أدفع ثمن قناعي حتى لا تصيبني بشيء فأنا حقًّا أخاف من تلك المرأة ولكن غدًا صباحًا وليس الآن فهل أعجبك القناع فقررت شراء واحدًا مثله ؟؟

لم ترد عليها نيرمين ولكنها كانت تشعر بشيء غريب و أن تلك المرأة التي تتحدث عنها وتقول إنها ساحرة سوف تساعدها في شيء

ليخلص أختها ناردين لا تدري لماذا ولكنه إحساس قوي سيطر عليها بعد أن ترجمت لها صديقتها الجملة ..

هي تعرف ذلك ..وتلك الساحرة تعرف أيضًا ..

****

صرخت بفزع :

ـــ ابتعدي عني أيتها الحقيرة ولا تلمسيني فأنا لم أفعل لك شيئًا ..ولكنها أخذت تقترب منها ببطء شديد وهي تضحك وتظهر كل أسنانها الحمراء التي يتساقط منها الدماء .

حاولت نيرمين الهروب منها ولكن قدمها كانت مثبتة على الأرض وكأن هناك من أمسكها وثبتها بالأرض فلم تستطع الفرار من تلك الساحرة التي كانت تقترب منها بهيئتها المخيفة ومنظرها المرعب كانت عيونها حمراء ووجهها أسود مخيف ترتدي ثياب غريبة زاهية الألوان وحلي كثيرة وجمجمة صغيرة معلقة في رقبتها وبعض الأنياب على شكل عقد غريب طويل يصل إلى أسفل سرتها .

لم تتكلم المرأة أو تقل شيئًا بل أخذت تقترب وتزداد ابتسامتها اتساعًا كلما ازداد صراخ نيرمين المريع ..

إلى أن وقفت أمامها وأخذت تشم في رأسها وثيابها بطريقة جعلت نيرمين تشعر بالغثيان والدوار فماذا تريد تلك الساحرة منها؟!

وهنا مسكت المرأة يد نيرمين وقامت بوخز إصبعها بإبرة فصرخت الفتاة ألمًا وهنا قامت المرأة بلعق الدماء وبعدها أخرجتها مرة أخرى وبصقت الدماء على الأرض وهي تقول بصوت غريب ولغة غريبة :

ــ إن دمائك ملعونة، ولقد جلبت الشر معك إلى هنا ...

كانت نيرمين تفهم كلامها جيدًا وتفهم ما تقول بالرغم من اللغة غير مفهومة.

فرددت نيرمين من بين دموعها :

ــ ماذا تريدين منى ؟ أرجوك اتركيني أرحل؟

أخذت تلف حولها بغضب وهي تردد :

ــ لقد جلبت الشر معك إلى هنا ارحلي ..فهو يريدك ..

أخذت تصرخ وتصرخ وهي تردد ما تقوله المرأة :

ــ جلبت الشر معي ماذا تقصدين ..؟؟؟

اتركيني بالله عليك وهنا شعرت بالألم في ذراعها وبمن يهزها بقوة ففتحت عينيها لتجد أمامها صديقتها رباب وهي تهزها قائلة:

ــ نيرمين سنتأخر عن المحاضرة التدريبية عن التعريف بمرض الإيبولا ...فلابد أن يحضر الجميع هيا .

نهضت نيرمين من على الفراش وكان عقلها مشوشًا فمن تلك الساحرة التي كانت بالحلم ولماذا لا تحلم بالشيخ صاحب الوجه المنير لقد كانت ترتاح للحديث معه وتشعر بالأمان، وكان يخبرها بكل ما تريد معرفته بصدق فماذا حدث وتغير ولماذا يحدث لها ذلك منذ أن جاءت إلى تلك البلد الغريب ؟

ارتدت ملابسها بسرعة وذهبت إلى قاعة المؤتمرات بالفندق وكان أحد الأطباء الأجانب يتحدث بالإنجليزية على منصة أمام ميكرفون وكانت هناك مقاعد وكل مقعد به سماعة تضعها على أذنيها لتترجم لها باللغة التي تريدها ما يقوله الرجل. ضغطت زر اللغة العربية.

وهنا شعرت بالآم بإصبعها فنظرت إلى الإصبع فوجدت علامة شك وكأنها وخزت بدبوس أو إبرة حادة وجلست وهي مشوشة الفكر فهل ما حدث وما رأته كان حقيقة ولم يكن حلمًا ...

سمعت صوت المحاضر يقول وهو يشير على رسم بياني خلفه في شاشة عرض كبيرة:

ـــ إن مرض فيروس إيبولا مميت في ٩٠٪ من الحالات في مناطق غرب أفريقيا حيث الأنظمة الصحية الهشة. ولذلك فإن المرضى الذين يتلقون عناية طبية باكرة لديهم فرصة أكبر في الشفاء.

فلو استعرضنا نسبة الوفيات بمرض فيروس الإيبولا في الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا حيث الرعاية الصحية الجيدة سنجدها تنخفض لنحو ١٨,٥٪ فقط من مجمل المرضى المصابين بالفيروس.

ومنذ آذار/ مارس عام ٢٠١٤م، شهد غرب أفريقيا أكبر تفش لمرض الإيبولا في التاريخ، مع العديد من البلدان المتضررة. وردًا على تفشي المرض تم تنشيط مركز عمليات الطوارئ لتنسيق أنشطة المساعدة والمراقبة التقنية مع وكالات دولية وأخرى تابعة للحكومة الأمريكية، ومنظمة الصحة العالمية في غرب أفريقيا.

وقد تمت السيطرة على فيروس إيبولا في غرب أفريقيا، على الرغم من أن حالات إضافية ما زالت تسجل بشكل متقطع.

كانت نيرمين تشعر بالمرض والصداع والملل من كل تلك الأرقام التي يقولها الرجل بسرعة وكأنه يحفظها عن ظهر قلب وكان عقلها مشغولًا بتلك الساحرة ..ساحرة الفودو...فسمعت الرجل يكمل قائلًا :

ـــ وقد أشار آخر تحديث فيما يتعلق بعدد الحالات بتاريخ ١٧/ ٠٢/ ٢٠١٦ والصادر عن منظمة الصحة العالمية (WHO) بالتالي:

ـــ عدد الحالات الكلية المصابة بالمرض حتى تاريخه: ٢٨٬٦٣٩ حالة.

ـــ عدد الحالات المؤكدة مخبريًا حتى تاريخه: ١٥٬٢٥١ حالة.

ـــ عدد الوفيات الكلية حتى تاريخه: ١١٬٣١٦ حالة وفاة

ـــ وقد احتلت جمهورية سيراليون المركز الأول فيما يتعلق بعدد الحالات الكلية المصابة بالفيروس حيث بلغت ١٤١٢٢ إصابة، وبلغ عدد الوفيات الكلي فيها ٣٩٥٥ حالة وفاة، بينما احتلت ليبيريا الصدارة بعدد الوفيات بهذا المرض حيث بلغت الوفيات ٤٨٠٩ حالة من أصل ١٠٦٧٥ إصابة، وكل ذلك وفقًا لإحصاءات صدرت عن منظمة الصحة العالمية.

****

همست نيرمين لنفسها بضيق :

ـــ ما هذه الأرقام الكثيرة أنا أكره هذا و أكره الأرقام ولن أتحمل كل هذا صرخت نيرمين لنفسها بغضب لابد أن أرحل الآن ثم قامت من مقعدها و أزالت تلك السماعة اللعينة من فوق أذنيها وذهبت حيث تجلس صديقتها رقية التي كانت تستمع باهتمام للرجل فجذبتها من يديها بعنف و أزالت سمعاتها من فوق أذنيها أمام دهشة الحاضرين وخرجت من القاعة ..

كانت رقية تشعر بالدهشة مما تفعله نيرمين ولكنها لم تتكلم حتى خرجا خارج القاعة فقالت رباب بغضب:

ـــ مـاذا حـدث يـا نيرمـين هـل جننـت وفقـدت عقلـك مـاذا تفعلـين؟؟

خـرج خلفهـما محمـود الـذي شـاهد الموقـف ولم يعجبـه الأمـر وشـعر أن هنـاك شـيئًا ليـس عـلى مـا يـرام مـع حبيبتـه فخـرج خلفهـا مسـتفسرًا :

ـــ ماذا حدث يا نيرمين ولماذا فعلت هذا ؟

قالت نيرمين وهي تنظر إلى عينى رقية:

ـــ دليني على مكان الساحرة الآن من فضلك ..ساحرة الفودو

ـــ هـل فقـدت عقلـك أتفعلـين كل ذلـك مـن أجـل تلـك التفاهـة فهـل أنـت مجنونـة؟ ..تدخـل محمـود قائـلًا:

ـــ أي ساحرة يا نيرمين فماذا حدث لك أخبريني بالله عليك ؟

ـــ إنهـا تعـرف كل شيء وستسـاعدني دلينـي عليهـا يـا رقيـة مـن فضلـك ؟

وهنا خرجت رباب هي الأخرى مستفسرة ماذا حدث :

ـــ مـاذا حـدث يـا نيرمـين مـا بـك يـا صديقتـي فأنـتِ لسـت عـلى مـا يـرام منـذ أمـس

لم ترد عليهما بل وجهت كلامها إلى رقية برجاء:

ـــ خذينـي إليهـا مـن فضلـك يـا رقيـة، إنهـا مسـألة حيـاة أو موت و أشـعر أن شـيئًا سـيئًا سـيحدث لناردين أختـي وبعدهـا أخـذت تبكـي بعنـف وبهسـتريا ..

أخـذت ربـاب تربـت عـلى كتفهـا وتحـاول تهدئتهـا و أحـضر لهـا

محمود كوبًا من العصير بعد أن وضع فيه قرصًا مهدئًا لجعلها تهدأ وتنام قليلاً فحالتها ليست بخير.

شربت العصير وهي تبكي وسمعت صوت رقية تقول :

ـــ حاضر سوف آخذك يا نيرمين ولكن اهدئي..بالله عليك فلا داعي لكل ذلك.

سمعت صوت رباب يقول:

ـــ الحمد لله فلولا أن المحاضر طبيبًا أجنبيًا وليس مصريًا لكان طردنا من هنا ورحلونا إلى مصر فالأجانب يحترمون حرية الآخرين ويفعل كل واحد ما يريده وما يراه مناسبًا و في أي وقت يحضر محاضرة أو لا فهو حر في أفعاله وهذه ميزة عندهم ولقد استفدنا منها الآن ..

ـــ سمعت صوت محمود يقول:

ـــ ما موضوع الساحرة هذه يا رقية فأنا لا أفهم أخبريني بالأمر من فضلك؟

وهنا لم تعد تتذكر شيئًا ...

فماذا يقول هؤلاء الملاعين؟ وماذا وضعوا لها بعصير الليمون هذا؟

ولكنها تريد تلك الساحرة الآن..

ساحرة الفودو..

الفصل الثالث عشر

ساحرة الفودو

وجدت نيرمين نفسها أمام طريق مظلم كالممر وفي نهايته نفق أكثر ظلمة من الطريق فلا ترى شيئًا من شدة ظلامه الدامس وسواده الحالك ..

ولكنها كانت تنتظرها هناك في نهاية ذلك الممر المظلم ..وكأنها تنتظر نهاية العالم ...ولكن من تنتظر تلك الغبية بهذا الظلام وترك الجميع من أجلها هي ...

ومن غيرها بشعرها المنكوش وثيابها الغريبة الزاهية وعيونها الحمراء الدموية ..إنها هي...

ساحرة الفودو...

ولكن ماذا تريد منها المرأة من جديد ..؟

فهي لم تفعل شيئًا ..

كانت نظراتها مخيفة غاضبة وصوتها زلزل كيانها بصوتها الغليظ المخيف :

ـــ أمازلت هنا ولم ترحلي بعد؟ ألم أقل لكِ إنك جلبت الشر معك يا فتاة ..

خرج صوتها مهزوزًا متوترًا وهي تقول :

ــ ماذا فعلت لك ؟؟

ــ ارحلي فستجلبين الشر إلى أي مكان تذهبين إليه فهو يتعقبك أينما ذهبت؟

ــ ولكن لماذا تقولين ذلك ولماذا أجلب الشر ؟؟

ــ لأن دمائك ملعونة وهو يتبعك لن يتركك مهما فعلت ولقد أوشكت الأخرى على فعل ما يريد ارحلي من هنا..

ــ الأخرى من تقصدين ناردين أختي

ــ لا تذكري اسمها أمامي فلقد أعطاها القوة والسلطة وستعرف فهي أقوى مني وربما أذتني تلك الملعونة إن أخطأت في حقها ارحلي الآن فلا تجلبي لنا الشر فيكفي ما نحن فيه وما نعانيه من فقر وجوع وجهل ومرض فلا ينقصنا شيء آخر ارحلي يا فتاة بلعنتك؟؟

وبعدها رحلت من أمامها غاضبة وظل الصوت يتردد في عقل نيرمين «ارحلي يا فتاة بلعنتك»

فهتفت بصوت عالٍ :

ــ انتظري و أخبريني أي لعنة فأنا لا أفهم ...

وهنا استيقظت نيرمين لتجد نفسها على فراشها ودكتور كمال يجلس على المقعد بجوارها ومحمود وصديقاتها جميعهن كان الجميع يشعر بالقلق عليها.

فقالت نيرمين بألم :

ــ ماذا حدث؟؟

ـ الحمد لله أنك بخير يا نيرمين ..

ـ رباب ماذا حدث لي ؟

فرد الطبيب كمال :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا نيرمين يبدو أنك تعرضت لضغوط شديدة الفترة السابقة ارتاحي وستتحسنين إن شاء الله فأعصابك متعبة قليلًا

نظر لها محمود بقلق:

ـ هل أنتِ بخير الآن يا نيرمين؟؟

ـ الحمد لله بخير يا محمود لا تقلق علي من فضلكم ارحلوا فأنا أريد النوم ...

فخرجوا جميعًا من الغرفة :

ولكنها استوقفت رقية قائلة:

ـ انتظري رقية فأنا أريدك أنتِ ورباب ..

نظر محمود لها وكان يفهم كل شيء فلقد أخبرته رقية بما حدث أمس فقرر الوقوف خارج باب الغرفة فهو متأكد أنها ستذهب لمقابلة المرأة ..

و إن لم تفعل فلا تكون تلك حبيبته المجنونة التي أحبها و اختارها قلبه من بين جميع نساء العالم.

****

في الفندق بغينيا حيث القافلة الطبية الوقائية ..

قالت نيرمين بإصرار وقوة :

ـ هيا بنا يا فتيات ؟؟

ـــ الآن يـا نيرمـين انتظـري قليـلًا حتـى تتحسـن صحتـك يـا مجنونة ؟

ـــ لا يا رباب فلابد أن أرى تلك المرأة الآن ...

خرجـن هـن الثلاثـة مـن الغرفـة وكان هـو يراقبهـن مـن بعيـد ويتسـتر بالظـلام فـكان يعـرف أنهـا سـتفعل وسـتذهب لتلـك السـاحرة ؟؟

خرجـن مـن الفنـدق حتـى وصلـن إلى ذلـك السـوق الغريـب كان السـكان المحليـون يبيعـون الأشـياء البسـيطة مـن صنـع أيديهـم وكانـت تنظـر لهـم نيرمـين بتعجـب ..

إلى أن وصلـت لتلـك الخيمـة الحمـراء اللـون كان مرسـوم عليهـا الكثـير مـن الرسـومات الغريبـة تثـير التوتـر في النفـس والفـزع ...

كان هنـاك طاولـة منخفضـة رصـت فوقهـا الكثـير مـن الأشـياء الغريبـة مـن أقنعـة وشـعر و أنيـاب وجلـود حيوانـات أشـياء غريبـة وكانـت هـي تجلـس عـلى الأرض في وضـع القرفصـاء ومغمضـت العينـين.

لقـد عرفتهـا نيرمـين بالرغـم مـن ذلـك الطـلاء الأبيـض الـذي تدهـن بـه جبهتهـا وخدودهـا بعمـل بعـض العلامـات الغريبة الشـكل..

نظرت إلى نيرمين طويلًا ثم قالت بلغة غريبة :

Eu trouxe com você, O mal menina Arhali e outros Hrra tem Ashkt para terminar de preencher com sangue

قالت نيرمين وهي تنظر إلى رباب برجاء :

ـــ قولي لي يا رباب ماذا تقول من فضلك الساحرة..

قالــت ربــاب بقلــق وهــي تنظــر إلى بعــض الكلــمات بالكتــاب الصغــير بيديهــا :

ـــ إنهـا تقـول لقـد جلبـت الـشر معـك يـا فتـاة ارحـلي وحـرري الأخـرى فلقـد أوشـكت عـلى الانتهـاء مـن ملئـه بالدمـاء

أخذت نيرمين تبكي بقهر وهي تقول للساحرة :

ـــ لمـاذا تقولـين ذلـك أنـا أعـرف أنـك تعرفـين شـيئًا أخبرينـي الحقيقـة مــن فضلــك؟؟

نظرت لها طويلًا ثم قالت بغضب:

Eu trouxe o mal com você Vdmaik amaldiçoou.

ـــ ترجمي يا رباب هل قالت أن دمائي ملعونة

نظـرت لهـا ربـاب بدهشـة كبـيرة وهـي تقـول نعـم يـا نيرمـين فهـي تقـول :

ـــ لقد جلبت الشر معك فدماؤك ملعونة

وهنـا بـدأت السـاحرة تـردد الـكلام بصـوت عـالٍ حتـى بـدأ الناس يتجمعـون مـن حولهـم وينظـرون لهـم برعـب وعيـون مفزوعة

وهنـا ظهـر محمـود وهـو يحـاول إبعـاد النـاس مـن حولهـن وقـال بصـوت غاضـب:

ـــ هيـا مـن هنـا فلقـد بـدأ النـاس يتوتـرون مـن كلام تلـك المخرفـة وربـما آذوكـم هيـا ابتعـدن ..

خرجـوا مـن السـوق بصعوبـة شـديدة أمـام نظـرات النـاس التـي كانـت تريـد الفتـك بهـم وقتلهـم وكأنهـم وبـاء سـيصيبهم بالمـوت

فمصـير السـاحرات جالبـات الخـراب و الـشر هـو المـوت لا محالـة

وتعليقهن بالشجرة المقدسة شجرة الساحرات بعد تجريدهن من ثيابهن وصلبهن هكذا تحاكم الساحرات هناك ليكن عبرة لغيرهن من الأشرار ولكن كيف تتبعت تلك المرأة نيرمين وعرفت بقصة ملء الصندوق ؟؟

كان هذا السؤال يشغل بالها وهي تنظر إلى الوجوه السمراء والعيون المذعورة من حولها بتوتر ولكن كان بالها مشغولًا بشدة ومتحيرًا فكيف عرفت المراة بقصتها وقصة الصندوق ؟؟

لابد أن تعرف..

****

بداخل الطائرة

جلست شاردة الذهن على مقعدها بالطائرة تنظر إلى النافذة الزجاجية بجوارها بشرود وجلس هو بجوارها ينظر إليها بغضب وحنق بوجهه عابث فلقد أصر على عدم تركها تعود إلى مصر بمفردها بعدما أصرت على الرحيل فترك القافلة الطبية وترك كل شيء خلف ظهره في غينيا وعاد معها إلى مصر من أجلها هي فهي أول و أخر حب في حياته فلم يشاء أن يتركها وهي بتلك الحالة الغريبة والهذيان ولكنها لم تتكلم أو تفتح فمها بكلمة واحدة منذ أن غادرا الفندق بغينيا وحتى استقلا الطائرة فلم تشكره حتى على ما فعله معها أمس وإنقاذها من الأفارقة المتوحشين بالسوق هي وزميلاتها فلولا وجوده بتلك اللحظة لكانوا فتكوا بهن وأكلوهن أحياء!

أخذت مضيفة الطائرة تردد بالإنجليزية بصوت رقيق :

«على جميع السادة الركاب الالتزام بمقاعدهم والتأكد من ربط أحزمة الأمان ستقلع الطائرة بعد لحظات»

كانت هي شاردة تمامًا في زمان ومكان آخر لا تشعر بأي شيء يدور حولها ولا حتى بوجوده بجوارها على متن تلك الطائرة العائدة إلى الوطن فكانت تفكر في ذلك الحلم الغريب الذي راودها أمس .

فلقد رأت الشيخ الجليل الذي كان يزورها من وقت لأخر وكانت تشعر بالأمان والراحة لمجرد النظر إلى وجهه المنير ولكنه كان غاضبًا منها تلك المرة بشدة بالرغم أنها لم تفعل شيئًا ولا تدري لماذا هو غاضب منها فلقد نفذت ما كان يريد وابتعدت عن كل شيء عن المنزل وعن أختها وعن مصر كلها وتركت كل شيء خلف ظهرها ورحلت ؟؟

حاولت أن تسأله عن سبب غضبه وما معنى كلام تلك المخرفة المجنونة و أنها جلبت الشر معها إلى البلاد، تلك المرأة الأفريقية السوداء التي يلقبونها بساحرة فودو؟

هي لا تفهم و لا تعرف حتى معني الكلمة ربما عرفت معنى كلمة ساحرة أي مشعوذة ودجالة تمارس السحر الأسود أو الأحمر حتى لا يهم ولكن ما معنى كلمة فودو فهل حقًّا هي ديانتهم هناك ؟؟

هزت رأسها بعنف أنها لا تعرف وكان هو مازال ينظر إليها بغيظ وغضب فمنذ أن قررت السفر وترك القافلة الطبية الوقائية التي أرسلتها وزارة الصحة إلى غينيا وغادرت الفندق وحتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة معه ولم تشكره حتى على مساعدته و إنقاذها من الأفارقة بالسوق الذين كانوا سيفتكون بهم يومها بسبب كلام تلك المشعوذة الشمطاء التي يلقبونها بساحرة الفودو التي صرخت

في النـاس أن الفتـاة جلبـت الـشر معهـا إلى البـلاد فتوتـر الموقـف بشـدة وكادوا يقتلـون الفتيـات بالسـوق وربـما سـلخوا جلودهـن وعلقوهـن بشـجرة السـحرة هنـاك.

فقال محمود بغضب يشوبه القلق :

ــ نيرمين هل أنت بخير الآن..؟؟

لم تـرد نيرمـين عليـه بـل كانـت تتذكـر قصتهـا مـن البدايـة وانتهـت عنـد ذلـك الحلـم الغريـب الـذي رأتـه أمـس بعـد عودتهـا مـن السـوق فلقـد رأت الشـيخ الجليـل وسـألته لمـاذا فعلـت السـاحرة معهـا مـا فعلـت لم يـرد عليهـا الرجـل ولم يتكلـم كان يشـعر بـآلام و وجـه أسـود عـلى غـير عادتـه و حزيـن ..

صرخت في وجهه قائلة :

ــ بـالله عليـك أخـبرني يـا شـيخ لمـاذا تقـول المـرأة إن دمائـي ملعونة فـماذا فعلـت أنـا فلـم أوذي أحـدًا مـن قبـل ؟؟

وهنـا نظـر لهـا بحـزن شـديد وتسـاقطت العـبرات عـلى خـده و أشـار إلى رجـل يحتـضر كان الرجـل يشـبهه هـو تمامًـا ولكنـه كان يمـوت فلقـد كان الرجـل ينـزف وممـدد عـلى محفـة بيضـاء غارقـة بالدمـاء ووجهـه شـاحب كالأمـوات فهـل مـات الرجـل نتجـة حمـى نزفيـة؟ هـل هـو مـرض الإيبـولا ..

صرخت في وجه الشيخ قائلة:

لا أفهـم مـن هـذا الرجـل ولمـاذا يتركونـه ينـزف حتـى المـوت وتتعفـن جثتـه لا أفهـم ...

ــ فرد عليها الشيخ بحسرة :

إنه جدك الأكبر يا فتاة الشيخ إمام

ـــ جدي الأكبر هل أنت جدي وكيف لا أفهم شيئًا أرجوك أخبرني ماذا يحدث وماذا حدث لك ولماذا يتركونك تنزف ..؟؟

ـــ لم يرد عليها الرجل بل نظر لها طويلًا ورحل و هو يقول :

ـــ سامحيني يا فتاة فالغلطة غلطتي والذنب ذنبي.

وهنا استيقظت من النوم مذعورة تشعر أن هناك شيئًا خاطىء سيحدث فقررت الرحيل والعودة إلى مصر.

وهنا عادت بذاكرتها لأول محاضرة لها عن ذلك المرض اللعين « فيرس إيبولا»

هي تعرف أعراض المرض ولكن ما هذا فهل مات جدها بفيرس الإيبولا وفي مصر ؟؟

ولكن كيف أصيب بذلك المرض وكيف انتقل اليه ؟

إنه شيء غريب فلكي ينتقل المرض لابد من لمس شخص مصاب والاتصال المباشر معه فكيف حدث كل هذا ومع من تعامل جدي ولمس جسده المصاب ؟

فعادت بذاكراتها إلى هناك لأول محاضرة عن المرض وكان دكتور كمال هو المحاضر فقال بصوته الرصين:

ـــ يرصد مرض الإيبولا في مراحله الأولى بالارتفاع المفاجئ في درجة الحرارة والآلام الشديدة بالرأس وآلام العضلات وفي مرحلة ثانية يشهد الجسم نزيفًا داخليًا وخارجيًا بالإضافة للتقيؤ والإسهال وقصور في وظائف الكلى وينتقل الفيروس بالاتصال المباشر مع الدم أو السوائل الحيوية أو أنسجة الأشخاص أو الحيوانات المصابة

وتشكل مراسم الدفن حيث يحتك الأهل والأقارب بجثة المصاب عنصرًا مهما في انتقال المرض.

إن «فيروس الإيبولا معد لكنه لا ينتقل بالمياه ولا بالجو والأهم هو عدم لمس الأشخاص الذين تظهر عليهم أعراض المرض فلابد من إجراءات دفن آمنة لأنه في كثير من الثقافات يلمس أعضاء الأسرة الجثمان خلال الجنازة وفي هذه اللحظة ينتقل إليهم المرض» .

لا تدري لماذا تذكرت كلام الشيخ الجليل عن الجن وعن ذلك العالم الغامض وتذكرت تلك الفقرة التي قرأتها بالكتاب:

« وبقى على الأرض قسمًا من الجن، هربوا إلى المغارات وأعالي الجبال وفي أسفل البحار والمحيطات

واتخذوا بعض المواقع التي يتكاثرون فيها ويعيشون، ولما هبط الإنسان على الأرض تطور وصنع الغواصات والطيارات والسفن، وجاب الأرض وانتقل من مشارقها إلى مغاربها، وبدأ يشكل خطرًا على وجود الجن لما انتقل إلى مواقعهم، فأهابوه و أفزعوه وتسببوا في مرضه بأمراض غريبة لم يسمع أحد من قبل عنها.»

نظر محمود إليها بحيرة وبغضب فمنذ أن قررت السفر وغادرت الفندق وحتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة معه ولم تشكره حتى على إنقاذها من الأفارقة بالسوق الذين كانوا سيفتكون بهن يومها :

فقال محمود بغضب ليقطع حبل افكارها :

ـــ نيرمين هل أنت بخير ..ولكنها لم ترد عليه أو تلتفت له فكانت تحاول ربط كل تلك الأمور برأسها لتصل إلى أجوبة عما يحدث لها ولمن حولها ...

ولكـن مـا توصلـت لـه كان خطـيرًا ومثـيرًا للجـدل والشـك معًـا فلـن يصدقـه عقـل أو يسـتوعه أبـدًا

فهـل جدهـا الأكـبر الشـيخ إمـام مـات بسـبب فـيرس الإيبـولا الـذي لم يكتشـف سـوى مـن فـترة قليلـة ؟

و إن كان صحيحًـا مـا توصلـت لـه فكيـف لم يمـت أحـد مـن عائلتـه وبيتـه بنفـس المـرض فالمفـروض أنـه مـرض معـدٍ ؟ وكيـف لم تسـجل حالتـه مـن قبـل ؟

أنـا لا أفهـم شـيئًا ..فهـل هـي حقًّـا لعنـة أصابتـه ولكـن لمـاذا؟ فـماذا فعـل جدهـا لتصيبـه لعنـة ويمـوت بتلـك الطريقـة البشـعة التـي رأتـه فيهـا لقـد كان ينـذف وحيـدًا ككلـب أجـرب يخشـى النـاس مـن الاقـتراب منـه ؟

الفصل السادس عشر

الغريب

صرخ محمود بغضب وبصوت عالٍ مما جعل الركاب ينظرون له بفضول:

ـ نيرمين ماذا بك هل فقدت عقلك لا أدري لماذا تغيرت ؟

وهنا قطعت حبل ذكرياتها بقوة والتفتت إليه وكأنها تراه لأول مرة فقالت:

ـ محمود ؟؟ لماذا تصيح بتلك الطريقة الغريبة أمام الناس؟؟

ـ لماذا أصيح هل تعلمين أنك منذ أمس ولم تنطقي بكلمة واحدة وحتى نهاية الرحلة التي استمرت لساعات طويلة فأنا أريد أن أعرف ماذا يحدث لك نيرمين؟

ـ أرجوك اتركني الآن فأنا مشغولة الفكر علي أختي وقلقة عليها وأريد أن أرتب أفكاري و أعرف ما يجب علي فعله يا محمود قبل أن أعود إلى مصر و إلى ن

ـ ترتبي أفكارك وهل حديثي معك سيمنعك من ذلك؟؟

ـ من فضلك دعني الآن يا محمود فأنا لا أريد الحديث في أي شيء الآن وأغمضت عينيها ولم تلتفت إليه.

نظـر محمـود إليهـا بغضـب ولم يـرد ...بـل ابتلـع لسـانه ونظـر لهـا بغضـب في صمـت ؟؟

هبطت الطائرة في مطار القاهرة فقالت نيرمين بلامبالاة:

ــ حمدًا لله على الوصول بالسلامة يا محمود .

حمدًا لله رد محمود بدون نفس عليها ..

ــ محمـود لابـد أن أذهـب إلى مشـوار ضروري وبعدهـا سـأذهب إلى منـزل أبي وأختـي لعـل أبي قـد عـاد إلى المنـزل مـن يعلـم ؟

ــ هل تريدين مني أن أتي معك و اصطحبك إلى هناك؟

ــ لا .. أفضل أن أكون بمفردي...فالموضوع شخصي

ــ هـل بعـد أن تركـت كل شيء مـن أجلـك تقولـين لي هـذا يـا نيرمـين؟

لم ترد نيرمين بل نظرت إليه بحزن ورحلت ...

هـي تعـرف أنـه فعـل مـن أجلهـا الكثـير ولكنهـا لا تسـتطيع أن تورطـه في شيء أخـر فهـي تعلـم أن شـيئًا سـيئًا سـيحدث ولا تريـد أن تورطـه في شيء فهـو لا يسـتحق ولا أمـه التـي عاملتهـا كابنتهـا تسـتحق ذلـك ؟

****

في الشقة السفلية

جلسـت هـي عـلى الأرض حـول تلـك المنضـدة الصغـيرة و أمامهـا الصنـدوق الأسـود لقـد أوشـك عـلى الامتـلاء فلقـد اسـتطاعت مـلء أكثـر مـن ثلاثـة أربـع الصنـدوق وبقـى جـزء قليـل ربـما أقـل مـن الربـع بكثـير...

كانت رائحة البخور قوية ودخانه يملأ المكان من حولها كالضباب الكثيف أخذت تردد بعض الكلمات بلغة غريبة وبصوت مخيف يأتي من عوالم وأزمنة أخرى غير عالمنا فزلزل الجدران من حولها كانوا هم يقفون ويسترون في الظلام بعيونهم الحمراء الدموية كانوا يريدون الخلاص فلقد أخذوا العهد على حماية نسل مخدومهم من بعد موته ولن يخلفوا العهد حتى يموتوا وتأتيهم المنية هكذا عاهدوه..

فهم في الحقيقة أفضل من البشر بمراحل على الأقل الجني المسلم التقي إذا أخذ معك عهدًا فإنه لا يخونه مهما حدث ويلتزم به تمامًا وينفذ ما وعدك به، أما البشر ففيهم كل الآثام والخيانة وعكسهم تمامًا، فربما وعدوك بشيء مساء واخلفوا وعدهم صبحًا ..فلا تتعجب

وها هم يقفون عاجزين أمام تنفيذ وعدهم للشيخ الأكبر فلقد كانوا يساعدون الدرويش في عمله فلقد كان يسخرهم في عمل الخير وخدمة الناس بآيات الله فهم مؤمنون بكلام الله ومسلمون، فكانوا يخدمونه ولا يملون أو يتذمرون من شيء ولكن تلك الفتاة قوية وقادرة ولم تتخذ مسلك الدرويش أباها أو جدها الأكبر، ولكنها اتخذت مسلك أخر بعيدًا عنهم، فماذا يفعلون فلن يستطيعوا مساعدتها على ما تفعله ولن يستطيعوا أن يقفوا في وجهها فكان بسمائيل جنيًا قويًا يستعين بعشائر من جن الوديان الملعونين لينفذ ما يريد وكان يحميها ويعطيها الكثير من القوة فتستطيع فعل ما تريده وها هي لقد أوشكت على الانتهاء فبقى لها القليل من الدماء وتكمل ملء الصندوق ووقتها لن يدعها تحي أو يترك أختها التوأم تحيى يومًا واحدًا، هي لا تفهم ذلك

ومهمتهم هي حماية نسل الشيخ فماذا يفعلون كانت تلك السيدة تجلس وتحكي قصتها، هم يعرفون ما سيحدث ليس تنبأ بالغيب فهم لا يعرفونه ولكن ناردين بقى لها القليل فستطلب من المرأة الدماء هم لم يستطيعوا منعها ولكنهم سيمنعون المرأة من إحضارة كما فعلوا مع الآخرين لقد كانوا يخيفونهم ويجعلونهم لا يعودون بالأطفال إليها .

ولكنه وقف لهم وحاول منعهم، ولكنهم سيحاولون فهي فرصتهم الأخيرة ويعتقدون أن ذلك الشاب هو الأخر سينفذ ما تريده الفتاة ..وسيحضر لها الدماء النقية مهما كان الثمن.

****

جلس الشاب الذي لا يتجاوز الثلاثين من عمره أمام ناردين وكانت يده ترتعد بطريقة غريبة وكأنه مصاب بمرض الرعاش قائلًا بتوتر وهو ينظر إلى عينيها بفزع :

ـــ اسمي غريب ولقد كان اسمي على مسمى فأنا غريبٌ في تلك الدنيا و أشعر أن هذا العالم ليس بعالمي فمنذ طفولتي وأنا أشعر بميل غريب ناحية عالم ما وراء الطبيعة والأشباح والجن و أشعر أنى خلقت لكي أرتاد هذا العالم فلقد كنت أشعر طوال الوقت أن هناك شيئًا غريبًا وأنني مختلف عن كل البشر ومتميز عنهم وبي شيء غريب لا أعرف ما هو فكنت دائم الشرود والتفكير في هذا العالم الغامض الغريب و أشعر أنى خلقت لكي أكون أحد أفراد عالم ما وراء الطبيعة وكنت دائم التفكير فى الباراسيكولوجى و الظواهر الخارقة.

وفى أحد الأيام منذ أكثر من خمسة عشر عامًا كنت في زيارتي

لمدينة الإسكندرية وكنت بشارع النبي دانيال بالعطارين وهناك بالشارع كان البائعون يجلسون على الأرض ويفترشون الأرصفة لبيع الكتب القديمة فوجدت كتابًا غريبًا اسمه « كتاب شمس المعارف الكبرى» بطبعته القديمة ذات الورق الأصفر والغلاف الأصفر السميك و بعض الكتب الأخرى التي تتحدث عن السحر وتحضير الجن وما وراء الطبيعة .

وما إن رأيت هذه الكتب حتى تملكتني الرغبة الشديدة في شرائها ومعرفة ما بها والتعرف على ذلك العالم الغامض الذي يجذبني دائمًا ...

فلم أتردد لحظة واحدة واشتريتها كلها بسعر مغرٍ وبدأت بكتاب شمس المعارف اقرأ فيه في بعض الصفحات واقرأ الكتب الأخرى وكان ضمن المجموعة كتاب اسمه «حكايتي مع الجن والعفاريت»وكتاب « دعوة الجلجلوتية الكبرى

«وكتاب «مطرقة الساحرات»، « تحضير الجان» «القسم السليماني»

منذ أن بدأت بقراءة تلك الكتب الغريبة هذه اللحظة وقد تبدلت حياتي تمامًا حيث بدأت أشعر بوجود أحد معي في الغرفة و بدأت أرى الصور التي على الحائط تبتسم لي وتغير من شكلها أحيانا ..

لقد كنت في هذه الفترة صغيرًا في مرحلة المراهقة فأصابني الرعب والفزع فرفعت كل الصور من البيت، و جمعت كل الكتب التي اشتريتها ووضعتهم في حقيبة ووضعتهم فوق الخزانة حتى أتناساهم نهائيًا ولكن الظواهر والأشياء الغريبة لم تختفِ بل كانت مستمرة

كنت أوهم نفسي أنها أوهام ولم أركز معها و بعد عدة سنوات قتلني الشوق إلى هذا العالم وتلك الكتب من جديد وقتها كنت أنهيت دراستي الجامعية ولم أكن وجدت عملًا مناسبًا بعد، فكنت أشعر بالفراغ الشديد والشوق لتحقيق أحلامي كنت أعرف أنك إن حضرت جني وسخرته لخدمتك ربما حقق لك ما تريد ففكرت ولما لا فربما سخرت جنيًا وحقق لي ما أريد ..ووجدت عملًا مناسب وسيارة ومنزلًا أتزوج فيه وعروسًا جميلة فوق البيعة من يدري فللجن طرقهم الخاصة في تحقيق الاحلام؟

أنزلت الكتب القديمة التي كنت اشتريتها قديمًا من فوق الخزانة وبدأت بقراءتها بعمق تلك المرة وليس قراءة عابرة والتهمتها من الجلدة للجلدة وكأنني سأمتحن فيها ...فلقد حفظت أجزاء منها عن ظهر قلب .

و بدأت أشعر من جديد أنه يوجد أحد في الغرفة معي ويراقبني ولكن هذه المرة بدأت تحدث أشياء أغرب فمثلاً كنت أجلس يوم بمفردي رأيت شخص يمشى فى الصالة وظننت وقتها أنه واحدًا من أهلي لأني لم أميز ملامحه جيدًا ثم اكتشفت أنني وحدي في المنزل فعائلتي خرجت يومها لزيارة عمي المريض وكنت كثيرًا أشعر بتنفس أحدهم خلفي فلهيب أنفاسه تحرقني على الرغم أنى أجلس في غرفة مغلقة .

أدخل إلى غرفتي فأشعر بالباب يغلق بقوة أكبر مما أغلقه بها كأن أحدًا يدفعه معي و أسمع صوت أشياء تتحطم وتسقط أرضًا وعندما أبحث لا أجد أي شيء نهائيًا ..

فكانوا يريدونني أن أعرف أنهم حضروا، فبدأوا يحركون الجماد

من حولي ولكني كنت غبيًا ولم أفهم شيئًا فلم تكن عندي الخبرة عن إشاراتهم للحضور.

فكنت أخاف من دخول دورة المياه لأنني عندما أدخل فأشعر بوجود شخص يراقبني و أسمع صوتًا غريبًا وكأن شيئًا وقع بجواري ولمس قدمي فأنظر برعب فلا أجد شيئًا فكنت أشعر بمن مرر ريشة على قدمي .

كنت أشعر بخوف غريب ومبهم من كل ما يحدث حولي..

وذات يوم كنا نجلس أنا وأخي نلعب ولا أدري لما ألتفت إلى غرفتي في تلك اللحظة فوجدت شخصًا غريبًا ينظر إلينا من ركن الغرفة المظلم، كانت هيئته مريعة وعيونه حمراء دموية ولكنه اختفى بسرعة خلال ثوانٍ حتى من قبل أن أصرخ ليراه غيري..

كنت أعتقد أنها هلاوس بصرية خداع بصري و ارتحت لهذا التفسير حتى لا أوهم نفسي ولكني كنت أشعر أن شيئًا غريبًا يحدث معي إلى أن جاء ذلك اليوم الشؤم الذي لن أنساه ما حييت يوم قابلتهم وسمعت صوتهم ..

وقتها كنت أسير في الصالة وكانت الغرفة مظلمة فنظرت داخلها فرأيت نفس الشخص بمنظره وهيئته المريعة وبعيونه الحمراء الدموية يقف في ركن من أركان الغرفة وتنير عينيه المكان، ينظر إلى ويبتسم بسخرية هذه المرة تأكدت أن الأمر ليس وهمًا ولكن يبدو أنني جلبت الشر بقراءة تلك الكتب التي لم أفهم معناها حقًّا ويومها قررت أن أترك هذا العالم بلا رجعة و أن أحرق جميع الكتب ..

جمعت الكتب وقمت بتقطيعها جميعًا وتمزيقها بما فيهم كتاب شمس المعارف ووضعتها في كيس كبير استعدادًا لحرقها صباحًا فوق سطح المنزل لأن كمية الورق كانت كثيرة

وفى هذه الليلة كنت خائفًا و أشعر بالرعب الشديد والقلق لا أدري لماذا وهنا سمعت أصوات تنفس أحدهم في غرفتي بصراحة فانتصب شعر يدي قررت أن أدخل كلبي إلى الغرفة بعد نوم كل عائلتي، لأني أعلم أن الحيوانات وخصوصًا الكلاب تستطيع أن ترى الجن بما منحها الله من هذه القدرة فوجدت الكلب ينظر إلى ركن من أركان الغرفة بعيون متسعة وينبح بشدة بطريقة مفزعة وشعر جسمه وآذانه انتصب بشكل غريب ثم يصعد على السرير بفزع ويلف حول نفسه وينظر لنفس البقعة وينبح بشدة وبعدها ذهب إلى الباب محاولًا الخروج وهو ينظر إلى نفس الركن وبعدها ذهب إلى باب الغرفة و أخذ يضرب الباب في محاولة للخروج والفرار من الغرفة وما بداخلها .

فأخرجته وأنا أشعر بالرعب والفزع والتوتر فلقد تأكدت أن هناك شيئًا غير طبيعي وهناك جني بالغرفة أثار فزع الكلب .

إنه نفس الركن الذي أشعر فيه بتنفس أحدهم دائمًا وهو نفس الركن من الغرفة الذي رأيت فيه الرجل يبتسم لي ..

وهنا غطيت جسدي بالكامل بالبطانية بينما عيوني تدمع وبعد فترة حاولت أن أستجمع شجاعتي وقلت بخوف وبصوت متقطع خرج بصعوبة من حلقي الجاف :

ــ هل هناك أحد بالغرفة من عمار المكان ؟

لم يرد أحد فتشجعت وهمست لنفسي ربما كانت أوهام فقلت :

ـــ إن كان هناك أحد بالغرفة فليرحل بسلام وبدأت اقرأ سورة الزلزلة لأني علمت من قراءاتي أنها لصرف الجان وقبل أن أصل إلى كلمة أشتاتًا سمعت صوتًا خافضًا هادئ يقول :- هل تريدني أن أرحل حقا بعد أن حضرتني؟؟

توقفت الكلمات في حلقي وشعرت بالصداع والتوتر فلم استطع إكمال السورة وكرر الصوت السؤال ثانية :

ـــ هل تريدني أن أرحل حقًّا بعد أن حضرتني؟؟؟

ـــ فرددت بصوت مهزوز :

ـــ من أنت ؟

فرد بنفس السؤال ثانية :

ـــ هل تريدني أن أرحل حقًّا بعد أن حضرتني ؟؟؟

لم أستطع أن أرد عليه لقد كنت خائفًا مرعوبًا وهنا حدث ما كان ينقصني..

فلقد انفصلت الكهرباء و وجدت الغرفة وقد أظلمت كالقبور..

و وجدت جسدي يرتفع بهدوء عن السرير و أشعر أن هناك يد خفية تحركني كنت أحاول الحركة ولكنى كنت أشعر أنني مقيد بغير قيود كنت أسمع صوت خوار ثور ممتزج مع مواء قطط شعرت بالرغبة في التقيؤ وإفراغ ما في معدتي، وتملكني إحساس عجيب ومريع ..

لا أستطيع وصفه حتى إنني بللت ملابسي ثم وجدت نفسي على شيء يشبه طاولة العيش أو خشبة طويلة محمولًا عليها، وبعدها سمعت صوت أجش غليظ يقول لي بغلظة :

لـولا أننـا نعلـم أنـك لم تكـن تقصـد مـا كنـا سـامحناك عـلى تمزيـق الكتـب أيهـا الإنـسي الأحمـق.

و أكمل الصوت قائلًا بغلظة:

إن إحـراق الكتـب شيء خطـير وربـما أصابـك بـضرر كبـير فـإذا أردت التخلـص منهـا يجـب أن تضعهـا في المـاء يـوم أو اثنـين حتـى تـذوب بالكامـل وتنمحـي الكتابـة أو تـذوب الأوراق ولا يعـود لهـا أثر.

وقتهـا يمكنـك أن تتخلـص منهـا أن ترمـي الأوراق المبتلـة في مـكان وترمـى المـاء في مـكان أخـر فـلا يجتمعـان ثانيـة.

يومهـا عـدت إلى سريـري و أنتهـت التجربـة المريـرة ولكنـى في هـذه الليلـة سـمعت أصواتهـم المريعـة فقـط ولم أرهـم.

و أخذت أسمع أصواتهم باستمرار وأحدثهم ويحدثونني

و أخـبروني أنهـم يتشـكلون في صـور مخيفـة لكـي يخيفـوا البـشر و هـم متواجـدون حولنـا في كل مـكان سـكان المـكان مـن الجـان أو مـن يسـمون بالعـمار أي الجنـي عامـر.

وحينـما طلبـت منهـم أن أراهـم قالـوا: إنـى لا أسـتطيع رؤيتهـم عـلى أشـكالهم فقـد يحـدث لي مكـروه إذا رأيتهـم عـلى أشـكالهم الحقيقيـة فلـم أكـرر الطلـب مـرة أخـرى ..

ولكنهـم بـدأوا يطلبـون منـي الكثـير فلـم يحققـوا لي طلبًـا أو أمنيـة ولم أسـخرهم كـما كنـت أعتقـد، ولكنهـم هـم مـن سـخروني لخدمتهـم وجلـب لهـم الكثـير مـن الأشـياء القـذرة كـروث الحيوانـات وعظامهـا والدمـاء وأشـياء كثـيرة.

ولقد تعبت وحاولت صرفهم ولكنهم رفضوا أن يرحلوا بسلام، وقالوا لي: إنني ملكهم وليس لي سلطان على نفسي .

فأنا أريدك ابنة الدرويش أن تخلصيني منهم وتجعليهم يرحلون، فلقد فقدت صوابي و ابتعد عني الجميع معتقدين أنني مجنون وفقدت عقلي ولم أجد عملًا حتى اليوم ولم يحققوا لي شيئًا !

حتى يدي أصبحت ترتعد وترتعش باستمرار وكأنني مصاب بمرض الرعاش ولا أستطع تحريكها كالسابق ولا أحد يعرف سبب تلك الحالة التي وصلت إليها حتى الأطباء احتاروا في علاج يدي..

أريدك أن تبعديهم عني من فضلك، أعرف أنني مذنب وأخطأت بشراء وقراءة تلك الكتب اللعينة التي لا أفهم فيها ولكنهم حولوا حياتي إلى جحيم أسود اصرفيهم ودعيهم يدعونني وشأني و أعرف بقدراتك الخارقة و اتصالك بهم ...

نظرت ناردين للشاب الوسيم الجالس أمامها بعد أن أنهى قصته وكانت دموعه تتساقط وينظر لها برجاء ؟؟

و رأتهم خلفه أربعة من الجن الأقوياء بأجسادهم القوية وعيونهم البارزة الجاحظة التي تأخذ نصف وجوههم وأجسادهم المليئة بالشعر الأسود الطويل ورؤوسهم المستطيلة التي تنتهي قرنان كبيران لقد كانوا يرافقونه ويجلسون خلفه الآن ...

هي تعرف أنه سيموت إن خرج من تلك الغرفة فلن يدعوه يصرفهم بسهولة فهو من فعل ذلك بنفسه فلقد وهب نفسه لهم بقراءته في تلك الكتب الغريبة التي تمارس السحر الأسود ولكنها تعرف أيضًا أنه سيفعل أي شيء ليتركوه يحيى بسلام ؟

فلن تدعهم يفتكون به فهو لها الآن ؟

نعم هو يستحق الموت وهو من جلب لنفسه الشر، فلماذا يقرأ في كتب لا يفهم معناها ؟

ولكن الموت ليس الآن فهو الذي سيجلب لها ما تريد لإكمال ملء الصندوق.

و لابد من إحضار الصبي لها أو الفتاة لأخذ الدماء لإكمال ما بدأت فلن يوقفها أحد حتى و إن كانوا جنًا من الوديان الأقوياء فلن يكونا أقوى منها ؟

****

في إحدى الحارات الضيقة في منطقة الويلي

وقفت نيرمين تسأل أحد المارين عن عنوان مكتوب في ورقة صغيرة و كان عنوان أم نوفل صديقة أمها فلقد قررت أن تعرف الحقيقة أولًا وبعدها ستذهب إلى أختها لتأخذها بالقوة فلن تدعها تحيا يومًا واحدًا بذلك المنزل الملعون فستعود معها إلى الإسكندرية ويتناسون ما حدث.

قال الرجل وهو يشير بيديه :

ـــ ها هو يا آنسة، إنه ذلك المنزل الأصفر هناك المكون من طابقين.

ـــ أشكرك سيدي ورحلت نيرمين لتدخل إلى باب المنزل القديم المتهالك فكان مكتوب بالورقة الدور الثاني شقة ٤ صعدت الدرج ولم تسأل أحد أخر وأخيرًا وجدت ضالتها فلقد وجدت نفسها أمام إحدى الشقق كتب فوقها رقم ٤

أخـذت دقيقـة تسـتجمع قوتهـا وبأسـها قبـل أن تدخـل وترتـب أفكارهـا ...فـماذا سـتقول للمـرأة وهنـا ألقـت نظـرة سريعـة عـلى الخاتم بيديهـا و أتخـذت قرارهـا سـترن الجـرس وتعـرف مـا جـاءت مـن أجلـه.

وهنا سمعت صوتًا أجش غليظ يأتي من خلفها قائلًا :

ــ ماذا تفعلين هنا أيتها الفتاة ولماذا تقفين هكذا عندك؟

التفتـت بفـزع لـترى صاحـب الصـوت ...وبعدهـا أطلقـت صرخـة عالية .

الفصل السابع عشر
النهاية

في الشقة السفلية قالت ناردين بصوت قوي:

- لأبعدهم عنك يا غريب لابد أن تقدم لهم القربان، فلقد أخذت العهد على نفسك ووهبت لهم جسدك وحياتك فلهم الحق في فعل ما يريدون بك أيها الأحمق فلما فعلت بنفسك هذا؟

- لا ولكني لم أفعل ذلك أبدًا أيتها الدرويشة، ولم أهب أحدًا جسدي

أطلقت ناردين ضحكة عالية ساخرة ثم قالت بصوت مخيف خرج خشن أجش غليظ:

ـــ بل لقد بعت لهم نفسك و وهبتهم جسدك يوم قرأت في كتب تحضيرهم وأحضرتهم من عالمهم إلى عالمك، فهل تتخيل أنهم سيتركونك تحيا بسلام وتفلت بفعلتك أيها الأحمق فأنت من جلبت الشر فلتتحمل نتيجته.

- وماذا أفعل يا ابنة الدرويش؟ أعرف أنني أخطأت فيما فعلت ولكن كيف أصلح خطأي الآن و أجعلهم يتركونني وشأني ؟

ـــ قلت لك لابد من تقديم قربان لهم.

ـــ قربان هل أذبح لهم شيئًا

ـــ لا بـل أريـدك أن تحـضر بعـض الدمـاء لأطفـال صغـار لم يبلغـوا الحلـم ولم يرتكبـوا أي معصيـة

ـــ دمـاء أطفـال هـل تريدينني أن أذبحهـم أنـا لسـت بقاتـل أو سـفاح، إن كنتـي فهمتـي كلامـي خطـيء

ـــ لا لم أقـل لـك تذبحهـم بـل بعـض مـن دمائهـم ولـن تؤذيهـم في شيء أيهـا الغبـي فلسـت في محـل جـزارة لنذبـح فيـه الأطفـال

ـــ وكيف هذا سيحدث أحصل على دمائهم بدون قتلهم ؟؟

ـــ أحضرهـم لي وأنـا سأسـحب منهـم الدمـاء ولـن أؤذيهـم أو يمسسـهم شيء

ـــ هـل تقولـين الصـدق؟ هـل سـتخلصيني ولـن تـؤذي الأطفـال بـأي شيء؟

– نعم لا تقلق فناردين لا تكذب ولا تخلف عهدًا مهما حدث.

ـــ ولكن من أين أحضرهم ؟؟

– هـذه مشـكلتك أنـت و حياتـك وحـدك في نفـس الوقـت فحلهـا بمفـردك أيهـا الغريـب فلـم يسـاعدك أحـد عندمـا أحـضرت الجنـي، ولـن يسـاعدك أحـد في إحضـار الصبـي

– سـأحاول ولكـن هـل سـأتحول إلى خاطـف أطفـال يـا مصيبتـي ولكـن لابـد أن أتحـرر فلـم أعـد أسـتطيع العيـش معهـم لقـد أرهقتنـي طلباتهـم و أتعبتنـي و أصابتنـي بالمـرض ...

وهنـا نهـض مـن مقعـده وحـاول الرحيـل لجلـب الأطفـال ولكنهـا اسـتوقفته قائلـة :

- انتظر وأعطني ذراعك أولًا ..

- لماذا؟ فماذا ستفعلين بي ؟

- لا تخف يا فتى...سأرسم لك وشمًا يحميك من بطشهم لأنهم لن يتركوك تفعل فلن ينصرفوا بسلام!

- هل سأشعر بالألم

- لا تقلق لن تشعر بشيء.

أخذت ناردين تغرز الإبرة في لحم ذراعه وتصبغه وتدق الوشم وبعد ساعة قالت له :

- لقد انتهيت وهنا حاول النظر إلى ذراعه فرفعت رأسه إلى الأعلى وأداراتها بعيدًا قائلة :

- لا، لا ترى الوشم ولا تفكر حتى في النظر إليه فهذا لمصلحتك فما رسم فيه لم يرسم إلا لحمايتك منهم فلن يؤذيك أحد حتى تعود من جديد.

ـ ولماذا أفعل مادمت تقولين لي: إنهم لن يؤذوني بذلك الوشم؟

ابتسمت بسخرية :

ـ لا تكن غبيًا فلن يفيدك الوشم ويحميك إلا يومًا واحدًا تصرف فيه و أجلب الدماء.

ـ لا لن أجلب الدماء.

صرخت بغضب :

ـ ماذا تقول أيها المعتوه؟

أقصد سأحضر الأطفال فقط وتصرفي أنتِ معهم ولكني لن أؤذي أحدًا

ـــ هيا أسرع فسيمحى الوشم بعد يوم فالساعة الآن الخامسة فغدًا بنفس الساعة تعود كما كنت ولن تجد للوشم أي أثر فليس هناك وقت ...

خرج غريب من الشقة و كانت جليلة تقف على باب الغرفة تتصنت وسمعت كل شيء وخرج خلفه عمار المنزل الذين يحمون الفتاة ويحاولون تعطيله حتى لا يكتمل الصندوق وخرج أيضًا الأربعة من الجن الذين حضرهم وجلبهم من الوديان إلى عالمه فلن يتركوه بسلام يصرفهم فلن يعودوا لحياة الوادي القاسية.

فلقد أعجبتهم حياة البشر كثيرًا..ولا يريدون العودة

****

صرخت نيرمين بعنف وهي ترى وجه ذلك الرجل المشوه أمامها كان كالمسخ فأدار الرجل وجهه بغضب قائلًا:

ـــ هل رأيت شبحًا يا فتاة فماذا تريدين من هذا المنزل ولماذا تقفين هكذا؟

ـــ أعتذر لك لم أقصد إهانتك سامحني أرجوك

ـــ لا تعتذري وقولي لي: ماذا تريدين من هنا؟

ـــ أريد أم نوفل فهل هي هنا من فضلك ؟

ـــ أم نوفل! ولماذا تريدينها؟ وفي أي شيء؟

ـــ أريد أن أعرف منها شيئًا هامًا من فضلك!

ـــ ومن أنت ؟

ـــ أرجوك أخبرني هل هي هنا ؟

ـــ لا ..

ـ وأين ذهبت أريد أن أعرف منها الحقيقة و كل شيء ؟

ـ أي حقيقة ومن أنت ؟

ـ أخذت نيرمين تبكي بقهر قائلة :

ـ بالله عليك دلني على مكانها

ـ هل أنت مجنونة يا فتاة؟!

ـ ماذا؟ فأنا أريد أم نوفل، وهنا أخذت تدق الباب بعنف دون جدوى.

ـ اهدئي فلن تفتح لك، ولن يفتح لك أحد فلن تستطيعي رؤيتها.

ـ لماذا تقول هذا؟

ـ لأن أم نوفل ماتت منذ زمن فمن أنت وماذا تريدين منها؟

ـ ماتت؟! ومن سيخبرني الحقيقة الآن ؟!

****

خرج غريب يفكر كيف سيحضر صبي لتلك الساحرة هو يعرف أنها ستساعده وتخلصه منهم وهنا فكر في أطفال الشوارع الذين يملئون الميادين فلما لا يخطف طفلًا منهم أو اثنين فمن سيهتم لأمرهم حتى و إن كانت كاذبة وقتلتهم فمن سيهتم لأمرهم هو سيقدم لهم معروفًا ويريحهم من تلك الحياة القاسية التي يعيشونها بالشوارع مشردين دون منزل ومأوى لهم .

ذهب أسفل أحد الكباري وهنا وجد ضالته لقد كانت فتاة صغيرة لم تبلغ عامها السابع تلهو وتلعب في القمامة باحثة عن كسرة خبز لتسد بها جوعها .

اقترب منها قائلًا :

ــ هل أنت جائعة أيتها الصغيرة وتريدين الطعام؟

نظرت له بخوف فمنذ متى يعطف عليها البشر ويقدمون لها الطعام، فأخر مرة لن تنساها يوم قدم لها أحدهم الطعام ويومها لم يرحم طفولتها ولا براءتها ولا ذلها ..

فقام بالاعتداء عليها وعذبها لم تكن تعرف ماذا يفعل بها ذلك البغيض ولماذا ؟

وما ذنبها هي إن ولدت لتجد نفسها بالشارع لا تعرف لها أبًا ولا أمًا..

لم تمت يومها ولكنها نزفت حتى كادت تموت وقاموا بنقلها للمستشفى وعلاجها وكانت وقتها فقدت كل شيء و بعدها ألقوا بها من جديد إلى الشارع لتواجه نفس المصير. لماذا لم يكن عندهم رحمة ويبعدوها عن كل هذا ؟ لماذا خلقت؟ و لماذا أتت إلى تلك الحياة لتعاني؟ وما ذنبها ؟

و الآن ماذا يريد منها هذا الرجل هو الأخر هل سيفعل معها كما فعل الأخر وسيغتصبها ؟

أم سيفعل كما فعل مع على أخوها الذي وجدوه ميتًا فارغ البطن والأعضاء كانت بطنه خاوية لا يوجد بها شيء لقد أخذوا منه كل شيء حتى عينيه لم يتركوا مكانها إلا ذلك التجويف الفارغ.. لقد رأته يومها بجوار القمامة وكأنه قمامة تخلصوا منها.

فماذا فعل عليٌّ لهم ليفعلوا فيه ذلك ويسرقون أعضاءه ويحرمونه من الحياة ؟

هل لأنه طفل ولد في الشارع ولا يعرف له أمًا أو أبًا ؟؟

هـل لأنهـا طفلـة ولـدت في الشـارع فأطلقـوا عليهـا أطفـال الشـوارع ومـا ذنبهـا هـي حتـى يفعلـوا معهـا كل ذلـك ؟

حـاول غريـب الاقـتراب ولكنهـا ابتعـدت للخلـف بذعـر وهـي تتذكـر تلـك الليلـة المشـئومة ومـا فعلـه الأخـر بهـا!

وهنـا رأتهـم مـن خلفـه بعيونهـم الحمـراء الدمويـة و وجوههـم السـوداء المنفـرة كانـوا مرعبـين بهيئتهـم وقرونهـم فصرخـت برعـب وظلـت تـصرخ ...ثـم ركضـت بـكل قوتهـا محاولـة الفـرار مـن هـؤلاء الشـياطين فـماذا فعلـت هـي لتطاردهـا الشـياطين المرعبـة ..ألا يكفيهـا شـياطين الإنـس ؟؟؟

و ركـض هـو خلفهـا مسرعًـا ولكنـه لم يمسـك بهـا فلـم تنتبـه الفتـاة الصغـيرة إلى تلـك السـيارة المسرعـة التـي دهسـتها تحـت عجلاتهـا وفـرت هاربـة ...

ركـض هـو إلى مـكان الحـادث و وجـد النـاس قـد تجمعـوا حـول الفتـاة التـي فارقـت الحيـاة وذهبـت إلى عـالم أفضـل مـن عالمهـا و رحمـة رب العالمـين التـي حرمـت منهـا بـين البـشر ..

اقـترب هـو و كان يشـغل تفكـيره شـيئًا واحـدًا فلـم تهمـه الفتـاة في شيء فلقـد ارتاحـت مـن الحيـاة التـي تعيشـها.

ولكـن هـل سيسـتطيع تجميـع دمـاء الفتـاة و أخذهـا إلى السـاحرة ولكنـه حينـما اقـترب أكثـر وجـد أن الدمـاء قـد جفـت عـلى الأرض ...فضاعـت فرصتـه ..فليبحـث عـن طفـلًا أخـر فليـس هنـاك وقـت لـكل هـذا الهـراء؟؟؟

****

ـ اهدئي يا فتاة واخبريني ماذا هناك؟

ـ لا أعرف ماذا أقول لك ولكن أم نوفل كانت الأمل الأخير لمعرفة الحقيقة فلقد وصتني أمي بالذهاب إليها قبل موتها، وقالت لي: إنها ستخبرني بكل شيء ؟

ـ أمك من فأنا نوفل ابنها فربما عرفتها وساعدتك؟؟

ـ هل أنت ابنها نوفل حقا ؟؟

ـ نعم هو، من أنت يا فتاة وماذا تريدين من أمي رحمها الله ؟

ـ أنا نيرمين درويش ولقد أعطتني أمي ذلك الخاتم قبل موتها وأخبرتني أن أمك ستخبرني الحقيقة؟

ـ نيرمين ابنة الدرويش ؟

ـ هل تعرف أبي يا نوفل؟

- ومن لا يعرف الدرويش هل ترين ذلك التشوه بوجهي فبسبب أبوك ذلك الدجال الساحر لقد شوه وجهي حينما كنت صبيًا لينتقم من أمي رحمها الله فهي من ساعدت أمك على الهروب بكم و أنتم صغار فلقد كنتما رضيعتين وقتها ولم تتحمل أمك الحياة ؟؟

ـ ماذا تقول ؟؟

ـ الحقيقية يا نيرمين لقد كان أبوك ساحرًا ويتعامل مع الجن ويسخرهم لخدمته، ويقول إنه يحاربهم وهو أحد جنود الله المكلفون على الأرض كلام غريب اكتشفته أمك بعد زواجها منه فلم تكن تعرف كل هذا.

و كان يجعل عمتك جليلة تساعده في عمله فرفض أي عريس تقدم لطلب يدها؛ لأنه أخبر أمك أن مساعدته لابد أن تكن عذراء.

وكان يسخر بعض الجن من عمار المكان لخدمة أمك في المنزل ومراقبتها فكانت لا تفعل شيئًا، عمار المنزل هم من يفعلون كل شيء من تنظيف و إعداد طعام وكل شيء تتخيلينه.

ولكن أمك لم تتحمل وكانت تشعر بالفزع والرعب وكانت ستفقد عقلها وتجن لم تستطع الهروب بحملها.

لأنها حملت من أول يوم زواج وحبسها أبوك بالمنزل وعندما ولدت أنت و أختك خافت عليكن ليصبح مصيركما كمصير جليلة عمتكما فحاولت الهروب كثيرًا وأخيرًا هربت بمساعدة أمي رحمها الله فلقد كانت صديقتها الوحيدة بالحياة يومها كان أبوك مسافرًا ..

ويومها أتى الدرويش هنا فانتقم من أمي بحرق قلبها علي وألقى ببعض التراب على وجهي وكنت وقتها صبيًا لم أتجاوز الحادية عشر فشوه وجهي وأصبحت هكذا منذ سنين وأنا مشوه يخافني الناس فلقد دمر أبوك حياتي بسببكم أنتم فلن أفتح بيتًا و أكون أسرة، فلن ترضى أي فتاة بالزواج من ذلك المسخ المشوه وتقضي معه كل سنوات عمرها و الآن ارحلي فلقد عرفت كل شيء ولا تعودين إلى هنا من جديد..

نظرت له نيرمين بإشفاق وتساقطت دموعها حزنًا على ذلك الفتى ..

ولكنها أخيرًا عرفت الحقيقة ..

وعرفت حقيقة والدها، ولماذا هربت أمها وفرت من المنزل بهما حينما كانا صغارًا ولكن لماذا لم يعدهم الأب بالقوة وبالاستعانة بالجن إن كانوا يستطيعون المعرفة؟

لماذا لم يعيدهم الأب وتركهم وأكمل حياته وكأن هناك من يمنعه من فعل ذلك ؟

إنه شيء غريب حقًّا ؟

ولكنها اتخذت قرارها سوف تذهب إلى منزل جدتها لتأخذ أختها ناردين وعمتها لتعود أدراجها إلى الإسكندرية فلن تدعهما يعيشان بذلك المنزل الملعون ويبدو أن عمتها جليلة عانت الكثير.. في حياتها وتعذبت بسبب والدي سامحه الله ..

****

ـ وأخيرًا حصلت عليك أيها الغبي لماذا تفر مني ؟

ـ ماذا تريد مني عمي غريب ؟

ـ أريدك مجدي أن تاتي معي مشوار أنت و أختك هنا وسوف أحضر لكما أشياء كثيرة وحلويات؟؟

ـ أنت ولكن لماذا يا عم غريب فلم تفعلها من قبل ؟

ـ اسمع الكلام يا ولد ؟؟

ـ لا فلقد حذرتني أمي منك و أخافتني ؟؟

ـ اللعينة

ـ لا تشتم أم ...وهنا قطع كلامه وهو يرى تلك الأشياء المرعبة خلف عمه بوجههم السوداء المشعرة وعيونهم الحمراء فصرخ الصبي فزعًا ثم سقط فاقد الوعي ..

وهنا هتف غريب ....:

ـ هذا أفضل لك ولي وحمله بين يديه ورحل ...إلى منزل الدرويش.

لم يستطع أي منهم منعه فلقد كان يحمل الوشم الذي جعلهم يبتعدون عنه ولا يستطيعون مسه ...فكانوا يخيفون الأطفال ليهربوا من أمامه ولكن ذلك الفتى سقط فاقد الوعي فلم يستطيعوا التأثير عليه؟

****

في منزل الدرويش

وقفت جليلة تنظر بفزع وعيون مذعورة إلى ذلك الصبي الصغير الذي أحضره الغريب بين يديه فهي تعرف أنه الأخير وسيكتمل بدمائه الصندوق لا محالة.

وكانت ناردين تجلس القرفصاء في صمت فنظرت لها برعب و انقلبت عيناها لتصبح كلها بيضاء فخرجت جليلة مفزوعة وهي تشعر بالرعب فلابد أن تحمل أغراضها وتهرب الآن فإن لم تهرب الآن فلن تهرب طوال حياتها وربما ماتت بعد اكتمال الطقوس والصندوق اللعين وهنا صعدت لتجمع ملابسها وهي تسمع تلك الأصوات العالية والنفير المزعج الذي يصم الآذان .

كانت تريد الفرار من ذلك الجحيم ومما سيحدث بعد قليل بعد أن تنهي ناردين عملها وتجمع له الدماء .

أخذت ملابسها ومصاغ وذهب أمها وبعض النقود التي كانت تدخرها أمها ونزلت الدرج مسرعة كانت تريد الهروب قبل أن تحدث تلك المصيبة التي لا يعلم أحد سوى الله ماذا سيحدث فيها؟

التفتت إلى الشقة السفلية وكانت تخرج منها أضواء خضراء قوية تعمى البصر وكانت أصوات خوار الثور عالٍ شعرت

بالرهبة والخوف فتحت باب مدخل البيت لتصطدم بنيرمين في وجهها فسقطت الحقيبة من بين يديها بقوة مصدرة صوتًا عاليًا

فقالت نيرمين :

ــ عمتي جليلة إلى أين تذهبين وأين ناردين ؟؟؟

وهنا فقط تكلمت وأخرجت لسانها قائلة:

– اهربي يا نيرمين اهربي فلن يدعك يا بنيتي فأنتِ من نفس الدم الملعون اهربي ؟؟

نظرت نيرمين بدهشة إلى عمتها حتى كادت عيونها تخرج من مقلتيها :

ــ هل تتكلمين يا عمتي ؟؟

ــ اهربي اهربي الآن فليس هناك وقت فأنت غير الأخرى فهي تستحق الموت؟

ــ أهرب ولكن أين ناردين أختي فلن أسمح لأحد بأذيتها أبدًا يا عمتي.

ــ اتركيها فهي تستحق؟؟

ــ لاااااااااااااا.....

صرخت نيرمين وهي تدخل وتقتحم الشقة السفلية وهي تري تلك الأضواء القوية وتسمع تلك الأصوات العالية من حولها تصم آذانها ؟

نظرت لها جليلة بحزن ثم فرت هاربة فلن تسنح لها الفرصة مرة أخرى ولتفعل الفتاة ما تريد فهي من اختارت ولن تجبرها على فعل ما لا تريد فلتذهب حتى إلى الجحيم لن تمنعها ...

وفرت جليلة هاربة وهي تحمل حقيبتها وتشعر بالسعادة فهذه المرة الأولى التي ترى فيها الشارع منذ سنوات طويلة فيا لطعم الحرية وجمالها...فليذهب الجميع إلى الجحيم من أجلها ..من يبالي وقتها .

****

دخلت نيرمين الغرفة التي كانت مغلقة بقوة وأخذت تدفع الباب بعنف وهنا انفتح الباب بعد أن تدخل عمار المنزل وساعدوها على فتحة ووقفت نيرمين مذهولة مما ترى، فلقد رأت أمامها أختها وهي تضع خرطوم طويل بنهايته إبرة بذراع طفل صغير وتصفي دماءه لتضعها بذلك الصندوق اللعين .. و كانت ألوان خضراء تخرج منه وتتحرك بالهواء وتتشكل في هيئة أشياء غريبة وكائنات كالتي ترسمها أختها على ذراعها دومًا كانت الأشياء شكلها مخيف ولها عيون حمراء فما هذا الهراء ؟

صرخت نيرمين بقوة وأخذت تردد ما تحفظه من كتاب الله واندفعت إلى ذراع الصبي فنزعت منه الإبرة ووضعت يديها لتكتم الدماء وهنا صرخت ناردين في وجهها قائلة بصوت خرج خشن غليظ.

من بين شفتيها :

ـــ ماذا فعلت أيتها المجنونة لقد كنت أوشكت على الانتهاء من إتمام انتقامي وأقدم قرباني فماذا فعلت

ـــ احتضنت نيرمين الصبي بقوة وهي تحاول حمايته قائلة :

ـــ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اهدئي أختي و اذكري الله وسوف يتركك ويرحل فلن يتحمل كلمات الله ستحرقه صدقيني ..

وهنا سمعت صوتها الغليظ وهي تطير في الهواء وترتفع عن الأرض رافعة ذراعها بجوارها قائلة :

ـــ لماذا تدخلت الآن أيتها الغبية دائمًا وأنت تفسدين كل شيء أيتها الحمقاء كجدك الأكبر فهو من عذبني وقتل زوجتي وابني الوحيد ولابد إن أقضي على نسله، فإن كان يعتقد أنني سأحفظ العهد معه ولا أؤذيكم فهو مخطئ فلا يوجد جني مجوسي يحفظ العهد سيموت جميع النسل ولن يحيا منه أحد ..

وهنا صرخ غريب بقوة فماذا فعل في نفسه فقال :

ـــ اتركيني أرحل ولكن ناردين رفعت ذراعها ليرتفع الغريب عن الأرض ثم يسقط على رأسه بقوة فأخذت رأسه تنزف بغزارة حاولت نيرمين أن تقترب منه لتوقف تلك الدماء ولكنها شعرت بمن يثبت أقدامها بالأرض ويشل حركتها ....نظرت إلى الارض فوجدت أيادي سوداء مشعرة تخرج من الأرض وتمسك أقدامها بقوة

فصرخت بفزع وتوسل قائلة:

ـــ اخرج من جسدها بالله عليك واترك أختي ...فلقد قتلت من أذاك جدى سامحه الله وليس لنا ذنب في شيء؟

سمعت صوت ناردين يصرخ بقوة:

ـــ أنتِ لا تعرفين كيف أذاني وقتل من احب وسأقتل كل نسل وذرية له فسينقطع خيطه من على وجه الأرض من أجل سمسائل وسيلا فمن سيعيدهم لي لقد انتظرت سنوات طويلة لأرى تلك اللحظة و أجمع صندوق الخطايا إلي قبر سيلا و أخبرها أنني انتقمت.

أخـذت نيرمـين تـردد مـا تحفظـة مـن آيـات الله وهنـا تذكـرت صـورة الزلزلـة فهـي تصرفهـا أخـذت ترددهـا و أخـذ هـو يـصرخ بغضـب مهـددًا إيَّهـا بالعـذاب:

ـ اصمتي يا فتاة ولا تتكلمي اغلقي فمك .

لم تغلـق فمهـا وظلـت تـردد آيـات الله ..أخـذ كل شيء مـن حولهـا يتسـاقط بعنـف ويـضرب وجههـا لم تصمـت بـل أخـذت تـردد بصـوت أعـلى و أعـلى، وكان الـصراخ مـن حولهـا عاليًـا، نظـرت إلى سـقف الغرفـة برعـب فلقـد كانـت ناردين معلقـة بالسـقف بطريقـة غريبـة وكأنهـا نائمـة عليـه أو هنـاك مغناطيـس يجذبهـا إليـه صرخـت ناردين بغضـب بصـوت الجنـي المخيـف:

ــ اصمتي و إلا قتلتها والقيتها من هنا ..

نظـرت برهـة اليـه ولكنهـا كانـت تعـرف أنـه مخـادع، فـأن صمتـت سـيكمل انتقامـه وسـيقتلها هـي و أختهـا فى النهايـة، ففكـرت مـاذا تفعـل وهنـا هتفـت بحـماس إنـه الصنـدوق فلابـد أن تشـتت انتبـاه بالصنـدوق، فأسرعـت إليـه وقلبـت الصنـدوق عـلى الأرض فسـالت الدمـاء وهنـا نزلـت ناردين و أخـذت تـصرخ بصـوت غليـظ :

ــ مـاذا فعلـت بصنـدوق الخطايـا سـتندمين ولكنهـا أغمضـت عينيهـا و أخـذت تكمـل مـا بـدأت وترتـل مـا تحفظـه مـن القـرآن الكريـم، وبعدهـا قـرأت سـورة الزلزلـة ثـلاث مـرات كـما أخبرهـا جدهـا، وبعدهـا رددت الكلـمات التـي علمهـا إيَّهـا فأخـذت تقولهـا بصـوت قـوى عـالٍ:

- (« أقسـمت عليـك « بسـمائيل» بـالله و عظمتـه و العـرش و رفعتـه و الكـرسي و سـعته وجبرائيـل وروحيتـه، و إسرافيـل و نفختـه، و

ميكائيـل و أمنتـه، و عزرائيـل و قبضتـه أنكـم لا تعصـوا مـن دعاكـم بأسـمائه بحـق العهـد و الميثـاق و بـما عاهدكـم بـه سـيدنا سـليمان بـن داوود عليـه السـلام عنـد بـاب الهيـكل الكبـير ببابـل و ألا تنقضـوا الأيـمان بعـد توكيدهـا، و قـد جعلـت الله عليكـم كفيـلًا، و كان عهـد الله مسـؤلًا ،أينـما تكونـوا يـأتِ بكـم الله جميعًـا إن الله عـلي كل شيء قديـر.

– الوحـا الوحـا العجـل العجـل السـاعة السـاعة بـارك الله فيكـم و عليكـم.»)

ـــ أخـذت ناردين تـصرخ قائلـة توقفـي نيرمـين مـن أجـلي، إنـه يعذبنـي وسـأموت.

أخـذت نيرمـين تبكـي بقهـر وهـي تـرى ضعـف أختهـا وهـي تتوسـل لهـا أن تتوقـف عـن ترديـد تلـك الكـمات التـى لا تفهـم معناهـا ولكـن الشـيخ الجليـل حذرهـا مـن التوقـف فلابـد أن تقـضي عـلى تلـك اللعنـة وتحبـس الجنـي بسـمائيل بالصنـدوق فأخـذت تـردد القسـم وهـي تغلـق عينيهـا وتضـع يديهـا عـلى أذنهـا.

ارتفعـت تلـك الأصـوات العاليـة والهمهـمات وصـوت خـوار الثور ممتـزج بمـواء قطـط تعـوي كذئـب جريـح وهنـا عـم الظـلام مـرة واحدة إلا مـن تلـك الأشـياء الخـضراء التـي تتحـرك بانسـيابية في الهـواء خارجة مـن ذلـك الصنـدوق الأسـود اللعـين صنـدوق الخطايـا، كانـت الأشـياء كالبخـار ولكـن لونـه أخـضر كثيـف كانـت تتشـكل لتفعـل أشـكال غريبـة ومخيفـة تفـزع وترهـب القلـوب عنـد رؤيتهـا ...وربـما أعمتهـا مـن شـدة بريقهـا وبعدها...عـم السـكون مـرة واحـدة وأخـذت هـي تلـف وتـدور بالغرفـة في انسـيابية غريبـة .

****

أخـذ يـدق بـاب المنـزل مـن الخـارج بقـوة وهـو ينـادي عـلى خطيبتـه، إنـه محمـود لقـد عـاد مـن أجلهـا فلـم يسـتطع تركهـا وحيـدة هـو يعلـم أن شـيئًا سـيئًا يحـدث لهـا ..

لم تفتـح لـه ولم يـرد عليـه أحـد اتصـل بقـوات الشرطـة لتقتحـم المنـزل وتفتـح البـاب عنـوة..

فوجـدوا الثـلاث جثـث ملقـاة عـلى الأرض تنـزف بغـزارة يخـرج الدمـاء غذيـرا مـن فتحـات جسـدها ...

وهنـا صرخ محمـود بفـزع مـن هـذا المشـهد الصعـب الـذي رآه مـن قبـل في الصـور وعـلى شاشـات العـرض :

ــ لا تقتربوا منهم فهم مصابون بمرض معدي خطير انه ...

ــ « الإيبولا»

ابتعـد رجـال الشرطـة بفـزع مـن المـكان تاركـين محمـود يقـف ودموعـه تتسـاقط حزنًـا وهـو يتسـأل مـاذا حـدث ؟؟

وهـل أصيبـت نيرمـين بفـيرس الإيبـولا مـن غينيـا ونقلـت العـدوى إلى أختهـا ولكنهـا لم تلمـس أي جثـة هنـاك ؟؟

ولكـن أيـن هـي نيرمـين فلـم يجـدوا لهـا أي أثـر بالمنـزل كلـه وكأنهـا تبخـرت؟؟

فأين جثتها إن كانت هي سبب العدوى وماتت بالمرض ؟؟

ولمن جثة هذا الشاب هناك وذلك الطفل الصغير ؟؟

وأيـن العمـة الخرسـاء فلـم يجـدوا لهـا أثـر بالمـكان هـي الأخـرى..؟؟؟

وهنا صرخ أحد الجنود هناك جثة اخرى بالمنور يا سيدي ؟؟

ـــ صرخ محمود بلوعة :

ـــ نيرمين ..لاااااااااااااا أسرع الخطى إلى المنور ليبحث عن حبيبته فسمع أحد الجنود يقول :

ـــ إنها جثة رجل يا سيدي ومشنوقة بحبل غريب ملتف حول رقبته ..

****

وقفت بذلك الركن المظلم هناك بغرفة الطبيب تخفي وجهها بوشاح أسود وهي تقول :

ـــ هل ستساعدة دكتور كمال فهو يستحق المساعدة صدقني ولم يكن له ذنب في تشويه وجهه وهو طفل صغير؟؟

ـــ لقد عرضته على أكبر أطباء التجميل والحروق صدقيني يا فتاة واكدوا لي أن الأمل ضعيف؛ لأن الحروق منذ سنين طويلة ويحتاج السفر إلى الخارج فهنك سيستطيعون مساعدته في أمريكا أو ألمانيا ؟؟

ـــ ساعده من أجل الله يا دكتور كمال فأنت تحب مساعدة الآخرين أنا أعرف ذلك ؟

ـــ سأساعده يا فتاة فهناك رجال أعمال يتبنون تلك الحالات ويعالجونها على نفقتهم لا تقلقي.

ولكن أخبريني من أنتِ ؟

ـــ لا يهم أيها الطبيب من أكون ولكنى أدلك على عمل الخير لتفعله فلا تتردد وثق أنه يستحق المساعدة ؟

نظر لها طويلًا ثم قال:

ـــ أنتِ تذكرينني بفتاة كنت أحبها و أعتبرها ابنتي رحمها الله فلها نفس صوتك وطريقتك في الكلام ؟

ـــ رحمها الله أيها الطبيب ورحم جميع أمواتنا لا تقلق فهي بمكان أفضل الآن فلا تشغل تفكيرك بها واهتم بالشاب من أجلها أن كنت أذكرك بها..

نظر الطبيب لها بحيرة ولم يرد بل هز رأسة بنعم سيفعل ...

وبعدها رأها وهي تغادر الغرفة في المستشفى وكانت هناك سيدة أخرى تنتظرها فأمسكت بيدها لتساعدها ورحلا..وهي تتسند عليها..

وهنا همس الطبيب بحسرة :

ـــ يبدو أن تلك الفتاة عمياء ..كفيفة لا ترى ...فكيف فقدت بصرها يا ترى؟

وفي النهاية لا أدري إن كانت الرواية قد أعجبتكم أم لا ولكن لابد أن تعرف شيئًا هامًا فى الحياة:

إن عالم الجن عالم غامض ومليء بالأسرار فهم مخلوقات مثلنا ولهم حياتهم الخاصة كما لنا حياتنا الخاصة.

فلا تتدخلوا في عالمهم حتى لا يتدخلوا في عالمكم واتركوهم يعيشون ويعبدون الله فمنهم العابد التقي، ومنهم الكافر المشرك، فما لنا نحن ومالهم ولما نحاول التطفل عليهم وإجبارهم على فعل ما لا يريدون ؟

وتسـخيرهم ببعـض الكلـمات فلنتركهـم ليتركونـا ولا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تنـدم واسـتمع لنصيحتـي ...

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا ولا أنـت لا تفهـم معناهـا »

تمَّت

مع تحياتي

د منى حارس

وما بعد النهاية.
رحلة إلى عالم الجان

تعالـوا معـي عـلى متـن تلـك الطائـرة السـوداء التـي تحلـق في الأذهـان لتـترك لـك معلومـة أو أي شيء كان وسـنأخذكم معنـا في رحلـة عجيبـة مليئـة بـالأسرار إلى عـالم الجـان وسـؤال وجـواب لـكل مـا يـدور بخلدكـم عـن ذلـك العـالم الغامـض وأسراره المخيفـة فتعالـوا معـي واربطـوا أحزمـة الأمـان جيـدًا فالمطبـات الهوائيـة كثـيرة والغيـوم مـن حولنـا سـوداء كثيفـة وهيـا بنـا لنخـوض تلـك الرحلـة المخيفـة التـى ندعـو الله أن نخـرج منهـا سـالمين غـير مؤذيـن ولا ملبوسـين مـن عـمار المـكان مـن حولنـا ...

سـؤال وجـواب لـكل مـا يـدور بذهنـك عـن عـالم الجـان ذلـك العـالم الغامـض المثـير للخـوف والجـدل..

من الجن وما أصنافهم ؟

حسب الأديان والأساطير القديمة تعريف الجن :

« هـي مخلوقـات خارقـة للطبيعـة هوائيـة قـادرة عـلى التشـكل بأشـكال مختلفـة لهـا عقـول وفهـم وقـدرة عـلى الأعـمال الشـاقة، وهـم خـلاف الإنـس، فالواحـد يقـال لـه «جنـي» ، و يقـال: إنـما سـميت بذلـك لأنهـا تتخفـى ولا تـرى «

وهي ثلاث أصناف وقد روي الطبري بإسناد حسن عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(الجن ثلاثة أصناف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وصنف يحلون ويظعنون).

كما أجمع المسلمون قاطبة على أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) «سورة الأنعام١٩».

أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم سورة الجن وسبب تسميتهم بالجن لاستتارهم عن العيون، فهم يرون الناس ولا نستطيع رؤيتهم، وهذه الحقيقة معروفة والدليل قول القرآن:

« **(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)** «سورة الأعراف آية ٢٧.

والمقصود هنا أن الإنسان لا يرى الجن على صورتهم الحقيقية التي خلقوا عليها ولكن قد نراهم بصور أخرى متجسدين لها في صورة حيوانات أو بعض الحشرات أو متخذين هيئة البشر أو وهما للعقل كما يحصل لبعض المسحورين.

أ تعتقد بوجود الجن حقًا أم تعتبرها خرافة ؟

يعتقد بعض الناس بوجود كائنات خارقة تسمى بالجن ويعتقد هؤلاء الناس أن للجن قوى خارقة و أن الجن باستطاعتها رؤية الناس وإلحاق الأذى بهم و أن أجسام الجن غير مادية وقادرة على التشكل بالشكل الذي تريده.

والعالم الذي نعيش فيه الغريب والعجيب فكيف بالعالم الخفي عن العيون والغير مرئي لنا ولا نراه من الغيب الذي احتجب عن عيوننا، فالنفس البشرية تحب التنقيب والبحث في ما وراء الطبيعة

من عوالم خفية لا يعرفون عنها شيئًا كما دونها الأقدمون وكما وردت في الكتب السماوية

أو كما حكي عنها القصاصون والدجالون وغير ذلك كثير.

هل يستطع الجن أذية الإنسان ؟

يستطع الجن أن يتسلط على الإنس وأذيتهم، وأن من الأمور المسلم بها أن الإنسان عرضة للأخطار والأمراض وقليل من تصفو له الحياة ويعيش بلا منغصات، وهناك أمراض ليس لها دواء فيقع الإنسان عقله فريسة الوهم وتسلط الجن وهناك الكثير من الأمراض النفسية وأمراض الصرع فمن الناس من ينسب أكثرها لعالم الجن والشياطين، مما جعل الناس في حيرة ووقع بعضهم فريسة المشعوذين

ما عالم الأرواح (Demonology) ؟؟

كان الاعتقاد بوجود الجن قديمًا جدًا، وهو في الميثولوجيا العالمية معروف بصورة الأرواح المحتجبة عن عيون البشر.

ويسمى هذا العلم (Demonology)، ويعني علم الشياطين (باللغة اليونانية)، وهذا العلم كما تعرفه دائرة المعارف البريطانية يبحث في دراسة الشياطين وفي المعتقدات المتعلقة بها، كما يبحث في مذهب وجود الجن في العالم الإسلامي. حيث إن الدين الإسلامي يفرق بين معنى الجن والشيطان.

ما الفرق بين الجن والشيطان ؟؟

الجـن ليسـت شـياطين حسـب مفهـوم الديـن الإسـلامي لكـن الشـياطين هـم فئـة خاصـة مـن الجـن تعـصي الله، وتوسـوس للنـاس. وأنكـر كثـير مـن الفلاسـفة وجودهـم وقالـوا إن المـراد بالجـن في الكتـب الدينيـة هـى نـوازع الـشر عنـد الإنسـان، والقـوى الخبيثـة، كـما أن المـراد بالملائكـة هـى نـوازع الخـير حسـب زعمهـم.

وأنكـرت طائفـة مـن النـاس وجودهـم إنـكارا كليًـا وزعـم قسـمًا منهـم إن المـراد هـو أرواح الكواكـب.

ولكـن هـذا قريـب مـن الخيـال، ومـن المسـلمين مـن يفـسر الجـن بقولـه إنهـم نـوع مـن البـشر مسـترين عـن النـاس في إيمانهـم وكفرهـم، وخيرهـم وشرهـم، كـما قـال الدكتـور محمـد البهـي في كتابـهِ في تفسـير سـورة الجـن إن المـراد بالجـن هـم الملائكـة، فالجـن والملائكـة عنـدهُ عـالم واحـد لا فـرق بينهـما.

وزعـم فريـق مـن المحدثـين أن الجـن هـم الجراثيـم والميكروبـات التـي تصيـب النـاس بالأمـراض التـي كشـف عنهـا العلـم حديثًـا وهـذا وهـم وخرافـة لا أصـل لهـا، فالجـن وجـود مـادي لحيـاة عاقلـة ورد ذكرهـم في الكتـب السـماوية، والجراثيـم غـير ذلـك مـن الأحيـاء الماديـة المخلوقـة، وانتـشرت فكـرة أن الجـن هـم مـن نقـل الطاعـون في العصـور القديمـة، وبعـض النـاس في وقتنـا الحـالي لا يعتقـدون بوجـود الجـن.

ما وجه التشابه بين الجن والإنس؟

الجـن خلـق آخـر غـير الإنـس وغـير الملائكـة والأرواح. وبـين الجن والإنـس قـدر مشـترك مـن حيـث الاتصـاف بصفـة العقـل والإرادة ومن حيـث القـدرة عـلى اختيـار طريـق الـشر والخـير، ومـن حيـث التكليـف بالعبـادة والعقـاب يـوم القيامـة وحسـب تعريـف القـرآن في قولـه:

((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) سورة الذاريات، آية ٥٦، وفي قوله:

((وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ)) سورة الحجر آية ٢٧.

فورد ذكرهم بلفظ الجن والجان٣٢ مرة في القرآن، بينما ورد ذكر الشيطان ٨٧ مرة في القرآن، وذكر إبليس ١١ مرة في القرآن.

والخلاصة فإن الجن عالم ثالث غير البشر والملائكة، وهم مخلوقات عاقلة وواعية مدركة، ليسوا أعراض أمراض أو جراثيم، ولا وهم من الدجالين بل هم خلق مكلف بالعبادة والأدلة على ذلك كثيرة، من التوراة والإنجيل والقرآن، كما أقر بها الكثير من الناس، وهذا لأن وجودهم خبر متوارث عن الأنبياء والمرسلين، وجمهور الناس من يقر بهم ومنهم من ينكر وجودهم، كما أنكر وجودهم طائفة من المسلمين كالمعتزلة و الجهمية ... وغيرهم .

هل يستطع بعض البشر رؤية الجن وتسخيرهم ؟؟

كثير من البشر ممن يراهم ويسمعهم لا يعلمون أنهم جن بل يزعمون أنهم رجال الغيب أو رجال الفضاء

وغير ذلك، وعدم رؤيتهم ليس غريبًا فقد ثبت علميًا عدم قدرة الأحياء على رؤية كل شيء.

إن النحل يرى الأشعة فوق البنفسجية ولا يراها الإنسان، ولذلك فهو يتحسس الشمس في الجو الغائم، وطير البومة ترى الفأر في ظلمة الليل ولهذا فإن كنا لا نرى جنًا فبعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب.

فقد ورد في كتب المسلمين وفي أحاديث السنة النبوية في مسند الإمام أحمد بإسناد مرفوع صحيح عن جابر قوله:

(إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنهن يرون ما لا ترون).

كما أخبرتنا الكتب السماوية عن تسخير الجن للنبي سليمان، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة تحتاج إلى القوة والقدرات والمهارات الفائقة، وورد ذكر ذلك بالقرآن في قولهِ:

« **(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ)**، سورة سبأ آية ١٢.

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٩/ ١٠:

«(لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا أن الله أرسل محمدًا إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكره...)

مما خلق الجن وأين منشأهم ؟؟

خلق الله عز وجل (سوميا) أبو الجن قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وقال عز وجل لـ (سوميا) :

تمن فقال (سوميا) : أتمنى أن نرى ولا نُرى ، وأن نغيب في الثرى ، وأن يصير كهلنا شابًا ..

ولبى الله عز وجل لـ (سوميا) أمنيته ، وأسكنه الأرض له ما يشاء فيها .. وهكذا كان الجن أول من عبد الله في الأرض .... المصدر قول ابن عباس رضي الله عنه .

و يقال إن الله خلق الجن من النار وأول الجان هو أبيهم سوميا « الذي دعا للجن أن يكونوا مرئيين في الأرض وأسكنهم الأرض قبل خلق آدم كما ذكر القرآن في قوله:

« **(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ،وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)** سورة الحجر، الآيتان ٢٦-٢٧.

وحينما أسكنهم الله الأرض أفسدوا فيها وسفكوا دماء بعضهم فأرسل الله لهم الملائكة، وقضى عليهم، وأخذوا معهم إبليس إلى السماوات العلا، فصار مثل الملائكة يعبد الله ويطيع أوامره ويبتعد عن نواهيه.

وبقى على الأرض قسمًا من الجن، هربوا إلى المغارات وأعالي الجبال وفي أسفل البحار والمحيطات.

واتخذوا بعض المواقع الذي يتكاثرون فيها ويعيشون، ولما هبط الإنسان على الأرض تطور وصنع الغواصات والطائرات والسفن، وجاب الأرض وانتقل من مشارقها إلى مغاربها، وبدأ يشكل خطرًا على وجود الجن لما انتقل إلى مواقعهم، فأهابوه و أفزعوه وتسببوا في مرضه بأمراض غريبة لم يسمع أحد من قبل عنها.

وهذه الآية ردًا على من قال إن الملائكة يعلمون الغيب حين قالوا في القرآن:

« **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ**

إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة، آية ٣٠.

فالملائكة هنا استندوا على ما حصل من سوميا وذريته من ارتكاب المعاصي قبل خلق آدم أبو البشر.

وبعد أن خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له، تكبر إبليس وعاد لأصله. فرفض إبليس السجود ظنًّا منه أنه أفضل من آدم لأنه مخلوق من نار وآدم من تراب فعصى أمر ربه؛ فطرده الله من رحمتهِ، ولكن إبليس طلب أن يمد له في العمر حتى يوم القيامة للانتقام من آدم وذريته، فأعطاه الله ذلك وبدأ يتكون عالم الجن من جديد. ولقد ورد ذكر الحكاية بلفظ آخر في القرآن حيث قال الشيطان :

«**(قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون)** سورة الأعراف، آية ١٤،

فأجابهُ الله:

« **(قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)**» الآيتان ٣٦،٣٧من سورة الحجر.

وأصل خلقهم من النار كما ورد ذلك في كثير من الآيات، والشياطين هم من الجن وكذلك إبليس، وقد روي في كتب السيرة النبوية أن إبليس تشكل في هيئة شيخ نجدي عند اجتماع الكفار في دار الندوة لمناقشة الدعوة الإسلامية وأشار إليهم بقتل النبي محمد أو حبسه أو إخراجه من مكة. وقال الحسن البصري:

«لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين. والدليل الآية في القرآن:

« **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)**، سورة الكهف، آية ٥٠

وكذلك ورد في كتب الحديث في صحيح مسلم، عن النبي محمد قوله: إن الملائكة خلقوا من نور، و إن الجن خلقوا من نار، و إن آدم خلق من طين.

هل الشيطان هو أصل الجن أو هو واحد منهم؟

وإن الرأي الأخير أبين وأوضح لوروده في الآية:

« (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ)،»

ولكن هنالك رأي لابن تيمية حيث يقول: إن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الأنس، (مجموع الفتاوي ٤/ ٢٣٥، ٣٤٦).

ويقول المسعودي: « وما ذكر من الأخبار في مبدأ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقلهُ الخلف عن السلف، والباقي من الماضي، فعبرنا عنهم حسب ما ورد من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم.

وحكى الشهر ستاني في أول كتابهِ عن الملل والنحل حكاية عن ماري شارح الأناجيل الأربعة، وهي مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بين الشيطان وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود لآدم، في ختامها قال شارح الأناجيل:

«فأوحى الله إليه من سرادقات الجلال والكبرياء، يا إبليس إنك ما عرفتني، ولو عرفتني لعلمت أنني لا أسأل عما أفعل.»

وبذلك سقطت شبهات الشيطان رياناهم مع سحرة أبوعريش سرابا مثل الزجاج السائل أو الماء المغلي أو البخار.

ما أنواع الجن ؟؟

تتحدث الكتب العربية القديمة عن الجن وأنواعه فيذكر البيان والتبيين منها:

جن ومفردها جني.

عامر وجمعها عمّار.

شيطان وجمعها شياطين.

مارد وجمعها مردة

عفريت والجمع عفاريت.

القرين ((أنواع الجن))

شخصيات معروفة من الجن :

وأورد الدميري أن الجن أجناس، منها الجن الخالص الذي لا يأكل ولا ينام ولا يشرب في الدنيا ولا يتوالد، ومنها أجناس تأكل وتشرب وتتناكح ذكر منها مثل الغيلان.

وهناك العديد من الخرافات والقصص الشعبية التي يتداولها البسطاء عن بعض الجن مثل « أم الدويس»

« السعالي» مفردها سعلوة أو سعلاة.

« الغيلان» - « القطارب» - « بوعو»- «حفاظة عبدة «- «عيشة قنديشة»

ولكن لم يرد لهذه المسميات ذكر في مصدر موثوق، سوى كلمة شيطان وجن أو عفريت التي تم ذكرها في الكتب السماوية. ولغويًّا يطلق جني للمفرد وجنًّا للجمع، فإن أريد ممن يسكن البيوت مع الناس قيل عامر، فإن كان ممن يتعرض للأطفال والصبيان قيل روح أو أرواح، فإن كان خبيثًا سمي شيطان، فإذا زاد خباثة وشرًّا قيل مارد، فإن قوي على عمل الأعمال سمي عفريتًا.

وورد ذكرهم في الأدبيات العربية أنهم يتصورون على شكل الحيوانات والبهائم، ومنهم من يتصور بشكل الإنسان وهذا وهمٌ للعين لا حقيقة مادية له، وورد ذكر تصور الجن في صورة القط الأسود والكلب الأسود، بل ورد ذكرهم كذلك في أدبيات القرون الوسطى في أوروبا لصورة الشيطان بأن له لحية مدببة وقرنان ورأس أسود وغير ذلك كما ورد في دائرة المعارف الحديثة صفحة ٣٥٧.

تعرف على الجن في المعتقدات الإسلامية :

يجمع المسلمون على إقرار وجوده وقد ورد في القرآن

« {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} (سورة الحجر:٢٧)

ويوجد في القرآن سورة باسم الجن: سورة الجن ويقوم بعض المشايخ المتخصصين بالقراءة من القرآن على أشخاص مسهم الجان لإخراجهم ويحدث في ذلك مخاطبة الجني ومجادلته.

وفي هذا الأمر وردت قصص كثيرة وسجلت بعضها على يد مشايخ معروفين لا يشك بعلمهم، ولكن هذا الباب واسع لا يسع ذكره هنا لوجود كثير من المبالغات والأوهام فيه.

ما الأدلة من القرآن على وجود الجن ؟

«(يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ) «سورة الأنعام،آية ١٣٠.

«(وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) «سورة الحجر آية٢٧.

«(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) « سورة السجدة آية١٣

«(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)» سورة الذاريات، آية٥٦.

«(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)» سورة الرحمن، آية٣٣.

«(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)» سورة الجن، آية١.

«{مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)}» سورة الناس الآيات ٤، ٥، و٦

فهذه الآيات وغيرها دليل على وجود الجن وبعض أحوالهم، ولا يتكلم القرآن عن شيء غير موجود.

ولا ندركه فهو منزل لأجلنا ولفهمنا وإن كنا لا نراهم فلحكمة أرادها الله، حيث ذكر القرآن سبب استتارهم عن أعيننا بقوله:

«(يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)» سورة الأعراف، آية٢٧.

ما المأكل والمشرب عند الجن ؟؟

روي في صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله)،

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي محمد قال:

(من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان).

وفي مسند الإمام أحمد أيضًا عن النبي محمد قال:

« (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله، قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء)،

وتم تخريجه في صحيح مسلم أيضًا، وفي هذه النصوص من كتب السيرة النبوية دلالة صريحة على أن الجن والشياطين تأكل وتشرب.

تأكل الجن الروث والعظام ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي محمد أمره أن يأتيه بأحجار

يستجمر بها وقال له:

(ولا تأتيني بعظم ولا روثة)، -نهاية حديث البخاري هنا

ولما سأل أبو هريرة النبي محمد بعد عن سر نهيه عن العظم والروثة، قال:

« (هما من طعام الجن، وأنه أتاني وفد من جن نصيبين فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم: وأن لا يمروا بعظم ولا بروثه إلا وجدوا عليها طعامًا).»

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» (لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن)»

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود: أن النبي محمد قال:

«(أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن)،»

وسألوه الزاد فقال «(لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، وأوفر ما يكون لحمًا، وكل بوعرة علف لدوابكم).

فقال رسول الله: (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم).

إن في جلسات تحضير الجن يكون البخور الغذاء الأساسي وأنواع معينة من البخور يتغذى عليها الجن .

هل يتزاوج الجن وهل من الممكن أن يتزوجوا من البشر؟؟

التزاوج والنكاح وارد بين الجن للتكاثر والذي يعرف عنهم أنهم يتزاوجون كما ورد ذلك في نص القرآن بقوله:

«(لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) «سورة الرحمن، آية ٥٦،

وقد زعم قوم أنهم لا يتناكحون وهذا القول تبطله الأدلة الصريحة في القرآن والسنة، حيث دلت الآيات على صلاحيتهم للتزاوج، وقد حاول بعض الناس الولوج في كيفية النكاح من الإنس وهذا وهم غير حقيقي، لاختلاف الجنس بين البشر والجن، ولكن كره العلماء الخوض في هذه المسائل وعللوا ذلك بقولهم:

(إذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت: من الجن فيكثر الفساد)،

ولقد أنكرهُ علماء المسلمين وقال بعضهم جائز.

ولكن لو تم ذلك وحصل بين الإنس والجن تزاوج فكيف نقرر ما لا نرى؟ بل يأتي من هذا الباب شر كثير.

وكيف يحدث التآلف بين أجناس متخالفة في الخلق فتصبح الحكمة من الزواج لاغية؟

وزعم بعض الجهلة ورودها في الناس حاليًا، ويسأل فاعلها عن حكمها الشرعي وهو مغلوب على أمرهِ لا يستطيع الفكاك منها، ولو حدث ذلك لأوجدنا محاكم للفصل في زيجة الجن والإنس

وهذا أمر يطول شرحه لكونهِ خيال بحت من نسيج القصاص والدجالين.

ومثل ما أن هناك من أجاز ورأيه باطل فهناك من حرم ورأيه أولى من رأي غيره ؛ إن الله خلق الجن وخلق الإنس

وقال تعالى :

« **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** »

وأما بالنسبة للزواج بين الإنس والجن :

يمكن حدوث التزاوج بينهما مع أنه نادر الحدوث وفي إمكانية حدوثه قال به بعض السلف كالإمام مالك وبعض الحنابلة وبعض الحنفية وقال به ابن تيمية والطبري وكثير من المفسرين .

قال ابن تيمية في الفتاوى ج١٩ / ٣٩ :

« وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف »

قال فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين:

(إن بعض الجن يتصور للإنسي في صورة امرأة ثم يجامعها الإنسي، وكذا يتصور الجني بصورة رجل ويجامع المرأة من الإنس كجماع الرجل للمرأة وعلاج ذلك التحفظ منهم ذكورًا وإناثا بالأدعية والأوراد المأثورة وقراءة الآيات التي تشتمل على الحفظ

والحراسة منهم بإذن الله) (الفتاوى الذهبية - جزء من فتوى - ص١٩٦)

والأظهر والله أعلم تحريم التناكح بينهما ومع أهمية هذا الموضوع إلا أن الخوض في مثل هذه المسائل ينبغي تركه وهذا ما نص عليه كثير من أهل العلم؛ لأنه مما يحدث خلافًا للمألوف، وما يحصل بين الإنس والجن من تزاوج إنما هو خروج عن قاعدة الشرع في تكوين الأسرة المسلمة وتربية الأولاد، فهل يمكن أن يكون الاستقرار مع زوجة جنية ؟ وهل يمكن تربية أولاد من أم جنية؟ أو العكس؟

لذلك فلا يجوز زواج الإنس من الجن، وهذا من الكبائر لأنك إن قلت إنه ذنب صغير فلن تستطيع القول إنه طلقها بعد أول جماع! والاستمرار على الصغيرة كبيرة، ومن استحل الحرام فهو كافر...

والله ورسوله أعلم ...

من أبليس؟ وماذا تعرف عنه ؟

وجاء في الأثر عن أبي أمامة الباهلي أنّ إبليس لما نزل إلى الأرض مطرودًا مذءومًا مدحورًا قال يا رب أنزلتني وجعلتني رجيمًا فاجعل لي بيتًا قال الحمّام قال فاجعل لي مجلسًا قال الأسواق ومجامع الطرق قال واجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابًا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنًا قال المزامير وآلات اللهو قال فاجعل لي قرآنا قال الشعر قال فاجعل لي خطًّا قال الوشم قال فاجعل لي حديثًا قال الكذب قال فاجعل لي مصائد قال النساء...

فهذه تسعة أشياء طلبها إبليس لتكون له عونًا على أداء مهمته التي طلب الإنظار إليها وفي شعب الإيمان عن ثابت قال بلغنا أنّ إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم وخلقت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه أي وعلى بنيه قال صدورهم مساكن لك قال يا رب زدني قال (لا يولد لآدم ولد إلا لك عشرة))

وتمامه عن ثابت رضي الله تعالى عنه قال ((بلغنا أنّ إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني قال صدورهم مساكن لك قال ربي زدني قال لا يولد لآدم ولد إلا ولك عشرة قال ربي زدني قال تجري منهم مجرى الدم قال ربي زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد فشكا آدم عليه السلام إبليس إلى ربه قال يا رب إنك خلقت إبليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضًا وسلطته عليّ وأنا لا أطيقه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وَكلّتُ به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال ربي زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال ربي زدني قال لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر))

الجن وبلاد المغرب ؟

الجان كائنات تستوطن عوالم الخفاء الممتدة في كل مكان من حولنا، و هم غير مرئيين للبشر في الأحوال العادية يمكن رؤيتهم من قبل بعض الأشخاص ليلًا خلال الفترة المتراوحة بين الساعة الحادية عشرة ليلًا والواحدة صباحًا عدا ليلة الجمعة التي هي لحظات ابتهاج عام يستغلها الجن للتسكع في عالمنا حتى صباح السبت.

ولا يظهر الجن بصورته المفزعة بل يظهر على أشكال بعض

الحيوانـات والحـشرات مثـل:

حمـار، كلـب، قـط، صرصـور، فـأر ولذلـك يحـاذر المغاربـة أن يقتلـوا أو يلحقـوا الأذى ليـلًا بحيـوان أو حـشرة خصوصًـا إذا كان كلبًا أو قطًا أسـود وتعتـبر المغـرب مـن أكثـر الـدول التـي تتعامـل مـع الأسـحار وعـالم الجـن، ولهـم خـبرة كبـيرة عـن غيرهـم في هـذا المجـال فلـو تحدثنـا عـن المعتقـدات المغربيـة حـول الجـان فلقـد شـكل موضوعًـا مغربيـا للبحـث الإنتربولوجـي منـذ مطلـع القـرن العشريـن يمثـل مؤلـف الفنلنـدي (وسـتر مـارك) أول و أهـم مـا كتـب حـول الموضـوع ولعـل صعوبـة اختصـار الحديـث عـن تلـك المعتقـدات تـأتي مـن كونهـا تختلـف إلى حـدود التبايـن مـن منطقـة مغربيـة إلى أخـرى.

فعـن بعـض الصحابـة نزلنـا مـع رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم منـزلًا في بعـض أسـفاره، فخـرج لحاجتـه، وكان إذا خـرج لحاجتـه يبعـد، فأتيتـه بـأداوة مـن مـاء، فسـمعت عنـده خصومـة رجـال ولغطًـا مـا سـمعت أحـد مـن ألسـنتهم ولا أرى أشـخاصهم، فقـال لي رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ((اختصـم الجـن المسـلمون والجـن المشركـون فسـألوني أن أسـكنهم، فأسـكنت الجـن المسـلمين الجُلَّـسْ، وأسـكنت الجـن المشركـين الغـور)).

وغالبًـا مـا يوجـد الجـن في محـال النجاسـات والقـاذورات، كمحـل نخـو الإبـل، والحمامـات، والمراحيـض، والمزابـل والأماكـن الموحشـة كالأوديـة والقبـور، ومواضـع القتـل، وبيـوت الأصنـام فقـد كانـت الجـن تدخـل في الأصنـام وتخاطبهـم ومـن ثـم جـاء النهـي عـن الصـلاة في تلـك الأماكـن لأنهـا مـأوى الشـياطين ومـن مسـاكنهم الجحر،

ومن ثم كره البول فيه كذلك ومن ذلك البياض المتخلل بين الزرع ويقال له القزع وقد جاء الحديث نهي الرجل أن يتغوط بالقزع لأنه مسكن الجن ..

****

وفي نهاية الكتاب أود أن أخبركم شيئًا هامًا وهو أن الاتصال بعالم الجن أو الاستعانة بهم في أمر من أمور الحياة سواء في أمر مباح أو مشروع هو كُفر بالله وشرك عظيم لذلك فلا يجوز لك مصاحبة الجن حتى ولو كانوا مسلمين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستعن بهم لا في الجهاد، ولا في معرفة الأخبار عن أحوال العدو.. ولا فى شيء من ذلك مع أنه مرسل إليهم صلى الله عليه وسلم، وقد بلغهم رسالة ربه، فكانت هذه من أفعال أهل الجاهلية فكانوا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا خاليًا قالوا:

- « نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ...»

يقصدون كبير الجن فحرّم الإسلام ذلك، قال تعالى:

« وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا «

وقد أبدلهم النبي صلى الله عليه وسلم خيرًا منه فقال عليه الصلاة والسلام «

«من نزل منزلاً ثم قال:- « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك « رواه مسلم .

وهـذا الاسـتخدام والاسـتمتاع سـيعاقب الله الكافريـن عليـه مـن تسـخيرهم للجـن قـال تعـالى

« وَيَـوْمَ يَحْشُرُهُـمْ جَمِيعًـا يَامَعْـشَرَ الْجِـنِّ قَـدِ اسْـتَكْثَرْتُمْ مِـنَ الْإِنْـسِ وَقَـالَ أَوْلِيَاؤُهُـمْ مِـنَ الْإِنْـسِ رَبَّنَـا اسْـتَمْتَعَ بَعْضُنَـا بِبَعْـضٍ وَبَلَغْنَـا أَجَلَنَـا الَّـذِي أَجَّلْـتَ لَنَـا قَـالَ النَّـارُ مَثْوَاكُـمْ خَالِدِيـنَ فِيهَـا إِلَّا مَـا شَـاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّـكَ حَكِيـمٌ عَلِيـمٌ «

فالجـن لا يخـدم الإنـس إلا إذا قـدم لـه شـيئًا، وهـذا هـو اسـتمتاع بعضهـم ببعـض كـما أن اسـتخدام الجـن في بعـض الأمـور المباحـة أو الطاعـات ذريعـة للـشرك، وقاعـدة «سـد الذرائـع» تمنـع مـن ذلـك لما فيـه مـن مخاطـر عديـدة عـلى عقيـدة المسـلم فعـلى الإنسـان البعـد عـن كل الأمـور التـي تجـره إلى الذنـب الـذي لا يغفـره الله تعـالى.

التعريف بالكاتبة

د : منى حارس محمد طبيبة بيطرية ...

من أعمال الكاتبة في مجال الرعب:

- رواية لعنة الضريح جزء أول .
- رواية قرين الظلام جزء ثان.
- رواية متجر العجائز.
- رواية رسائل من الجحيم.

لعنة الأرواح مجموعة قصص قصيرة منها قصص حدثت بالفعل.

وفي مجال الكوميديا والأدب الساخر:

رواية عدلات وحرامي اللحاف.

صفحة التواصل على الفيس بوك :

Mona Hares

الايميل :

Monahares59@yahoo.com

وسوف أنتظر آراؤكم فى الرواية على صفحة التواصل الاجتماعي فيس بوك

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007